obeikan.com

شادر هتلر

شادر هتلر
قصص
د.سمير الشربيني
الطبعة الأولى

دار الحلم للنشر والتوزيع
٤ شارع الأشراف - من شارع مؤسسة الزكاة - المرج - القاهرة
موبايل : ٠١١٤١٨٢٤٥٦٢
dar_el7elm@hotmail.com
المدير العام : د.إسلام فتحى

إخراج داخلي : الحلم للدعاية والإعلان

رقم الإيداع :٢٠١٦/٢٥٦٣٨
رقم الترقيم الدولي : 978-977-798-041-8

إن دار الحلم للنشر والتوزيع، غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار .

obeikan.com

د.سمير الشربيني

شادر هتلر

obeikan.com

مقدمة

نحاول ان نلمس اوتارا حساسه برشاقه وبساطه بأستحضار مفاهيم ومشاعر الاغتراب داخل الاوطان والغربه خارجه والحنين الذى لاينقطع اليه مرورا باختلاف الطبائع والبيئات البشريه وتنوع الثقافات والمفاهيم واللغات فى عالم يغلفه الشعور بالعجب والاندهاش العميق والشكوك الرهيبه حول طبيعته وتوجهاته وأهدافه وتناقضاته.

أهداء

ألى أمى الحبيبة

obeikan.com

شادر هتلر

تفهم الجميع رغبه الحاج عبد العزيز بالاختلاء بنفسه لمدة يومين وبالفعل توجه إلى العين السخنة بدون سائق مصطحبا معه بعض الماكولات الخفيفة والمياة المعدنية والغازية.

جلس الحاج مسترخيا في الشرفة وقام بعمل كوب من الشاى بالنعناع الذى يحبه وجلس يتذكر ما مر به من صعاب وكيف بدأ وكيف كانت رحلته عندما قدم من أقاصى الصعيد متجها إلى بلدة المحلة معقل صناعة الغزل والنسيج وكان وقتها حاصل على شهادة الإعدادية رغم علمه بأهمية العلم ولكن لم تسمح الظروف بتحقيق طموحاته وأستكمال تعليمه.

.الناس في المحلة تدور حياتهم حول الغزل والنسيج فالجميع على اختلاف طبقاتهم يعملون في نفس المجال فالاغنياء هم أصحاب المصانع والمتعلمون أما مهندسون أومحاسبون ومحدودى الدخل عمال وسائقين وتباعين والحياة هادئة ولايوجد فقراء بالمعنى المعروف.

كان الحاج يمتاز بسرعة التعلم ودقة الملاحظة فما يحتاجه الشيء للتعلم في سنة كان الحاج يتقنه خلال اسابيع قليلة.

وتولى قسم صناعة الشكائر الفارغة في المصنع الذى بدأ العمل به كمجرد عامل بسيط.

والشكائر الفارغة لمن لايعرف هى صناعة تكميلية ضخمة ومهمة فهناك شكائر قماش وشكائر بوليستر واخرى مغزولة وشكائر ورق ومنها مايستعمل للحبوب والغلال والارز و الاسمنت والجبس وغيرها وكلما ازدادت حركة التجارة والاستثمار وانتقال البضائع ازداد الاحتياج للشكائر بكل انواعها.

بالفعل أنها رخيصة الثمن ولكنها تباع بالملايين مما يعوض بخس قيمتها ويحولها إلى تجارة رابحة.

رغم حالة العوز التى تربى عليها عبد العزيز أنما كان دائما يحتفظ بنشاط عقله وترتيب افكاره وكان كثيرا ما يجلس ساكنا متأملا لايتحرك ولايتحدث

وربما كان هذا هو السبب في صفاء ذهنه وربما كانت هذه بداية أكتشاف مزايا رياضة اليوجا الخاصة به.

بالطبع لم يكن يعلم أى شيء عن اليوجا فهذه أحدى رياضات المرفهين ولكنه أكتشف يوجا خاصة به جعلته يضع خطوات تصورية لحياته مما يسمح له بمساحة من الخيال ثم بعد ذلك يصارع الواقع لتنفيذها وبالفعل التحق بالدراسه مره أخرى ولكن بأسلوب المنازل حيث يكون الطالب منتسبا ولا يلتزم بنسبه حضور أو غياب.

فهو لايملك رفاهية الوقت كما التحق بأحد معاهد تعليم اللغة الانجليزية ولم يتنازل يوما واحدا عن القراءه وخصوصا جريدة الاهرام حتى أنه لو لم يجد وقتا لقراءتها يحتفظ بها لليوم التالى ويقرأ الجريدتين معا،فالمعرفة ليس لها تاريخ صلاحية من وجهة نظره، وكان زملاؤه في العمل تارة يسخرون منه وتارة أخرى يشفقون لحالة لأنه يستهلك ما يكسب في ما لا يفيد فالحياة بالنسبة لهم طعام وشراب وجلوس عالمقاهى، أما الكتب والجرائد فهى مضيعة للوقت والمال.

أستوعب الحاج عبد العزيز صناعة الشكائر وصار ملما بمدخلاتها ومخرجاتها،وبدأ يستقل بنفسه شيئا فشيئا،وكان اليوم المشهود الذى أشرف فيه على تصدير اول شحنة شكائر فارغة إلى أمريكا حدثا عظيما حيث كان يدارى دموعه خجلا من العمال وشعر بمشاعر مختلطة وشجون عميقة.

كان سعر الشكارة الواحدة لايتعدى ٨ سنتات ولكنها كانت تصدر على هيئة رولات ضخمة، كل رول منها يحتوى على الاف الشكارات وعدد الرولات بالالاف أيضا مما يعوض بخس أسعارها ويجعلها تجارة مربحة.

أدرك منذ البداية أهمية السوق الامريكى ودرس أحتياجاتهم وبدأ يتقن أنواع الشكارات التى يحتاجونها فهو يعلم تماما غزارة وجوده الانتاج لديهم من القمح والبن والبطاطس.

أختلف الوضع بعد أول شحنة تصدير قام بها فقد أصبح أكثر ثقة بنفسه وأكثر هدوءا وشعر أن الخطوات تتحرك حسب الخطة الذهنية التخيلية إلى حد كبير.

ومما زاد تفاؤله حصوله على الثانوية العامة وأضطر للالتحاق بكلية التجارة انتساب حتى يستطيع التنسيق بين العمل والدراسة وكانت أقرب الجامعات جغرافيا هى جامعة طنطا.

كان التعليم من الاهداف الاساسية في عقله الباطن فبغض النظر عن أدراكه لأهمية التعليم للأنسان لكن ايضا هو لايريد أن يعيش مع عقدة مركبة أو نقطة ضعف تلازمه طوال حياته ولكن تركيزه كان منصب على أجتياز الخطوات الذهنية خطوة خطوة حتى وان أضطر لتعديل الجدول الزمنى من حين لاخر،فالوصول متأخرا أفضل من عدم الوصول .

لم يهمل دراسة اللغة الانجليزية وأصبح يعتمد على نفسه في قراءة البريد الألكترونى حتى يظهر دائما بمظهر المتمكن من أدواته أمام الأخرين من السكرتارية والموظفين.

وفى يوم مشمس جميل يدعو للتفاؤل كان المهندس جمال صاحب المصنع جالسا في مكتبه يتصفح بعض الملفات عندما طرق الباب ودخل عبد العزيز:-

-صباح الفل ياباشمهندس تحت أمرك.

-تعال ياعبد العزيز عايزك في موضوع أجلس.

خد أقرى الايميل ده .

تناوله وقرأ سريعا .

-دى الشركة الالمانى منتجة مكن تصنيع الشكائر عاملة دورة تدريبية باللغة الانجليزية في المانيا لمدة ثلاث شهور.

-بالظبط أنا عايزك تحضر أنت الدورة دى لسببين الاول أنى مش فاضى والثانى ممكن تعتبرها مكافأة على أجتهادك، أنت جدع ومخلص وكمان مركز في شغلك وبصراحة أنت الوحيد اللى مش بيوصلى منه أى مشاكل.

-الله يخليك ويكرمك ياباشمهندس(قالها متهللا يرقص قلبه طربا فهو لم يغادر المحروسه من قبل، أن الاوان ليختبر لغته الانجليزية ويرى بلدانا أخرى لم يحلم أن يراها حتى الشكائر الفارغة لفت العالم وهو كامن قابع).

obeikan.com

وصلت الطائرة إلى مطار فرانكفورت وكان عبد العزيز مرتديا بدلة أنيقة، هو لا يشترى ثيابا باهظة الثمن ولكنه ينتقى
ألوانا بسيطة وجسمه متناسق ووجهه يحتفظ بكثير من الوسامة التى لم تؤثر عليها أيام الضنك والشمس الحارقة .
أستقل طيرانا داخليا إلى مدينة صغيرة جميلة هادئة تسمى جارمش، ماهذا الجمال والروعة والنظام والهدوء، هل خلق الله نماذج للجنة على الارض!،
أستقل سيارة أجرة إلى الفندق المذكور في قصاصة الورق التى يحملها وسارت الامور على مايرام، كان سعيدا ولكن خائفا بعض الشيء من التجربة وقلة خبرته في السفر والترحال.
كان اليوم الاول عامر بالتعارف وشعر بلذه تغمره وهو يشاهد جنسيات العالم المختلفة من حوله فتقريبا لايوجد أثنان من بلد واحد هناك أروبيون وأسيويون وأمريكان والمكان مرتب ونظيف ولكنه بسيط ومعد بكل ادوات الشرح والتوضيح من عدة أنواع من البروجكتور والشاشات والاوراق والاقلام.
كانت أكثر شخصية لفتت نظرة فتاة ألمانية لا تتعدى العشرين من عمرها دائمة الحركة قوية البنيان تقوم بعمل كل شيء من رفع منضدة أو حمل كرسى وأحيانا تعيد ترتيب المقاعد بحيث تناسب مساحة الغرفة وبدون مساعدة من أحد وتتعامل مع نفسها كأنها رجل رغم أنها على قدر وافر من الجمال ولكنها لاتعير أنوثتها أى أهتمام بالمرة وكانت ترهق المحاضر دائما بالاسئلة والتعليقات في الوقت الذى كان عبد العزيز دائما في الصفوف الخلفية الجانبية ومجرد متابع خجول لما يدور ولا يتفاعل!.
كانت صداقاته بزملاؤه بالدورة سطحية لا تتعدى بعض الايماءات والابتسامات العابرة وساعة الغذاء غالبا مايتناول غذاؤه وحيدا إلى أن جاء يوم وجهت له كريستا (الفتاة الالمانية) الكلام قائلة بانجليزية مختلطة باللكنة الألمانية الجادة الخالية من أى موسيقى لغوية هل تجلس بمفردك:
-نعم أتفضلى.

-أنت دائما تتناول غدائك منفردا؟ لماذا!
-لست متعودا على الاختلاط بالاخرين وهذه أول مره أغادر بلادى.
-من أين أنت ؟
-من مصر.
-القاهرة أم الاسكندرية!
-لا هذا ولا ذاك أنا اعيش في بلد صغير يسمى المحله الكبرى.
-كيف أنها كبرى وأنا لا أعرفها لقد قرات في التاريخ المصرى ولا أعرف سوى القاهره والاسكندريه والاقصر.
-هى ليست كبرى بالمعنى السائد ولكنه مجرد أسم فالأسماء يتم منحها مجانا ولاتكلف أحدا.
كانت تلتهم الأكل التهاما وتسأله بدون أن تنظر له ثم قامت وأحضرت زجاجتين مياة وزجاجتين مياة غازية ووضعت أمام عبد العزيز واحدة من كل نوع وهو يشعر ببعض الخجل، المفترض أن يفعل هو هذا.
بادر هو بالكلام هذه المره وسألها:-
-أنت بتشتغلى في أيه؟
-والدى عنده مصنع قماش أنا أدرس تخصص نادر في الهندسة يختص بصناعة النسيج وأعمل مع أبى احيانا وأنت؟
-أنا بصراحة كان نفسى أدرس الهندسة ولكن لا أستطيع ترك العمل والتفرغ ولذا انتقيت دراسه تكون بالانتساب وكان أنسب الكليات هى التجارة.
أومأت براسها وهو لا يدرك معنى هذه الايماءة ولكنها غالبا عدم أكتراث ثم قامت لغسل يديها بدون أى أستئذان.
تحدث إلى نفسه كيف تكون فتاة جميلة ورغم هذا تتصرف بطريقة عملية وسريعة خالية من أى تحفظ أو خجل.
عاد الجميع إلى قاعة المحاضرات، كريستا إلى الصف الاول وعبد العزيز إلى الصفوف الخلفية الجانبية كالمعتاد.

obeikan.com

وظل المقعد الذى بجانب كريستا خاليا حتى دخل المحاضر وقبل أن يهم بالتحيه قامت كريستا ونظرت إلى الخلف وأشارت لعبد العزيز بالحضور للجلوس في المقعد الخالى.

قام عبد العزيز خجلا فهى لم تعط له فرصه للاختيار وهو يتمتم بالعربية حتى لا يفهمه أحد (الله يخرب بيتك) .

كانت غالبا تضيف ملحوظة إلى المحاضر أو تختلف على أخرى وكان المحاضر دائما يهتم بتعليقاتها ولكن بعد جلوس عبد العزيز بجوارها بدأت بعد كل تعليق تنظر له وكأنها تستفهم منه هل موافق على رأيها وهل له رأى اخر وكان هو يحتاس ويعطى اشارات غير مفهومه وعلى لسان حاله (عديها بقى وارحمينى)

في اليوم التالى دخل عبد العزيز القاعه متجها إلى مكانه القديم المحبب إلى نفسه متظاهرا أنه لايرى كريستا وبمجرد أن هم بالجلوس أنتفضت واقفه وبلهجه أمره قالت عبد العزيز

بدون أى أشارات، أتجه في صمت وهو يبرطم (كان يوم أغبر يوم ماكلمتك)

أصبح عبد العزيز متداخلا في معظم المناقشات رغم أنفه وبالتالى أضطر إلى متابعه المحاضرات جيدا حتى لايتفاجئ بهذه الكريستا تحشره حشرا في أى مناقشة.

ومع الوقت تحول من مرغما إلى متطوعا وبدأ يستعمل بعض القفشات المصريه في حديثه وتقريبا أصبح أحد نجوم الدبلومة المعروفين وأصبح الجميع أصدقاؤه وكان يتناول الغذاء يوميا مع كريستا وأحيانا العشاء وقد ينضم اليهما آخرون ويتبادلان الحديث ورغم تخوفه من جراءتها ومفاجأتها إلا أن متابعتها كانت شيء مسلى بالنسبه له فهى تتفاعل وتتحرك وتتكلم ولا تعبأ بمن قد يكون جالسا أو منتقدا أو متابعا وكأنها وحدة منفصلة عن الأخرين وتتصرف بجدية واهتمام مثل رجل تعدى الخمسين من عمره ولكن من العجب العجاب أن سلوكياتها تلقائية وعفوية كطفلة لم تتعدى الخامسة

obeikan.com

من عمرها .
ربما هذا ماجعلها نموذج فريد بالنسبة لعبد العزيز، تحمل كل المتناقضات، فهى من فرط جديتها تجعله يضحك من قلبه على بعض التصرفات.
وفى أحد المحاضرات كان لابد من تكوين ثلاث مجاميع لعمل ورشة عمل ولكل مجموعه مشرف متطوع على أن يتم تقديم النتائج في نهايه اليوم قامت كريستا وأنتقت المجموعه بمجرد أن تشير اليهم بأنضمامهم معها ثم قدمت عبد العزيز بأعتباره مشرفا للمجموعة وعندها قال عبد العزيز بصوت منخفض باللغه العربية (أنت حقنة)
وكانت هى أنشط فرد في المجموعة تجمع النتائج في شكل نقاط ثم تتلوها لعبد العزيز الذى كان واقفا بأعتباره مشرف المجموعه ليقوم بكتابتها على (فليب شارت) لوحة ورقية كبيرة بقلم فلوماستر .
وعند تقديم النتائج كان عبد العزيز متمكنا من أدواته وكريستا تتابعه بأهتمام وتدعمه بكلمة أو جملة عند اللزوم حتى أتم عرضه بشكل جيد .
وفى نهاية اليوم تم أختيار مجموعه عبد العزيز كأفضل ورشه عمل وأخذ يقفز أعضاء المجموعه معلنين فرحتهم، فكر عبد العزيز لوهلة أن يقبل يد كريستا كنوع من المجاملة ولكن خانته جراءته ولكنها باغتته بقبله أخويه جاده على خده، لم تكن هذه القبله تعنى شيئا بالنسبه للموجودين فهى شيء معتاد في مجتمعاتهم ولكنها كانت أول مره يتلقى فيها عبد العزيز قبلة من امرأة أخرى غير أمه رحمها الله.
يوم السفر صافح الجميع بعضهم البعض وأوصلت كريستا عبد العزيز إلى المطار ومكثا سويا حتى ميعاد صعود الطائره وكانت المفاجأه الكبرى أن أدمعت عيون كريستا :-
عبد العزيز :-انتى متأثره! لا أنا مش مصدق؟
-ليه يعنى هو أنا مش أنسانة !
-بصراحة أنا افتكرتك كائن فريد من نوعه، مرحلة بين البشر والروبوت.

-أنت بتسخر من مشاعرى طيب يالا أمشى عالمحلة بتاعتك.
-أنا لا يمكن أسخر بس لم أتخيل أن شخصيتك بهذا العمق والدفء! كما أننى كنت أعتقد أن مشاعركم قد لا تصل إلى حد البكاء؟
- طب يالا أمشى بقى أنا لا احب لحظات الفراق، من فضلك أجعلها قصيرة.
هذه المرة قبل يدها وانصرف وشعر كأنه ترك جزءا منه خلفه.

***

وقف عبد العزيز وسط الماكينات والعمال يمارس نشاطه في المصنع وهو أكثر قدرة على النجاح والتحدى فقد كانت هذه الدبلومة بمثابة دفعة ذهنية نفسية صححت بعض جوانب شخصيته أكثر منها دورة تدريبية عادية كما أنها أمدته بطاقة إيجابية وأشعلت نارا داخله.
استمر في دراسته بجانب عمله وأصبح أكثر حماسا وأستمر على اتصاله بكريستا بالبريد الإلكترونى والتكنولوجيا الحديثة مثل الفايبر والواتس .
وبعد مرور سنتين تقريبا أرسلت له كريستا أنها تخطط لزيارة القاهرة والأقصر وربما شرم الشيخ وسعد عبد العزيز جدا بهذا.

***

كانت الساعة الثانية ظهرا والشمس حارقة عندما وصلت طائرة لوفتهانزا إلى مطار القاهره وعبد العزيز ينتظر خارجا عندما ظهرت الفتاة الألمانية القوية تحمل حقيبة على ظهرها وتجر حقيبة أخرى بعجلات، وكلما حاول أحد الحمالين أن يساعدها أو يحمل عنها أحد الحقائب كانت تشير له بأن يبتعد بلهجه آمرة وعندما وصلت إلى عبد العزيز كان يضحك حتى دمعت عيناه وقال لها مازلت مثل الحقنة المضغوطة :-

-يابنتى أهبطى بقى وتعلمى أن تكونى أنثى.
-عندنا في المانيا يقولون كلمات الترحيب بعد الوصول من رحله طويلة.
- أنا أسف، حمدلله عالسلامه لا تتصورى سعادتى بمجيئك إلى مصر (قالها وهو مازال يضحك ويساعدها في إنزال حقيبه الظهر حتى تضعها على الترولى الخاص بالحقائب)
عملتلك برنامج حافل للزيارات كل يوم مفاجأة:-
وبالفعل أول يوم ذهبا إلى الأهرامات وسقارة وتناولا مشويات ومحشى .
واليوم التالى مصر القديمة ومسجد عمرو بن العاص والحسين وخان الخليلي واليوم الثالث رحله إلى الاسماعلية وشاطئ الدنفاة والعودة في نفس اليوم ثم سافرت بمفردها إلى الأقصر لمده ثلاث أيام ومنها إلى شرم الشيخ وقد لحقها هناك ثم عادا سويا إلى القاهره وفى اليوم التالى جلسا في أحد المقاهى القديمه في شارع المعز حيث عبق التاريخ والدخان المختلط بصوت أم كلثوم وعبد الوهاب وكانت مستمتعة إلى حد كبير وقالت :-
-شوف ياعبد العزيز الناس هنا طيبين ودودين ولكن لماذا لا يهتمون بملبسهم وهيئتهم، لماذا دائما مكفهرين؟
- ممكن من حراره الجو.
- بلدكم عريق وجميل ولكن لماذا تحتفظون بأكوام القمامة وكأنها جزء من تراثكم أنها في كل مكان.
-أنا عارف انك حاتطلعى القطط الفطسانة، وماذا أيضا؟
-أين بربكم اللون الأخضر، الحدائق والاشجار نادرة أنها الاشياء التى تحول ثانى أكسيد الكربون إلى اكسجين لماذا لاتهتمون بها.
-يعنى في النهاية نحن نعيش في الجحيم!
-تقريبا ومع ذلك لقد شعرت براحة في هذا البلد وأعتقد رغم فداحة مشاكلكم إنما حلولها بسيطة وممكنة مع بعض الأخلاص والجدية والرغبة الحقيقية في الاصلاح.

-يعنى مازال في أيجابيات الحمدلله.
- بالطبع أنها كثيره، هل هناك فرصه كى أشاهد المحله؟
-طبعا ممكن ولكن لن تجدى شيئا جديرا بالمشاهدة.

***

كان الوقت صباحا والمداخن الضخمه للمصانع تنفخ أبخرتها مما يدل على أن العمل يجرى على قدم وساق وقامت كريستا بزيارة المصنع حيث يعمل عبد العزيز وأحد المصانع الاخرى.

-البلدة أفضل مما توقعت وهى بالفعل تصلح لتكون نواة لمدينة صناعية عاليه الطراز.

سعد عبد العزيز بأطرائها وتقبلها للمكان وسألها هل تستطيعين يوما الحياة هنا:-

-ربما لا أعلم!

-هل تستطيعين ترك الحياة السهلة والعمل المنظم المضمون عالى الدخل في مصنع والدك وتبدأين من جديد في منطقة نائية؟

-لم يربنى والدى على التفكير هكذا فنحن نعتمد على أنفسنا في كل شيء لا يوجد لدينا خدم أو سعاة مثلما رأيت هنا وأنا مؤمنة تماما أن الإنسان مهما يأكل فلن يأكل بأكثر من معدة واحدة ومهما يلبس فهو يمتلك جسدا واحدا ومهما تنقل في البلاد فلن يستطيع أن يتواجد في مكانين في نفس الوقت ومهما أمتلك من مال فهو لا يمتلك إلا حياة واحدة ولكن السبيل الوحيد لمضاعفة الحيوات في عمر واحد هو أطلاق العنان للخيال عن طريق القراءة وأرتياد أماكن تختلف عنا في الثقافات، فنحن نستطيع دائما مضاعفة الأشياء، كما يتضاعف الشعوربالحب المتبادل عن الحب من طرف واحد مثلا!

-أيه الكلام الكبير ده، أنا حاسس إني بتكلم مع عباس العقاد شخصيا.

-كفاية سخرية، أنا عارفة كويس عباس العقاد دى شارع مزدحم في مدينة نصر.

obeikan.com

أستمرت الحياه بحلوها ومرها ونجاحاتها وأنكساراتها وحصل عبد العزيز على الشهادة الجامعية لم تعنى له الكثير سوى تجنب عقدة قد تلازمه مدى الحياه وكذلك توسيع بعض المدارك والافاق كما أنه حصل على المستوى ٧ في اللغة الانجليزية حسب تصنيف المجلس البريطانى أى أنه أصبح كفؤا في اللغة الانجليزية الأم للتعامل مع متحدثيها الاصليين.

ولديه مبلغ معقول في البنك صحيح أنه لا يمتلك سيارة خاصة ولكنه لم يشعر يوما بالاحتياج لها كما أنه لا يملك مكتب خاص به ولكنه يقوم ببعض الأعمال الخاصة به إلى جانب عمله في المصنع وأصبح لديه دائرة معارف جيدة داخل مصر وبعضها خارج مصر.

كان الجو هادئ وقد ذهب معظم الموظفين والعمال إلا من القليل الذى يمسح الارضيات هنا وهناك أو يرتب مابعثره العمل الجاد طوال اليوم وكل النوافذ مفتوحه مما خلق تيار هوائى منعش يختلط مع رائحه المطهرات التى تم مزجها بالماء(الفنيك) ينتشر في المكان بلاحواجز بعد أغلاق جميع أجهزة التكييف والتخلص من ضجيجها.

رائحه الفنيك لاتزعجه فقد تعود عليها منذ كان عاملا بل هى تمده بشعور مريح لانها غالبا تعنى أنتهاء يوم شاق وحلول وقت الراحه والنظافه .

ثم أنتفض واقفا :-

-ياعم نعمة زود الفنيك شوية الارضيات كده مش حاتنضف.

قام بأعداد كوب من الشاى بنفسه رغم وجود عم نعمة الساعى لان أعداد الشاى غالبا يكون مقدمة لجلسه ذاتيه من التفكير العميق في شيء ما يحتاج أتخاذ قرار ما في وقت ما لسبب ما .

بالطبع كانت الجلسه مختصة بكريستا هى بالفعل فتاة جدعة بلغتنا المصريه وبمائة رجل وماكان يعجبه أكثر أنها لاتكترث بجمالها فهو يعجب بالبنت الجميله إلى أن تأتى بأى فعل يدل على شعورها وخيلائها بجمالها فتسقط من نظره ويتلاشى جمالها .

كما أنها لاتريد بأن تعيش طفيليه على أبيها وتأخذ الحياه بمأخذ الجد ورغم أنها لاتمتلك حس الدعابه الا انها تجعله يضحك من قلبه بتصرفاتها العفويه التلقائيه.

لكن المشكله في أنها سلطوية دائما هى من تبدأ ومن تبادر .

لكن الحق يقال هى نصبته مشرفا للمجموعه في ورشه العمل في المانيا يعنى ليست من عاشقى السلطه والتجبر.

وحتى لو كانت دائما صاحبه المبادرة فما الضرر في هذا،لماذا لايكون بجانب كل عظيم امرأة عظيمه هل يفترض دائما أن تكون وراءه .

وضع كوب الشاى جانبا وأستغرق في جلسه سكون بدون حراك (يوجا محلاوى).

شاهده عم نعمة في هذه الحاله وكان يعرفها فأغلق عليه المكتب ثم أطفا الانوار وأغلق باب المصنع وعم الهدوء والسكينه المصنع والمنطقه المحيطه به مع بقايا ضوء الغروب.

***

-هل تتزوجيننى!

-مين معايا (بلهجه عصبية)!

-أنا عبد العزيز.

-يابنى أنت مجنون! الناس في كل الدنيا بتقول صباح الخير صباح النور حتى قول زى المصريين السلام عليكم.

-أنا أتعلمت الجنان منك ذنبى في رقبتك!

ثم تذكرت فجاءة أنها فعلا قد تكون أنثى وتحدثت بشئ من الانوثه:-في حد برضه بيطلب الجواز بالطريقه دى وبالتليفون، أنا عندى أهل وماقدرش أخد قرار في الموضوع ده.

-نعم ياأختى (قالها بالعربيه ضاحكا)

-خلى بالك أنا بفهم عربى كويس ممكن اكون بتكلم عربى مكسر خالص

openkan.com

ولكن أفهم جيدا كل مايقال،أنت مش حابب تزور المانيا؟؟

***

أضائت أنوار الطائره لربط الاحزمه للهبوط بمطار فرانكفورت وكان شعور عبد العزيز مختلفا هذه المره،كان لايشعر بأى غربة ولكن أحساس غامر بالارتياح، أنه يشعر معها وكأنه طفل مع أمه، لا ولا حتى مع أمه أنه شعور الطفل مع أبيه المتمكن وكان هذا يسعده فهى الاب الحنون الذى يعلم متى يكون حازما ومتى يكون عطوفا.

-مرحبا بك في المانيا مره أخرى، قالتها كريستا واحتضنته بجديه كما يفعل لاعبى الجودو أحيانا قبل القيام بحركه فنيه من فنون اللعبه يتم بعدها الاجهاز على الخصم.

ثم شرعت في حمل حقيبته لوضعها في السياره وعندها لاحظ عدم وجود حمالون مثلما يوجد في مصروأنطلقت السياره في شوارع فرانكفورت وعبد العزيز ينظر إلى الشوارع والعمارات نظرات يملؤها الاعجاب والسعادة بدون سبب واضح غير حاله من الرضا و السلام الداخلى.

- إلى أين أنت ذاهبه ؟

-ستقابل والدى ووالدتى الان.

-ولماذا الان، الناس تستريح الاول من عناء السفر حتى تستطيع التفكير بهدوء.

-خير البر عاجله.

-نعم يا أختى!

-لقد شاهدت العديد من الافلام العربيه خصوصا فاتن يمامه وعمر الشريف (قالتها بجديه وهى تنظر للطريق أمامها).

-طيب أدينى فرصه أجهز حاقول أيه.

-لو في نصيب كل شيء حايكون تمام .

-(لو في نصيب فين)!ممكن تنسى أفلام فاتن يمامه دى خالص،خليكى في

openkan.com

الافلام الالمانى زى ماكنتى، طيب حتى أدينى فرصه ألبس البدله الانيقه اللى معايا، ينفع أروح كده بالجينز!

-أبى يكره البدل والرسميات ويحترم الإنسان البسيط والعملى في ملبسه.

لم يجد عبد العزيز أمامه إلا الانصياع والخضوع.

***

كان جرهارت يجلس في غرفة المكتب، المقاعد جلديه بنية اللون من الطراز القديم والحوائط مكسوه بخشب الابنوس الداكن اللون.

المقاعد ضخمه والسقف عالى وجرهارت نفسه يميل إلى الضخامه، تبدو عليه علامات رياضى سابق، يوجد له عدة صور على الحائط وهو مرتديا بدله الجودو وبعضها وهو يتسلم كؤوس وميداليات.

وقف مبتسما ورحب بحرارة بعبد العزيز وأجلسه قريبا منه وخرجت كريستا وتركتهما.

-لقد سمعت عنك كثيرا من كريستا حتى أنى صرت تقريبا أعرفك وقد أسعدنى كثيرا أنك مصريا.

-أنا شاكر جدا للمجاملة دى.

-أنا لا أجامل ولا أجيد المجاملة.ثم وقف وأتجه إلى الحائط وأشار إلى صورة رجل ملامحه مصرية أصيلة يرتدى نظاره طبية وقال وهو ينظر للصوره بحب وأحترام:-

-أنا أحببتك قبل أن اراك بسبب هذا الرجل، يكفى أنك أحد أبناء جلدة محمد رشوان حتى تكون مقابلتك مصدر سعادة لى.

-محمد رشوان!

-ألاتعرف محمد رشوان بطل مصر في الجودو وحامل الميدالية الفضية في أولمبياد لوس أنجلوس عام ١٩٨٤.

شعر عبد العزيز بالاحراج وتلعثم.

-هون على نفسك أنك من جيل أخر غير جيل رشوان وكما سمعت من

obeikan.com

كريستا أنه لم يكن لديك رفاهية الوقت لمتابعة الرياضه فانت كنت تعمل وتدرس في نفس الوقت وهذا شيء جيد.

ثم أستطرد:-

أنا لا احترم رشوان لانه حائز على الميداليه الفضيه فهذا أنجاز يحدث كثيرا ولكن رشوان كان سيلاعب ياماشيتا اليابانى الأسطوره بطل العالم ومعبود جماهير الجودو على نهائى بطوله الجودو وكان ياماشيتا مصابا بشدة في ساقه اليسرى وكانت فرصه لا تعوض لرشوان حتى يعتلى قمه رياضة الجودو في العالم ويفوز بالذهبيه.

-وماذا حدث.

-كانت حاله ياماشيتا يرثى لها ولايستطيع أستعمال احدى ساقيه ويقف على ساق واحدة فقط ولكن رشوان فاجأ الجميع ولم يقترب البتة من ساقه المصابة ورفض أن يستغل أصابته ولم يحاول أن يكون خبيثا أو ماكرا ولعب بكل شهامه بل وتعمد الخساره أحتراما لتاريخ ياماشيتا وبالفعل فقد الذهبيه ولكنه نال أحترام وحب العالم، أنهم يعشقونه في اليابان.

لاتتخيل حجم التكريم الذى ناله من مختلف بلاد العالم.

-قصه مشوقه، أنا اشعر بالاسف أنى أسمعها لاول مره.

-لكنك أكيد تعرف خضر التونى.

-خضر...؟قالها عبد العزيز وبدأ يشعر بالتضاؤل مره أخرى وأخذ يتصبب عرقا.

-ده اللى فاز بجداره بذهبية رفع الاثقال في دوره برلين ١٩٢٠ وتم أختياره من عظماء رفع الاثقال في العالم وقد سلمه الميداليه هتلر بنفسه حتى أنه قال له كنت أتمنى أن تكون ألمانيا، هتلر كان عنصريا حتى النخاع ومع هذا أطلق أسم التونى على أحد الشوارع في ميونيخ.

-معلومه مهمه جدا، أنا الحقيقه أعرف شارع يسمى خضر التونى في منطقه في القاهره تسمى مدينه نصر ولم أكن أعرف السبب، قالها وهو مازال

obeikan.com

يتصبب عرقا وخجلا.
وتمنى أن تعود كريستا لتنقذه من درس التاريخ هذا.
ولكن جرهارت لم يعطه الفرصه
-أنا أيضا كنت معجب جدا بناصر.
-أيوه عبد الناصر ده عارفه كويس.
-ناصر وتشى كانا نموذجين فريدين للرومانسيه الثوريه، الثورة من أجل الفقراء بدون الطمع في أى مكسب مادى، ربما لهم بعض الاخطاء لان افكارهم كانت مثاليه أكثر من اللازم.
-تشى..؟
-تشى جيفارا.
-أيوه عارفه والله عارفه
قالها واراد مسرعا أن يوقف نزيف الاحراج، فباغته:-
-تسمح لى حضرتك أنا ارغب في الزواج من كريستا.
ابتسم جرهارت وأقترب منه هامسا:- أنا فعليا ليس من حقى الموافقه أو الرفض.
أحمر وجه عبد العزيز .
ثم عاجله جرهارت:-ولكن من حقى أكون سعيدا بالاختيار أو ممتعضا.
ثم ربت على كتفه وقال وأنا سعيد.
دخلت الام تدفع ترولى يحمل بعض المشروبات والحلويات. وسلمت بحرارة على عبد العزيز وقال لها جرهارت عبد العزيز يريد الزواج من أبنتنا .
-أنا اعرف عنك كل شيء وأتمنى لكم حياة سعيده وقبلت جبينه.
وأمضت الأسرة الأمسية تحتفل بالضيف في سمر وعشاء وأجواء لطيفة هادئة.
وعندما هم بالرحيل تنحى به الأب جانبا وهمس في أذنه:-
- ألم يكن من الافضل أن ترتدى بدله في مناسبه مثل هذه!.

obeikan.com

كان يوم مشمس والجو منعش والشجر والورود يتراقص في كل جانب سعيدا في أحد حدائق فرانكفورت:-

-عرفت ليه ياعبدو أنا كنت أفضل أن تقابل والدى مبكرا، حتى نقضى بعض الوقت سويا ونحن في حكم المخطوبين.

-هى فاتن يمامه قالت عبدو لمين.

-أنا عرفت أن عبدو هو الاسم المختصر لعبد العزيز عندكم.

-أنتى لاتتخيلى سعادتى بوجودك في حياتى.

***

وقفت كريستا تنتظر أتوبيس النقل العام فقدعملت مع عبد العزيزفى نفس المصنع حتى يتدبرا ماهما فاعلان في المستقبل وأستاجر عبدو شقه أوسع وكانت الحياة هادئه بسيطه وبلا مشاكل حقيقيه ولكن أيضا بلامستقبل واضح.

النظام مختلف عما تعودت عليه في بلدها،حيث لم يمتلك عبدو سيارة لانه مازال يدخر مايستطيع ليوم ما، كما أنه لم يكن يحتاجها فعلا بشكل ملح.

وبدأت كريستا تعتاد على ارتياد المواصلات العامه رغم عدم دقه مواعيدها وسوء حالتها ونظافتها .

مرت في طريقها ذات يوم على أحد الصيدليات لشراء دواء كحه:-

-ممكن دواء كحه لو سمحت؟

-عندى نوع مستورد امريكى بس غالى شويه.

-لا مش مهم عايزه دوا مصرى كويس.

***

ناولها الصيدلى الدواء وهو مستاء فقد ظن أنها أجنبيه وسيبيع لها أحد الادويه الباهظه الثمن.

-ممكن كمان دوا للرشح.

-عندى نوع امريكى.

obeikan.com

-لا ممكن مصرى برضه .
وقبل أن تنصرف سالته :-
-ماذا تقصد دائما بلفظ أمريكى الذى تكرره.
-أقصد أنه ممتاز طبعا.
-أصل عندنا في المانيا عندما نقول على الشيء أنه صناعه أمريكيه فنحن نقصد أنه ردئ الصنع وغير فعال، أمريكا لاتصنع إلا الاسلحه فقط.
وقف الصيدلى مندهش من هذه السيده و كيف أنها تهدم الثوابت بهذه السهوله.
مر أربع شهور على هذا الحال وبدأت تنتابها حاله من الملل حتى كان يوما موعودا عندما أرتادت الفتاة الألمانية الوافده أحدى سيارات النقل العام وكان مزدحما على غير العاده،وقف

***

أحد الركاب خلف كريستا وكان ينتهز أى فرصة للالتصاق بها مع أهتزازات السياره و كانت هى متأففه جدا ولكنها لم تكن ترغب في الشجارحيث انها منذ أفاقت من نومها والحاله المزاجيه سيئة للغاية ولا تريد أن تزيد الطين بلة وآثرت الصمت ولكن الرجل تمادى ووضع يده في حقيبتها، وعندئذ خرج المارد الالمانى الكامن من سكونه والتفتت اليه ولطمته بشده على وجهه عدة لطمات وأمسكت به من ملابسه والرجل في حاله ذهول والركاب كذلك وقالت موجهه كلامها للرجل بلهجتها الركيكه :-لقد أعتقدت أنك شخص قليل الادب وتريد أن تمسك أشياء ليست من حقك ولكن أن تكون قليل الادب وحرامى كمان،فهذا كتير ثم أنهالت عليه باللطمات مره أخرى.
هناك من الركاب من كان يضحك من طريقتها في التعبير والكلام وهناك من تعاطف مع المتحرش واستعطفوها أن تتركه ويكفى ماناله.
ولكنها تشبست برايها وصممت أن تذهب إلى قسم الشرطه بالاتوبيس، حاول السائق المصالحة ولكنها أشارت له بلهجه آمره أن يتجه إلى الشرطه

وأنصاع السائق لاشارتها وخصوصا أنها اجنبيه قد تسبب له مشاكل.

***

كان الضابط يتناول أفطاره مع كوب الشاى عندما وجد سيدة شقراء تمسك رجل من قفاه ويلتف حولها بعض الرجال.

-لو سمحت الراجل ده حرامى وقليل الادب ماهى الاجراءات المتبعه؟

-هو عمل أيه بالظبط؟

-هو كان واقف ملتصق بى يحاول يمسك ما ليس من حقه.

-وبعدين؟

-كمان طلع حرامى وحاول يسرق حقيبتى.

-طيب نعمل المحضر بأى تهمه فيهم .

-الاتنين لو سمحت.

-بس على فكره تهمه التحرش دى يعنى راح في داهيه تلت سنين عالاقل .

-هو التحرش ده اللى بيمسك.

-أى نعم.

-طب والسرقه.

-النشل ممكن ٦ شهور ويستطيع بعدها الخروج و مزاوله حياته.

-ممكن ثانيه لو سمحت.

وأتجهت إلى المتحرش حيث كان واقفا ذليلا في احد الزاويا مكبلا بالاغلال وبجانبه شرطى وأقتربت منه وقالت :-

-لو أنا اتنازلت عن تهمه التحركش دى توعدنى تتجوز أول ماتخرج وتبطل قرف.

-ده انتى حاتسترينى من الفضيحه وقله القيمه والبهدلة، ده أنا ابوس ايدك ورجلك.

-لا يازفت ابقى بوس ايد مراتك يالا أوعدنى.

-أوعدك اتجوز على طول.

obeikan.com

-خلاص حأتنازل عن محضرالتحركش بس، أنما النشل دى إعتبرها قرصه ودن.
ثم أتجهت للظابط:-
-ممكن نعمل محضر نشل فقط لو سمحت.
كان المنزل هادئا وكأنه خالى من السكان عندما فتح عبدو الباب ودلف إلى داخل البيت وهو ينظر في ارجاؤه باحثا عن حفيدة هتلر حيث أنها لم تظهر طوال اليوم ولم تذهب للعمل ولم تجيب اتصالاته الهاتفيه.
وجدها جالسه تشاهد أحد افلام الابيض والاسود وهى تحتسى فنجانا من القهوه التركى التى أتقنت صنعها وأعتادت عليها واضعة ساقا فوق ساق وتهزها بحركة روتينية وكان من الواضح أنها تحاول أن تخلق حاله من الهدوء والسكينه وعدم الاكتراث .
عبدو:-خير في أيه ولماذا لم تجيبى أتصالى.
-لاشئ لقد كنا نحتاج إلى نقطه تحول.
-لماذا أن الامور تسير على مايرام.
-لقد بدأنا نتناسى طموحاتنا وأخشى أن تلهينا متطلبات الحياه ومشاغلها وتحولنا إلى مجرد موظفين ننتظر الراتب كل شهر.
-وماذا حدث!
-موقف تافه لايستحق أن نتحدث فيه ولكنى احتسبته نقطه تحول في مسار حياتنا وشرعت في أتخاذ بعض الاجراءات التصحيحيه، أنت تمتلك بعض المدخرات؟
-أيوه.
-وتمتلك علاقات جيدة في الداخل والخارج وخبرة ممتازة!
-تمام.
-هذا يعنى أننا لن نبدأ من الصفر.
-مازلت لا افهم.
-كل مانحتاج اليه بعض المال حتى نستطيع العمل بأنفسنا ولأنفسنا ونستغل

openkan.com

طاقتنا ومواهبنا اذا كانت موجوده فعلا،وقد أستطعت تدبير هذا.
-كل هذا فعلتيه في يوم.
-أيوه أقنعت جرهارت أن يكون شريكنا وسنبدأ بمصنع صغير ونرى ماذا الدنيا فاعله بنا وربما نتوسع بعدها ولكن دعنا نتحرك خطوة خطوة وسيكون لدينا سيارتنا التى تليق بنا كأصحاب أعمال وسنبدأ في الاجراءات خلال يومين.
جلس عبدو مذهولا ينظر لها ولايدرى ماذا يقول ثم قام وخرج من الغرفه وهو يقول:-هو أنت متزوجه من كنبه أسطنبولى لا رأى لها!
-أنا متزوجه من أنسان مبدع وذكى عانى الكثير ويستحق أن يكون في وضع أفضل حتى يستخرج كل طاقاته ومن أجل هذا الإنسان تركت بلدى وأنا سعيدة، بل وسأتنازل عن جنسيتى الألمانية قريبا من أجل هذه الكنبه الاسطنبولى.
-تتنازلى عن جنسيتك الألمانية لماذا! لا مش معقول لاتتسرعى فكرى كويس.
-حتى أستطيع العمل في مصر بحرية وأن أشعر أنها بلدى ومستقبلى لابد أن أكون مصرية الجنسية والمانيا لاتسمح بأزدواج الجنسية يعنى مع الاسف لايوجد حل أخر.لقد قرأت كيف أستطاع المسلمون قديما أجتياح أسبانيا والبرتغال،لقد حرق طارق بن زياد المراكب حتى يشعر جنوده بأنه لا طريق للعودة ولا يوجد إلا طريق واحد للنجاة.
وأنا مضطره لحرق المراكب.
-أنا لا أريد أن أكون سببا في حرق مراكبك.
-لا تخف أستطيع في أى وقت أستعاده الجنسية مره أخرى بشرط أن أتنازل عن الجنسية المصرية ولكن أرجو الا أحتاج إلى هذا. ولن أسمح بتكرار التحرش مرة أخرى.
-تحرش ! هو أنتى كنتى فين النهارده.

في كل خطوة خطاها الأثنان ظهرت أبداعاتهما وطموحهما وكانت القفزات سريعة واثقة وأصبح لهما مكتب في القاهرة وبورسعيد.
وأنجبت كريستا ثلاث أولاد عونى وعماد وعلاء وقد أتخذت لهم أسماء تبدأ بحرف العين حبا في عبدو.
وقد أنهى عونى دراسة كليه الصيدله وعماد كليه الطب وكانت تظهر عليهم علامات التفوق دائما أما علاء فقد أنهى مؤخرا دراسته في أحدى الجامعات الخاصه بكليه أداره الاعمال حيث أنه حصل على مجموع لايؤهله لكليات القمه.
أما عونى فقد أنهى دراسته من عامين وعمل في عده وظائف بشكل غير مستقر ونفس الحال بالنسبه إلى أخيه عماد.
أفاق الحاج عبد العزيز من ذكرياته وكان مازال جالسا في وضع شبه نائم على شزلونج وبجانبه عده أكواب تدل على أنه احتسى الكثير من الشاي والقهوه.
أمضى ليلته في التفكير حتى غلبه النوم وصحى في اليوم التالى وهو عازم على شيء ما وقد أتخذ قراره، ولملم أشياؤه البسيطة وشرع في العودة إلى القاهرة راضيا على ما أستقر عليه بعد تفكير وتأملات وذكريات.

***

عبد العزيز ممددا على السرير تبدو عليه علامات التعب والارهاق ثم نادى على عونى:-
-ياعونى تعالى وهات أخواتك معاك.
الثلاثه يقفون حوله وهو يدعى المرض بل ويسعل.
علاء:-مالك يابابا ده أنت كنت زى الفل ايه اللى حصل فجاءة!
-مش عارف يظهر بقى حسن الختام.
عونى:-ختام مين بس ياحاج ماتروق كده.

-لاتقاطعونى لو سمحتم أنا جمعتكم عايز أقولكم كلمتين مهمين أجلسوا.
ثم نظر فجاءه خارج الغرفه وقال:-
-ياولاد الكلب كلكم هنا وسايبين النور والع بره، ماطبعا مولد وصاحبه غايب، يعنى أنا تعبت يومين بس، البيت باظ.
جرى أحدهم لأطفاء الانوار وعاد مسرعا.
-بأختصار أنا ومامتكم مش مطمنين عليكم وعندنا شعور أنكم لم تتعودوا الاعتماد على أنفسكم ونحن لن نعيش لكم مدى الحياه أنها سنه الحياة أجيال تتسلم من أجيال، لقد كانت رحلتى مختلفه عنكم في كل شيء وربما كان هذا سببا لوجود حافز دفعنى للنجاح وأثبات الذات، بل ولم يكن فقط أثباتا للذات ولكن البحث عن طوق للنجاة من العوز وقله الحيلة.
عونى:-ربنا يديك الصحة وطول العمر ياحاج، نحن بدونك لاشئ.
-هو ده مربط الفرس أنا عايز كل واحد فيكم يعتمد على نفسه تماما ويكون له طموحاته الخاصة وأحلامه وأنا اكون مجرد مستشارا لكم وقد أنتظرت حتى ينهى علاء دراسته حتى تبدأو مواجهه الحياه فعليا وبقوة.
-مش فاهمين حاجه (قالوها في صوت واحد)
-أنا عايز كل واحد فيكم يعتمد على نفسه تماما لمده خمس سنوات يستقل بحياته ويضع خطوات ثم يبدأ في تحقيق الخطوات، لن يحقق أحد حلما أذا لم يكن هناك حلم من الاساس.
عماد:-بس دى حاجه غريبه لم أسمع عن أى من أصدقائى فعل هذا .
عبد العزيز:-لقد كانت كل حياتى غريبه ومختلفه عن الأخرين ولم أقارن نفسى بالاخرين، وأنا لن أترككم ولكن سأراقبكم من بعيد ومن يفشل منكم سيجد غرفته كما هى وسيكون وقتها ملزما أن يعمل معى وتحت آمرتى.

ومن ينجح سأكون مطمئنا عليه وسأساعده ليطور أعماله أكثر وأتمنى من

الله أن أكون موجودا على قيد الحياه طوال الخمس سنوات.

***

كانت كريستا جالسة تضع ساقا على ساق وهى غاضبه وتهز ساقها بحركه متشنجه عندما لمحها عبد العزيز:-

-مالك ياعم هتلر أنا عارف القعده دى غالبا بيكون وراها مصيبة.

-أولا أنا لست هتلر وأنت تعرف ماذا فعل بنا هتلر،ثانيا ماذا أنت فاعل بأولادى!

-نعم!مش دى كانت أفكارك، ودائما تقولين الاولاد تربوا بطريقه مختلفه عنى ونشئوا بدون أى مشقه ولايوجد لديهم الحافز ولا الدافع ولا الحماس وطلبتى منى البحث عن طريقه لزرع الاعتماد على النفس وأنتى تعلمين جيدا أن الحاجه أم الاختراع وهم ليس لديهم الحاجة فاضطررت أن أختلق الحاجة.

-ولكنك تلقيهم على قارعة الطريق.

***

-لا طبعا انهم فلذات كبدى لقد وعدتهم بأن أتابعهم وأكون دائما خلفهم.

-ولكن خوفهم من الفشل سيجعلهم لايلجأون أليك.

-لقد حيرتينى، لقد أتخذت قرارى وصعب الرجوع فيه.

-لقد أبلغتهم أننا أتفقنا أن نعطى كل منهم مائة ألف جنيه كدعم حتى لايبدأ من الصفر تماما.

-كما ترين.

***

مقهى بسيط في حى شعبى وأحدى أغانى أم كلثوم، نعم مازال الناس يستمتعون بصوت وموسيقى والحان أم كلثوم التى كانت تنبعث من المقهى مختلطه بدخان التبغ حيث أن هناك حوالى ثلاثون حجر على الاقل من التبغ المختلط بالعسل تحترق في نفس اللحظه ليتنفسها الجالسون ويمتصون مابها

obeikan.com

من نيكوتين ثم ينفخون ماتبقى دخانا كثيفا لايقل كثافه عن عادم أى سياره من موديلات السبعينات حيث أن الموديلات الحديثه محبة للبيئه، فتخرج عادما اقل ومن بين الجالسون كان علاء ومعه صديق عمره شناوى يمارسان الرياضه الوحيده التى يجيدانها

***

وهى شرب الشيشه ويحتسون القهوة وعندما ينتهون منها يحتسون الشاى وهكذا وحكى علاء مادار من حوار بين أبيه واخوته:-

شناوى:-أبوك ده غريب،دى أول مرة أرى أحد يتصرف هكذا.

علاء:-المشكله ستكون في أنا، أخوتى الاتنين سيتمكنان من التصرف ولكن ستكون المأساه عندى.

-ولماذا تفترض هذا، الوضع متساو بينكم.

-لا طبعا،أخوتى متفوقان دائما وسيتصرفان بحكمه.

-الذكاء الاجتماعى وحسن التصرف ليس له علاقه بالتفوق في التعليم.

-يا أبنى أفهم بقى أنا غبى.

شعر شناوى بالخجل ونظر في الارض وقال :-

-لا ارجوك لاتقول عن نفسك هذا، أنا لم أشعر يوما أنك ..... كده(متلعثما).

-ياشناوى ماتحاولش تقنعنى أنا متأكد.

وخلال هذا الحوار العجيب الذى يحاول شخص أقناع الاخر أنه طبيعى ولكن الاخر مصمم أنه غبى رن هاتف شناوى المحمول:-

-الو خير، بابا أمتى..... أنا جاى حالا.

وهب واقفا وقد تغير وجهه.

-في أيه .

-بابا تعبان جدا في غيبوبه.

-أنا جاى معاك.

وهرول الاثنان.

obeikan.com

***

كان السائق يقودالسياره مسرعا وجانبه علاء وفى الخلف الاب ممدا على الكنبه الخلفيه وشناوى يحتضنه ويحاول افاقته،ثم بدأ الاب يصدر أصواتا غريبه وقال شناوى بهلع ده أيه ده ياعلاء!

رد السائق ببرود :-دى تشخيره الموت ياباشا، اصل عمى لما خبطه القطر قبل مايموت عمل نفس الصوت.

أخذ شناوى يبكى .

وقال علاء للسائق:- تعرف تسكت يازفت أنت.

علاء:-أحنا نروح مستشفى أم المصريين لانها أقرب مستشفى وكمان عماد أخويا فيها وهو يوجهنا نتصرف ازاى.

لم يرد شناوى حيث أنه كان كالغريق يتعلق بقشة.

وصلا المستشفى،زحام على باب الطوارئ لايسمح أصلا بالدخول وشخصان واقفان لايسمحان لاحد بالدخول وكل منهم ممسك بخياره في يده يأكلها بتلذذ غير مكترث بأى تلوث :-

-لو سمحت معانا مريض عايزين ندخله بسرعه.

-ممنوع ياباشا (قالها أحدهم بعد أن قطم قطمه من الخياره).

-بس ده في غيبوبه.

-برضه ممنوع ثم أخذ قطمه أخرى في حركه روتينيه تدل أنه يقضى يومه يأكل خيارا.

-طب ممكن أدخل للدكتور عماد عبد العزيز .

-ماجاش النهارده.

دفعه علاء بكل عنف وهرول إلى الداخل ووجد عماد جالسا مع مجموعه من الاطباء يضحكون ربما كان أحدهم يقص موقف فكاهى أو نكته ويتناولون بعض الساندوتشات والمخللات.

وجذبه من يده من وسط اللفيف وجرى به :-

openkan.com

-أبو شناوى تعبان خالص في غيبوبه.
أشار عماد لاحد الممرضين للحضور ورائهم مسرعا ومعه ترولى، قام عماد ببعض الاجراءات السريعه مثل سماع النبض ورؤيه حدقه العين ووضعوه على الترولى، أنخلعت عجلات الترولى وجرى الجميع لالتقاطها واعادتها مره أخرى وكان الترولى يئن ويصدر أصواتا وكأنه هارب من متحف وزاره الصحه وعندما تدفعه للامام يذهب إلى اليمين فتضطر أن تدفعه إلى اليسار حتى يتجه إلى الامام ثم فجاءة وبدون سبب مقنع ينصاع إلى رغبتك ويتجه يسارا فيصطدم بالحائط ويرتج المسكين الماثل فوقه.
وعندما وصلا إلى المصعد كان عامل المصعد يتحدث مع زميله في موضوع هام ولكن واضح أنه حديث ممتع حيث أن الاثنان مبتسمان وعامل المصعد تاركا باب المصعد مفتوحا على مصراعيه ويأكل جزرة وقال بلامبالاه المريض والدكتور بس اللى يطلعوا معايا والاقارب على السلم لو سمحتم.
صعد علاء وشناوى السلم قفزا وقال علاء متسائلا :- هى الناس كلها بتاكل ليه وايه اللى مخليهم مبتسمين كده على طول.
كانت غرفه العنايه تقريبا بلا أجهزه على غير المعتاد في المستشفيات ولكن هناك بقايا أجهزه مازالت معلقه بالحائط ولكن عند طلاء الغرفه بالجير تم طلاء الحائط مع هذه البقايا، أعتمد عماد على مجهوده الشخصى وعلق له محلولا مع بعض الحقن وطمأنهم أنها غيبوبه سكر بسيطه وأنه يحتاج متابعه منتظمه فيما بعد أفضل من هذا .
تحسنت حاله الحاج أبو الشناوى وبدأ يتنبه ويتكلم معهم ولكن فجاءه حدثت أصوات تشبه الزلازل عندما تختلط بالبراكين وأصوات ابواب تغلق وزجاج ينكسر ثم جاء عماد مهرولا وقال -علاء خد الشناوى والحاج وبسرعه من هنا .
-أيه اللى حصل .
-أصل في مريض مات وأهله صعايده وبيكسروا في غرف العنايه.

-بس دى مكسرة أصلا ياعماد!

***

المكان:-صيدليه في حى شعبى مزدحم وعونى يقف خلف فاترينه بها بعض أنواع من الشامبوهات والبلسم المحليه الصنع

أحد الزبائن:-أسبرينة نوفالجين للصداع لو سمحت.

-يعنى عايز أسبرين ولا نوفالجين!

-مانا بقولك أهو أسبرينة نوفالجين يابنى.

ناوله عونى أى قرصين للصداع وجدهم أمامه في هذه اللحظة وتناولهم الرجل وخرج راضيا.

زبون اخر :-فوار ياباشمهندس لو سمحت.

-فوار للهضم ولا للكلى ولا للكبد!

-شوف أنا بدخل الصيدليه اللى على أول الشارع بقوله فوار بيعرفه على طول بصراحه الصيدلى هناك شاطر أوى.

تظهر علامات الامتعاض على وجه عونى:-طالما شاطر أبقى روح له بعد كده وأنا مش باشمهندس.

وناوله أى فوار قريب منه وهو في حاله قرف.

***

طفله صغيره:-والنبى ياعمو الدكتور أدينى الروشته دى بس أوعى تجيب بديل لحسن ده لست كبيره.

نظر عونى في الورقه المتسخه :-بس اللى مكتوب في الورقه مش دوا ده المهلك بتاع الفيران.

-أيوه مانا بقولك أوعى تجيب بديل.

ذهب يحضر المهلك وهو يبرطم ويلعن اليوم الذى جعله يحصل على مجموع يدخله صيدله ثم الذى جعل أبوه يتخلى عنه.

خلت الصيدليه من الزبائن لوهلة.

obeikan.com

جلس عونى مرهقا في أستراحة محارب، ثم امسك بالهاتف:-
-أيوه ياحاج محمد شوف لى عقد كويس وبسرعه لحسن أبويا لبسنى في الحيط.
،أيوه السعوديه، الامارات، الكويت أى حاجه.

***

جلس علاء وشناوى على أحد ضفاف النيل يصطادان السمك
شناوى:-مش حأنسى وقفتك معايا ياعلاء ولا الدكتور عماد أنتو طول عمركم ناس ولاد أصل وطيبين.
-يابنى عيب الكلام ده أحنا اخوات، المهم أبوك عامل أيه .
-بقى تمام وماشى عالعلاج اللى قال عليه الدكتور عماد.
-طب الحمدلله بس ركزوا معاه وقيسوا له السكر بأنتظام لحسن الغلطة بفوره.
-أنا فكرت في كلامك، هو أنت متاكد أنك غبى فعلا ياعلاء.(قالها ثم نظر في الارض بخجل)
-يابنى عيب أنا عارف نفسى.(قالها وهو في حاله رضا ومصالحه مع النفس وكأنه يتكلم عن شخص أخر)
-طيب شوف أحنا عندنا شادر في العبور وأبويا كان بيستعمله مخزن وأنا ممكن أخده منه وأبدأ به عملى الخاص بعيدا عن أعمال أبويا لو تحب تشاركنى وأيدى على ايدك ودى شغلانه مش محتاجه ذكاء وانتو ناس كمل والواحد يشارككم وهو الكسبان.
-شوف أنا أبويا ادانى ١٠٠ الف جنيه ممكن اشاركك ب٨٠ الف وأخلى معايا ٢٠ أصرف منهم لغايه ماخلص فتره الجيش،
بس ليك عليا أطلع من الجيش كل يوم حمامه أكون عندك وأى أجازات أو تزويغات تلاقينى معاك.
-نقرى الفاتحه.

obeikan.com

***

كان الوقت متأخر وطبق ضخم من الفشار يتوسط المائده وعلاء وعماد يتجاذبان أطراف الحديث وكل منهما يغوص بيده لتخرج بكميه لابأس بها من الفشار:-

علاء:-أيه يابنى المستشفى دى، ده لولا وجودك كان أبو الشناوى راح مننا.

عماد:-هو ده الحال في معظم مستشفيات الحكومة، بينى وبينك أنا كنت ساكت ومريح على كده بس بعد موضوع أبوك ده بدأت أشوف أى سكة ألحق بيها نفسى.

-والغريب ياعماد أن الناس عندكم مبتسمة وكلهم بياكلوا!

-دى حاله لامبالاة،لما بتوصل لقناعه معينه أنك لن تستطيع التغيير بتصاب بحاله أسمها:-

Indifference

-طب وأنت ناوى تعمل أيه!

-الفلوس مش حاتكفى أعمل معادله في امريكا، في واحد صاحبى بيشتغل دكتور في اليونان عرض عليا أشتغل معاه طول الصيف في جزيره أسمها سنتورينى، طبعا حاكون أدارى وممكن امارس الطب بصوره غير رسميه لانى لا املك ترخيصا بمزاوله المهنه في اليونان وكمان الحالات بتكون سجحات أو كسور بسيطه وبعدها سأذهب لامريكا لعمل معادله.

-ياه، ده أنت رحلتك طويله أوى.

-أمال أنت حاتعمل أيه!

-لاياعم، أنا قاعد هنا، حاشتغل كده على أدى مع الشناوى،منك لله ياحاج عكننت علينا شويه الروقان دول.

لون أصفر و مناطق صحراويه قفراء عندما نظر عونى من نافذة طائرة الشركه السعوديه للطيران ولايوجد أى شكل من أشكال الحياه أو اللون

obeikan.com

الاخضر وتحدث إلى الشخص الجالس جواره
-هى المنطقه دى صحراويه كده ليه!
-أصل الطائره متجه إلى الرياض والرياض تقبع في عمق المنطقه الوسطى حيث لايوجد بحار ولا أنهار ولا مراعى خضراء ولكن ربك دائما يظهر آياته و رزقهم ببترول يخرج من باطن الارض يعوضهم عن كل هذا
-هو أنت رايح فين!
-أنا متجه إلى منطقه تسمى الدوادمى.
-ربنا معاك .
-دى منطقه حلوه!
نظر له الرجل نظره عطف وقال:-
- لايهم الموقع نحن هنا من أجل لقمه العيش وفى النهايه كلها سعوديه وكلها غربه.

-مانا قلت كده برضه للمكتب اللى جابلى العقد مش حاتفرق كتير.
نظر له مره أخرى نظره رحمه وشفق.
-شد حيلك يابنى أنت لسه شباب،أنت لما تنزل خد أى سياره اجرة لموقف النقل الجماعى وهناك حاتلاقى حافلة توصلك للدوادمى.

***

مطار الرياض منتهى الفخامه شلالات المياه والمقاعد الوثيره وعلامات الثراء واضحه في كل ركن ولكن لاتسمع أحدا يضحك والابتسامات نادره والوجوه جاده وصارمه بلا سبب واضح فعلامات الثراء لاتنعكس على الملامح ولكن العبوس والتجهم هو السائد.
لم يهتم عونى كثيرا،فلديه طاقه أيجابيه مختزنه وروح ساخرة تكفى قاطنى مدينه بأكملها بل وتفيض.
وصل إلى موقف النقل الجماعى والقيظ شديد وسال أحد المواطنين

obeikan.com

السعوديون :-
-لو سمحت الائيش قافله تروح الدوادمى.
-أيش الائيش هذى!
-يعنى محتاج قافله تروح الدوادمى.
-كيف قافله!
-أقصد حافله.
-أنت ماتعرف عربى، الحافله هناك أذهب بسرعه.
أخذ عونى يبرطم وهو يمشى مسرعا (وهو يعنى حافله دى عربى،لا البدايه كده مش حلوه خالص.)
وصلت الحافله إلى بلده الدوادمى بعد أن قطعت مسافه ٥٠٠ كيلو من الصحراء. البلدة قاحله صحراء جرداء لازرع فيها ولا ماء والحر شديد ولا يوجد أى لمسه جماليه أو شجره خضراء واحدة توحد ربنا ومعظم السيارات نصف نقل ولايوجد نساء، الجميع رجال والمبانى لاتتعدى طابقين والمساحات بينها شاسعه وأخذ يحدث نفسه(منك لله ياحاج عبدو).
أستقل سياره نصف نقل وأخيرا وجد الصيدليه الموعوده التى تعاقد على العمل بها ودلف داخلها وهو شاحب ومكفهر ولكن لفحت وجهه نسمات هواء بارده قادمه من جهاز تكييف تم ضبطه على درجه ١٦ حتى يقاوم وعوره الطقس والطبيعه.
وظهر من بين أكوام الكراتين التى تحتوى على الادويه وأدوات الحلاقه ومستحضرات الاستحمام شخصا ذو لحية كثيفة ويرتدى جلبابا أبيض، وحاول أن يكون مرحبا وقال بأبتسامه مرهقه أكيد أنت عونى عبد العزيز،أشار عونى بعلامه النصر بأصبعيه وعلامة الايجاب برأسه وكأنه جندى عبر قناة السويس ثم خط بارليف لتوه وهو ممقتع الوجه زائغ النظرات.
-أنا اخوك وزميلك سعادات، سنتقاسم سويا العمل والسكن وقد أبلغنى صاحب الصيدليه بموعد قدومك وسيتم مباشرة أجراءات أقامتك غدا بأذن

الله.
وأراه غرفته كان بها سرير ودولاب مشمع وحبل غسيل يمر بعرض الغرفه وكان القاطن السابق للغرفه يحاول أن يجود في الناحيه الجماليه فكان يلصق علب السجائر الفارغه على الحائط
في أشكال فنيه عشوائيه، يعنى الشكل العام يشعرك بأن الايام القادمه سوداء،أستلقى على السرير وبدأ عقله الباطن يعزف أغنيه (يامنفى) التى كان يحب سماعها وهى أغنيه فلكلوريه جزائريه تحكى عن الفتره التى كان ينفى فيها الفرنسيون الجزائريون أصحاب البلد الاصليين خارج الجزائر وأغرورقت عيناه بالدموع فهى أول غربه له خارج الوطن ومن الواضح أنها ستكون قاسية.

***

وقف علاء سعيدا أمام الشادر بعد تجهيزه وتعليق يافطه عليه وأعداد مكان لوقوف سيارات النقل وأرفف وكل مايلزم لبدء العمل وأخذ يقلب المكان بعينيه يمنة ويسرة ويديه في وسطه ثم وجه كلامه لشناوى:-
-حاجه جميله ياشناوى بس ليه الاسم الغريب ده، حد يسمى شادر فاكهه وخضار شادرهتلر.
-الاسم جديد ويشد العين وحايبقى مميز.
-أيوه بس أيه علاقته بينا!
-أزاى بس !هو أنت نسيت أنك من أحفاد هتلر.
-أنا!
-أنت ناسى أن امك المانيه، يعنى هتلر يعتبر من أجدادك.
-هو الاسم ده حايجيب معاك شغل يعنى ياشناوى.
-أيوه حايعلم مع الزباين.
-طيب أنا حأعديها وأعتبر أن هتلر من أجدادى، مع أن أمى مش بتحبه أصلا.

-أظبطلك بقى فطار جامد أحتفالا بالافتتاح .
ثم ذهب إلى شخص جالس على السلالم ونكزه فنظر الشخص خلفه وتكلم معه شناوى بلغه الاشاره مما يدل على أن هذا الشخص أخرس ثم وقف الاخرس وأشار لشخص أخر وتحدث معه بلغه الاشارة وبعد قليل حضر هذا الشخص ومعه عدة أكياس تحوى طعميه وزيتون وأجبان وفول وخبز بلدى.
وأفترش علاء وشناوى منضده خفيفه حتى أمتلئت عن أخرها ثم قال علاء لشناوى :-
-ماتعمل ساندوتش للواد الاخرس ده شكله غلبان أوى، شوف ياأخى واد أخرس كده بس قادر يشتغل ويتعامل وكأنه شخص عادى.
كان شناوى يأكل وهو غير مبال وقال:-
-سيبك منه.
أستغرب علاء من أسلوب شناوى الذى يتسم بعدم الانسانيه والانانيه المطلقه وعدم الرحمه وقام بنفسه وذهب للاخرس وأشار له للحضور للافطار معهم.
خطا الاخرس خطوتين ثم نظر للطعام ثم أشار وهو ممتعض فنظر علاء لشناوى للترجمه، فقال شناوى بيقولك :-لا
علاء:- طب ليه.
فقام الاخرس بحركات بجسمه كانه طائر، فقال له شناوى بيقولك هو كل فراخ مشويه ثم أستكمل الاخرس الحركات التعبيريه وكأنه يمسك شيئا بيده فقال شناوى وكمان كل كفته مشويه عالسيخ .
شعر علاء بالدونيه:-
-الواد ده كل فراخ مشويه وكفته عالفطار واحنا بناكل طعميه !
-مانا قولتلك سيبك منه.
ثم أقترب الاخرس أكترونظر إلى الطعام الماثل امامهم ثم عمل دائره باصابعه وسد أنفه.
نظر علاء لشناوى قائلا:-

obeikan.com

-ترجم ياعم المترجم.
-بيقولك ماتاكلش من الطعميه دى لان الزيت قديم ومزنخ.
نزل عماد في مطار اتينا ثم ارتاد سياره أجره إلى ميناء بيريوس وكان قد حجز رحله من بيريوس إلى جزيرة سنتورينى عن طريق مكتب توماس كوك القاهرة.
الباخره حديثه ومجهزه بسينما وكل أسباب الرفاهيه وبعد ساعة أبطئت الباخره سرعتها ثم وقفت بمحاذاة أحد الجزر فهم عماد بالنزول وحمل حقيبته وقبل النزول سأل فتاه جميله تجلس بجانبه :-
-هل هذه جزيره سنتورينى؟
-لا هذه اندروس .
-أذن المحطه القادمه جزيره سنتورينى ؟
-لا سنتورينى بعد حوالى ٥ جزر .
-هل أنت جاده؟
-نعم سنتورينى بعد حوالى ٥ ساعات عالاقل من الان؟
(الله يخرب بيتك ياحمدى ماكنت أشتغلت في اندروس دى وخلاص)قالها وهو يبرطم مع نفسه بصوت هامس.
الرحله تستغرق حوالى من ٥ إلى ٦ ساعات وتقريبا كل ساعة تقف الباخره حوالى ربع ساعة لانزال بعض الركاب على أحد الجزر فسوف تمر الباخره على حوالى ٤ جزر أخرى، أذن لامناص إلا بالاستمتاع بالرحله وعدم الاهتمام بعنصر الوقت وجلس على أحد المقاعد المريحة على سطح الباخرة وأعد نفسه لمشاهده الجزر والركاب وهم ينزلون وغيرهم يركبون وكانت الجزر جميعها تتسم بالبساطة والناس في حالة من الهدوء والاستمتاع وكل شيء يتم في سلاسه وسهوله – كان كل شيء جميلا وبسيطا نفس الوقت.
أخيرا وصلت الباخرة للجزيرة المختارة نزل عماد الدرج وبدأ يعتمد على نفسه في البحث عن موقف الباصات حتى وجده بدون مشقة تذكر،وأستطاع

التعرف على الباص المناسب الذى سيوصله للفندق الموجود به العياده وكان معظم الركاب بالمايوهات البكينى أو الشورتات رغم أن الوقت ليلا.
دخل دوره مياه مسرعا ومحصورا ووقف أمام مبولة الرجال وقبل أن يفتح سوستة البنطلون وجد فتاه تقف أمام مرآة بجانبه تمشط شعرها وفتاتان اخرين تتحدثان بجواره، لملم حاله وخرج مسرعا خجولا ظنا منه أنه دخل دورة مياه السيدات ونظر خارجا وجد علامة الرجال والنساء بجانب بعضهما على باب دورة المياه، أذن الحمامات مشتركه في هذه الجزيره ثم تمتم (الله يخرب بيوتكم، كتكم القرف).
أستقبله حمدى بالترحاب والاحضان وقام معه بزياره سريعه للعياده والسكن، الارضيات بلاط بسيط و الاسره عاديه جدا حتى غرفه الكشف في منتهى البساطه ولكن كل شيء نظيف ثم خرجا للتمشى حول الفندق، المبنى من دورين ومطلى باللون الابيض والنوافذ باللون الازرق ثم لاحظ أن جميع المبانى في الجزيره بنفس النمط، حتى أرضيات الازقه مطليه بالابيض والازرق ولايوجد شوارع بالمعنى المعروف، كلها أزقه ضيقه إلا شارعين ضيقين أيضا بهم السوق والبازارات.

***

خيم الليل على الفيلا الكائنة في حى مصر الجديدة وكان يلفها الظلام والهدوء فقد ذهب منها الشباب رمز النشاط والتمرد واللامبالاة وتمترست بها الرزانه والحكمه والخبره.
كانت كريستا وعبدو يجلسان في غرفه النوم تارة يقراءان وتارة يشاهدان بعض مقاطع من التلفاز .
-ياترى اللى عملناه ده كان تصرف سليم ياكريستا.
-لا ادرى ولكن عندكم مثل يقول أن قلت ماتخافش وأن خوفت ماتقولش،يعنى لانملك إلا الانتظار ونأمل في نجاح أولا دنا فنحن لن نعيش لهم مدى العمر ولابد أن يكون لديهم الحافز للتحدى ومواجهه الحياة

وسنتابعهم ونكون دائما دعم لهم في حاله فشل أحدهم.
-كل مأخشاه أن يكونو قد توارثوا منا العناد وعدم الاستسلام للفشل مما قد يضر أحدهم.
-أعتقد أننا لم نقصر في تربيتهم من ناحيه الاصول والمبادئ وحتى الدراسه كانوا في أفضل المدارس ثم من الناحية الجامعيه كانو دائما الافضل أيضا، لا تقلق وأعط مساحة للقدر ولهم أيضا. ولتعلم أن القلق معدى وأنا متماسكة ولكن لن أظل هكذا طويلا فلا تنسى أنى أم فلا تضغط على كثيرا.

***

بدأ عونى يعتاد العمل رغم أختلاف درجات الحراره المتباين فدرجة الحراره داخل الصيدلية حوالى ١٦ وخارجها لا تقل عن ٥٥ رغم مايعلن عن أنهالاتتجاوز ٤٥ درجه ابدا والحياة تشبه كثيرا معتقل كبير مفتوح، من المسموح التزاور مع الزملاء مساء ومشاهده التلفاز ولكن تقريبا الجميع ملتحون ويرتدون الجلباب الذى يسمى باللهجه السعوديه الثوب وكل صيدلى يستغل اوقات الفراغ في الصيدليه في قراءه كتب التفسير والحديث ويعمل كل صيدلى مده ١٢ ساعة بالتبادل مع زميله في الصيدليات المناوبه(التى تقدم الخدمه الليليه) أما الصيدليات الغير المناوبه فتكتفى بصيدلى واحد يقوم بكل العمل.
الحياه رتيبه، نادرا مايقول أحد الزبائن لو سمحت أو من فضلك ولكن دائما الطلب بطريقه فظه بلهجه الامر.
كان سعادات يتقن بعض أنواع الطهى وبدأ عونى يتعلم منه، بدأ اولا بأعداد السلطة ثم الفول والبيض بانواعه ثم أتجه إلى أعداد الارز والفاصوليا والباميه باللحم.
ولكنه كان يشعر من داخله أنه يتحول إلى جثه متحركه فأنه يقف بالصيدليه ثم يطهو الطعام ثم ياكل ثم يتخلص من فضلاته ثم ينام وحتى لو تزاور مع بعض الزملاء فيكون الوضع أشبه بجثث متحركه تتزاور حيث لاشئ له طعم

أو نكهة أو روح، ولم يكن هناك مايسعد زملاؤه ويخرجهم من هذا المناخ سوى الاتصالات الهاتفيه للوطن فهى تعيدهم لحالتهم الطبيعيه وتذكرهم بأهلهم وتشعرهم بأن مايفعلونه يسعد الأخرين سواء أب مسكين أو اخ يستكمل دراسته أو أخت تستعد للزواج ولا تطيق الاسرة اعباؤه وتكاليفه وتحتاج إلى الاخ الشهم،حتى هذا كان عونى محروم منه فقد كان هناك أتفاق ضمنى مع أخوته بعدم الاتصال بالاب وألام ولكن متابعتهم فقط عن طريق أصدقائهم المقربين والاطمئنان عليهم بدون أتصال فعلى فقد كان هناك شعور بالجرح والصدمة مما فعله عبدو وزوجته بهم رغم تـأكدهم التام بحسن المقصد وبقدر مايكنونهما من حب لهم ولكن بما أن أقتراح عبدو بأنه سيتابعهم من بعيد فستكون المعامله بالمثل بل أقوى وأشد.

***

في أحد المجالس كان مجموعه من الصيادله يجلسون في جلسه عربية تابعه لاحد المقاهى وهى تتكون من مجموعه من الوسائد عالارض واخرى لاسناد الظهر ويشربون الشاى بالنعناع والجميع يرتدى الثوب عدا أثنان يرتديان البيجامه الكستور فلم يكن أحدا يأبه للملبس وكان يوما حارا بلا تيارات هوائيه وكانت بعض الروائح الخبيثه تنبعث من أن لاخر والجميع يشتمها ولكن يتجاهلها حتى قام عونى منتفضا وقال :-أيها الزملاء من أكل منكم بصلا أو ثوما فليعتزل مجلسنا (تأسيا بقول رسول الله)وكان يعرف أنه لو استشهد بأى آيه قرانيه أو حديث شريف فلن يجادل أو يعترض أحد رغم حداثه قدومه إلى هذه البلده، وبالفعل بدأ القوم في الذهاب واحدا يلو الاخر حتى تبقى عونى وصيدلى أخر يكبر عونى في السن بما لايقل عن ١٠ سنوات يدعى على.

على :-أنت جرئ جدا ياأخ عونى.

عونى:- أنا أتخنقت من الريحه يادكتور على.

-ولكنك مازالت حديث العهد هنا وتحتاج أن يحبك الاخرون والا ستجد

نفسك وحيدا،أنهم عزاب ولايجيدون الطهى ولهذا تجد دائما عندهم مشاكل في القولون فلا تقسوا عليهم.

-هو حضرتك مش عازب برضه.

-أنا أعزب صحيح ولكن معى شيماء شقيقتى مدرسه تعمل هنا وتعيش معى وهى فنانه في الطهى.

-وهل أستطاعت التأقلم مع الحياه هنا،هذا المكان لايصلح للسيدات مطلقا.

-الإنسان يستطيع فعل أشياء كثيرة والتأقلم مع أشياء أكثر لم يكن يتخيل أنه سيتحملها يوما ما ولكن قدرات الإنسان عظيمه ولا يكتشفها إلا عند الحاجه، فبعد أن كانت شقيقتى دلوعة أسرتنا أصبحت الان أنسانه جاده تعمل وتتحمل مسئوليتها ومسئوليتى.

لماذا أشعر أنك مختلف عن الأخرين،أنت مازالت تملك الجراءة وروح الدعابة، معظم الموجودون في الدوادمى من القرى والمراكز في مصر ولذلك تأقلموا مع الحياة القاسيه هنا، وأنا أشعر أنك جئت إلى المكان الخطأ،مالذى جاء بك إلى هنا.

-دى قصه طريفة ممكن ماتصدقهاش لكن حاحكيهالك.

وقص عليه مافعله بهم عبدو.

أخذ على يضحك حتى دمعت عيناه.

ثم أستطرد عونى أنا بقى صباحا ومساءا أقول:-

-منك لله ياعبدو.

-أتدعو على أباك.

-أنا فقط أقول منه لله فلو كان مافعله بنا خيرا فسيجازيه ربه خيرا، أنا نفسى لا أستطيع أن أحدد كنية مافعله بنا، فأتركه لله.

-تعرف،أنا لم أضحك من قلبى هكذا منذ فتره طويلة.

-لا أحد هنا يضحك من قلبه إلا نادرا.

يخرج علاء من الثكنه العسكريه بعد يوم شاق من تعلم الخطوة العسكريه

obeikan.com

وكيفية أستعمال البندقيه المورس ومدفع بورسعيد اللذان دائما يتعلمهم المبتدئون ويهرع إلى سوق العبور وفى نهايه الليل يبيت في ستوديو صغير أستأجره بمساعدة شناوى، مكون من غرفة ملحق بها مطبخ صغير وحمام وقد بدأ العمل ينتظم في الشادر وهو سعيد بالعمل مع شناوى حيث أن بينهم أنسجام وثقه تامة.

داخل السوق خلية نحل بضاعه تنتقل من هنا إلى هناك والعكس جلس علاء ونادى على أبو عليش الذى كان يطعم عنزتين ليعد له الشيشه ليرتاح قليلا من عناء يوم طويل في الثكنه.

-شد كده يابيه.

شد علاء نفسا عميقا أخرج بعده دخانا كثيفا دلاله على جوده الحجر والشيشه معا.

-تمام يابوعليش.،المعزتين دول بياكلوا أيه !

-البيضه ولا السودا يابيه .

-البيضه.

-بتاكل برسيم ياباشا.

-طب والسوداء.

-برسيم برضه سعادتك.

-وبتبيتهم فين ؟

-البيضه ولا السودا سعادتك!

بدأ علاء يفقد صبره وتنهد

-البيضه.

-هنا في المخزن.

-طب والسودا.

-هنا برضه في المخزن.

-هو أنا كل سؤال تفقع أهلى وتقولى البيضه ولا السودا، ماهو الاتنين حاجه

obeikan.com

واحده أهو.
-لا ياباشا أصل البيضه دى بموت فيها ومربيها من صغرها وعشرة عمر.
-طب والسودا !
أحتضنها أبو عليش بكل حب وقال:-
-برضه ياباشا مربيها وبموت فيها.
جلس عونى في الصيدليه وعلى يمينه ويساره كل كتب التفسير وعدد من المصاحف مختلفه الاحجام ومجموعه البخارى للاحاديث الشريفه وكانت هذه هى العاده في جميع الصيدليات وقد أستطالت لحيته وأرتدى الثوب الابيض.
وصل سعادات إلى الصيدلية لاستلام ورديته وهم عونى بالخروج حتى وجد على أمامه :-
-دكتور /على أيه الصدف الحلوة دى.
صافح على سعادات على عجل وخرج مع عونى.
-تعالى أتغدى معايا.
-الله يكرمك كلك ذوق.
-لا أنت جاى معايا، أنا بأنس بصحبتك ويسعدنى أن يكون بيننا خبز وملح.
-طالما مصمم لامانع.
كان الاكل شهيا والبيت مرتب على غير عاده العزاب هناك .
-تعرف يادكتور على أنا لم أكل بهذه الشهيه منذ قدمت إلى الدودامى.
-أنت ليه مصمم تقولى يادكتور !
-معلش سامحنى أنت أكبر منى والصيادله هنا يعتبرونك شيخهم وأنا مرتاح كده.
-خلاص أذا مرتاح خليك براحتك بس أعمل حسابك كل يوم والتانى تتغدى معايا وعلى فكرة أنا لم أدخل أحد من العزاب بيتى وأتبع العادات القبليه معاهم ولكنى كسرتها معك .

obeikan.com

-لماذا!
-لا أعلم ولكنك تدخل القلب وتجعل الإنسان يثق بك ويشعر أنك من بيت أصيل من أول وهلة.

***

صار من المعتاد أن يتناول عونى الغذاء مع الدكتور على من حين لاخر ويستمتع بأشهى الاطعمة ويتجاذبا أطراف الحديث مما خفف بعض الشيء من وطئ الغربه القاحله وأصبح عونى يعرف تقريبا كل شيء عن عائله على وخصوصا شقيقته شيماء وفى أحد المرات قام د/على ليتناول منها صينيه المأكولات وعبر الصاله وفتحت شيماء الستارة الموجوده على باب المطبخ لتناوله الصينية ورأها عونى من خلف الستائر، واو.... أنها جميله بشوشه، أمن المعقول وجود هذا الجمال في هذا المعتقل الاختيارى ثم شعر بالخجل من نفسه كيف يتلصص النظر أليها وقد أأتمنه الرجل على بيته،ثم خفف على نفسه ولما لا لقد رأها فقط ولم يفعل أى شيء مشين .
ولكن أنتابته حاله من السعاده، ربما تكون بعض الطاقه الايجابيه بأن الجمال مازال موجودا ويفرض نفسه رغم أنتشار القبح والاحباط.
بدأ يشعر بالحب والدفء أكثر تجاه الدكتور على، بل ويكثر من زياراته رغم أنه لم يشاهدها مره ثانيه ولكن شعوره بأنه موجود تحت سقف واحد مشترك مع هذا الجمال النقى كان يمده بالامل والتفاؤل.
وخرجا في المساء إلى أحد الاسواق الكئيبه محاولة من على لادخال السرور في قلبه وتناولا بعض الايس كريم.
وأثناء ذلك مرت سيدة مغطاة تماما باللون الاسود وكان يقف عن بعد أحد رجال جماعه الامر بالمعروف والنهى عن المنكر يسمى بالمطوع ويمسك بيده عصا رفيعه (خرزانه)وغالبا يصاحبه شرطى وعندما رآها نادى بأعلى صوته كعبك يا امرأة.
فالتبخت السيدة ومدت من خطواتها حتى تبتعد وتصرفت كأنها أتت بأثم

openkan.com

لان كعب قدمها ظهر للعامة.

***

أستطاع الوصول لرقم أخيه عماد عن طريق أخيه علاء الذى تحول إلى نقطه التلاقى بين الجميع وأطمئن على صحه والديه ولكن حسب الاتفاق لم ولن يتصل بهم أحد وأتصل فعلا بعماد:-

كان عماد جالسا في العياده وخلفه نافذة كبيرة تستطيع مشاهدة شاطئ البحر منها وهو يعج بالسائحين منهم نص عرايا ومنهم عرايا بالكامل:-

عونى-واحشنى والله ياعماد، أيه الاخبار عندك.

-الحمدلله أنت كمان واحشنى،البلد هنا دمها خفيف بس الناس مزوداها شويه.

-أزاى يعنى .

-هنا بيسبحوا عرايا خالص والمتدينين شويه بيلبسوا الجزء الاسفل من المايوه.

-ياراجل،ده أنا أمبارح شوفت كعب لاول مره من ساعة ماجيت وطول الليل بحلم بيه.

-بطل هزار بقى.

-هزار !منك لله ياعبدو

***

حمدى:-على فكره أنت من حقك تأخذ يوم أجازه تغير جو، أنت ماخدتش اجازه خالص وكمان الصيف قرب يخلص بدون ماتشوف أى جزر أخرى من المحيطه بنا.

عماد:-طيب ترشح لى أروح فين!

-ممكن تقضى يوم تزور المزارات الاثريه وأشهر الشواطئ في جزيرة من الجزر الكبيرة، تذهب مبكرا وتقضى يومك وترجع أخر اليوم ومش حاتكون مكلفة، ممكن تروح جزيرة كوس دى كبيرة وفيها معالم كتير وممكن تروح جزيرة ميكونوس برضه فيها أماكن تستحق الزيارة.

obeikan.com

- -لاياعم بلاش كوس دى خلينا في ميكونوس.

-خلاص ممكن تنزل من الصبح بدرى على المينا تاخد مركب وتوصل في أقل من ساعة وتستغل اليوم بطوله.

كان الوصول إلى ميكونوس سهل فعلا وزياره بعض الاثار التى لاتقارن بالطبع باثارنا الثريه النادرة ولكنها مهملة.

ثم عرف أن أهم شاطئين على الجزيره هم باراديس وسوبر باراديس.

Paradise &Super Paradise

ذهب أولا إلى بارادايس ووضع حقيبته أسفل شمسيه واستلقى على شزلونج سعيدا مستمتعا وأخذ يشاهد الناس عائلات كامله تستلقى تحت ظل الشمس عرايا، الام تطعم أطفالها ساندويتشاتا وأثنان يلعبان راكيت وفتاتان تلعبان الكره الطائرة والجميع عرايا كما خلقتهم أمهاتهم،كيف يستطيع الإنسان الانسلاخ من حيائه، كيف أستطاع الخروج من مركز ثقله وأصبح لاشئ.

وصلت مركب متوسطه الحجم تشبه مراكب الصيد في الماكس في الأسكندريه تسع لحوالى ٢٠ فردا وأخذ قائدها يتحدث بصوت عالى مع شخص جالس على مكتب صغير على الشاطئ وبالطبع كان الحديث باليونانيه ولكنه ميز كلمه سوبر باراديس .

ذهب إلى الرجل الجالس على المكتب وأشار إلى المركب وقال سوبر بارادايس، أومأ الرجل براسه بالموافقه وكان لايتحدث أى لغه إلا اليونانيه، وجد أمامه دفتر تذاكر أشار عماد اليه فأعطى له الرجل تذكره وركب المركب معدا نفسه لرحله سريعة ومسلية لمشاهدة شاطئ سوبر برادايس والعودة.

الشاطئ جبلى والبحر أزرق والطقس أكثر من رائع ورغم أن الطريق بين الشاطئين منطقه جبليه وعرة إلا أنك كل فترة

تشاهد فتاه عاريه تماما تمشى في المنطقه الجبليه المحاذيه للشاطئ مستمتعه

obeikan.com

بأشعه الشمس ولا تعرف من أين أتت ولا أين تذهب ولكن دع الخلق للخالق.

وصلت المركب شاطئ سوبر برادايس ومن الطبيعى أن يظل عماد جالسا بالقارب من أجل العوده،نزل الجميع إلا عماد، فذهب اليه قائد المركب قائلا عدة كلمات باليونانيه لم يميز منها سوى سوبر برادايس، وحاول عماد أن يفهمه أنه عائد وحدثه بالعربيه والانجليزيه والالمانيه ولكن هيهات أن يفهمه حتى أستشاط الرجل غضبا وبدأ يدفعه للنزول من القارب وعماد يدفعه أيضا على نظام المشاجرات المصريه وتجمع بعض العراة من الشاطئ لمشاهده مايحدث إلى أن نطقت واحده منهم ترتدى البكينى وكانت على قدر هائل من الجمال وبجانبها سيده عجوز على قدر من الجمال أيضا ولكنه زائل ولكن تستطيع أن تدرك أنها كانت في شبابها جميله من النوع المسمى الصواريخ .

وقالت :أنت مصرى.

عماد:-أخيرا حد بيتكلم عربى أنا جيت من برادايس وراجع تانى وكل حاجتى هناك، أنا كنت واخدها رحلة فقط لمشاهدة سوبر برادايس والعوده السريعه.

أخذت الفتاة تكلم قائد المركب باللغه اليونانيه بكل طلاقه وكان واضح أنها حادة معه في الكلام بل وتعنفه وتستعمل معه كل اشارات اليد والتهديد وبصوت عالى.

وبعد نقاش حاد تغلبت حواء على أدم كالمعتاد وانخفض صوت الراجل وقال شيئا بكل أدب ثم ذهب بالقارب بعيدا ولكن وضح أن ماقاله قبل أن يغادر أرضاها.

ونظرت إلى عماد قائله:-

-هو بيقول أن دى مش رحله زهاب وعوده وأن أنت ركبت معاهم غلط، ولكن حلا للموقف في مركب قادم كمان ساعة ذاهب إلى برادايس وسيوصلك

مجانا.
وكانت تكلم عماد بالانجليزيه.
-هو انتى بتكلمينى أنجليزى ليه.
-أسفه كتير نسيت،ماحكيت عربى من زمان.
-وأنتى ماشاء الله بتتكلمنى جريجى وانجليزى وعربى بطلاقه كده.
-وفرنساوى طبعا، عيب أكون لبنانيه و ماتكلم فرنسى.
-ده أسهال لغات بقى.
ضحكت، وين بتقضى الساعه هادى.
غالبا معكم، معرفش حد غيركم هنا.
ضحكت مرة أخرى .
ولو، بنستأنس بيك، تعالى أعرفك بالماما.
-وأنتو بتعملوا أيه هنا، أنا ماشوفتش عرب خالص في الجزر دى.
-أنا والدى رجل أعمال في أتينا، وأنا والماما حبينا نقضى يومين هيك من باب التغيير.،أنت بقى شو جابك هون.
قص عليها قصه والده
-البابا تبعك مهضوم كتير.وبكره بتعرف أنه ماضركم.
ومتى بتروح أمريكا ؟
-مع نهايه الصيف بأذن الله.
كان شاطئ سوبر باراديس مختلفا فالجميع يرقصون في كل مكان والموسيقى تنبعث من كل الزوايا .
عماد:-المكان يستحق المشاهده، ولكن لااعرف ماذا كنت فاعل بدونكم، دوشونا في مصر بالوعى السياحى وأنا شايف هنا رغم أن السياحه منتعشة أنما العاملين بهالايفقهون شيئا عن اللغات أو اساليب التعامل أو الوعى السياحى.
وصل القارب وذهبت جومانه، وافهمت قائدها ماحدث وبالفعل ركب معه

obeikan.com

عماد بعد أن تبادل معها أرقام الهواتف.

***

دخل ذات يوم شاب أنيق مفعم بالحيويه والنشاط الصيدليه وكان عونى يتصحف أحدى كتب مجموعة في ظلال القران لسيد قطب

،وعرفه الشاب بنفسه فهو صيدلى يعمل كمندوب علمى بشركة ألمانية للادوية وقادم من الرياض في زياره تسويقيه لمنتجاته

وكان يوزع الكثير من الهدايا ونشرات الادوية الفاخرة الطباعة وكان ممتلئ بالحماس والثقه ويشع من عينيه نظرات الثقه والذكاء ومن ملابسه رائحة برفان معروف بغلاء سعره.

أنطلق عونى في الحديث معه كالايام القديمة عندما كان في مصر وضحك من كل قلبه، وفجاءة تمعن فيه الشاب وسأله :-

-أنت كنت في مدرسه أيه في ثانوى.

-كمبريدج لماذا !

-فيك شيء مختلف عن الأخرين.

ثم ناوله بروشور لأحد الادويه مكتوب بالانجليزيه :-

-ممكن تقرى ده!

قرأ عونى جزء يسير منه،

-لغتك الانجليزيه ممتازة.

-أنا كمان بتكلم المانى بطلاقه لان والدتى المانية ودرست في جوتة.

-لماذا جئت إلى الدوادمى ولم تأت إلى الرياض أو جده أو الدمام.

كان المفروض أن تعمل في شركه أجنبيه كبرى.

-كله نصيب ودى حكايه طويله مش لازم أدوشك بيها.

-معلش ممكن تقولها بأيجاز.

وقد كان.

-أسمع نحن نحتاج بشكل سريع لصيدلى معنا في مكتب الرياض،لكن

opelkan.com

أستسمحك أن تحلق لحيتك فأنى أرى خلفها شاب وسيم وعملنا يستلزم حسن المظهر.

-بس أنا لو حلقت لحيتى سأصبح محل سخرية الجميع هنا، فالعقول ضيقه جدا هنا.

-خسارة،أنت موجود في المكان الخطأ.

شعر عونى بالحسره.

ولكن عاجله الشاب المنقذ :-

-خلى الكارت بتاعى معاك وفكر تانى بس بسرعه.

ثم قفز خارجا بكل نشاط وحيويه وأستقل سيارته الحديثه وأنطلق ينهب الارض نهبا والغبار يتطاير في أعين عونى الذى لم يستوعب هذه الفرصه القادمه من السماء جيدا.

***

جلس علاء وشناوى يرتشفان الشاى بالنعناع أمام الشادر وهما يدخنان الشيشه كالمعتاد:-

شناوى:-فاكر الواد مليجى.

علاء:-طبعا وهو ده يتنسى ده واد فقرى لا اجلس معه إلا وافطس من الضحك ودائما تشعر أنه تائه أو يبحث عن شيء مفقود.

-عايزين نوصل الود معاه، ممكن نطلع من وراه شويه شغل رفيع كده.

-ماشى، أنا أحب أشوفه ونظل أصدقاء حتى بدون علاقه عمل.

كان أبو عليش يجلس متربعا بعيدا يدخن الجوزه حين ناداه علاء،فقدم مسرعا.

هو أنت ليه مش بتستعجل تروح يأبو عليش زى باقى العمال.

-حاروح لمين يابيه!

-هو أنت وحدانى خالص كده!

-زوجتى توفت ولكن أنا عندى ولدين وبنت .

obeikan.com

-ربنا يخليهم لك وهل يعيشون معك؟
-عيوشه بتشتغل مع جوزها في السودان.
-في السودان! طب ده السودانيين بيشتغلوا في الخليج.
-وأحنا نسد مكانهم يابيه.
وعندى عليوه بيشتغل في لبنان.
-طب دى لبنان كلها بطاله واللبنانين بيشتغلوا في فرنسا والخليج.
-وأحنا نسد مكانهم يابيه.
-دايما سداد يابو عليش.
-الله يكرمك يابيه.
وأستكمل كلامه -وعليش بيتشغل في ايطاليا.
-برافو، أيوه كده، ده أكيد متعلم كويس وبيتكلم أيطالى بطلاقه.
-لا ده مابيعرفش لايقرى ولايكتب عربى حتى، بس بيتشغل في المعمار بيشيل القصعه.
-وده عرف أزاى يدخل أيطاليا .
-راح بالمراكب اللى بتسافر.
-المراكب اللى بتغرق كل يوم دى؟؟
-لا الحمد لله عليش واعى وكان طول النهار بيعوم في الترعه في البلد وده اللى كان مطمنى عليه،وعشان كده اما المركب غرقت قبل السواحل بمسافه بسيطة خدوها عوم ولما وصلوا لقوا مندوبين الصليب الاحمر واقفين سألوهم أنتو منين قالولهم من العراق خدوهم على معسكرات وسلموهم ملابس ووجبات أكل وفضلوا كذا يوم لغايه معملولهم لجوء سياسى
-طب وليه ماقالوش أحنا من مصر؟
-لا يابيه ربنا يعزك كانوا رجعوهم تانى يوم على مصر.
-طب واللى معرفش يعوم ؟
-ربنا يصبر أهله.

obeikan.com

-هو أنت أسمك أيه يابو عليش.
-أسمى عمرو يابيه.
-بقى ياراجل يامفترى أسمك عمرو ومسمى العيال عليوة وعليش ورامیهم في البحر والسودان، روح ياشيخ ربنا يخلصه منك.
ضحك عمرو حتى ظهرت أسنانه وهى لاتتعدى اربعة أو خمسة ويتراوح لونها بين البنى والاسود.
-الله يحظك يابيه ضحكتنى من قلبى والله.
وقام علاء غاضبا وهو يتمتم :-هى الابهات حصلها أيه الايام دى!
***
عاد عونى إلى هدوئه رغم أنه غاضب من داخله ولكنه خائف من المغامره وأقنع نفسه بالتروى وعدم التعجل.
وفى الليل مر عليه الدكتور على ليصطحبه معه لزياره أحد الزملاء للسلام عليه لانه ذاهب إلى مصر في أجازة سنوية.
كان هذا الزميل مدججا بالعديد من الحقائب التى تحتوى على كميه غير عادية من الهدايا للاقارب واقارب الاقارب والهدايا تتنوع بين الاجهزه الكهربائيه الخفيفه والملابس اللى المكسرات والشوكلاته، والشاب نفسه يرتدى ملابس شبابية على احدث موضه وحليق اللحية.
عونى:-مش أنت اللى كنت بتخرج معانا بالبيجامه؟
ضحك الشاب وقال:- نعم.
-وأيه التغيير الرهيب ده وفين لحيتك.
-أجازه بقى، حأشوف أهلى وشلتى،أنا اصلا بلعب درامز في بند وكلهم منتظرنى وحاقضى شهر الاجازه في الجنه.
-أنت درامرز!
تصدق أول مره أشوفك مبتسم كده حتى ملامحك متغيرة.
أثناء العودة تحدث قليلا مع على:-

-لماذا يتشدد الكثير من المسلمون في تطبيق الدين بالشكل الخارجى بصوره مبالغ فيها؟
-العالم كله يتكالب على المسلمون ولهذا لابد من التشدد.
-هل رايت فيلم الاخرون لنيكول كيدمان
The Others ؟
-لا لم أشاهده.
-هو ببساطه بيحكى عن أم وأولادها يعيشون في قصر في منطقه مهجوره، وتحدث دائما أشياء مريبة في القصر كأصوات بيانو يعزف من نفسه أو نوافذ تفتح والام تستميت لحمايه أبنائها مما تعتقده أشباح.

-وبعدين.
-بالصدفه تكتشف الام أنها وابنائها ماتوا بسبب وباء وهم بمثابه الاشباح للسكان الاصليين وطوال الفيلم أنت تتعاطف مع الام قليله الحيله المرتعبه من الخطر الخارجى رغم أنها هى أصلا شبح وتمثل تهديدا للاخرين.
-قصه غريبه بس أيه دخلها في موضوعنا!

***

أستلقى عونى على السرير وهو ينظر لسقف الغرفه ويتأمل علب السجائر الملصقه في شكل فنى بديع.
وأخذ يسرح مع نفسه،هل الناس المتشددون دينيا هنا متدينون فعلا عن عقيدة قوية أم أنه نوع من الاحباط والهروب والتشبث بقوة تفوق أى قوى أخرى على وجه الارض.
ومالذى يجعل شاب يحلق لحيته ويستعيد مرحه وتفاؤله لمجرد أنه عائد إلى موطنه الاصلى، أذن هو الأحباط.
هل لهذا السبب كانت الكثير من الفتيات تتحجب بعد دروس عمرو خالد بل وكان الكثيرون منهم يصابون بحالات أغماء

جماعى بعد سماع تسجيلات عمر عبد الكافى عن الثعبان الاقرع،هل يتشدد الناس في مجتمعاتنا كنوع من اليأس والاحباط أو الخوف أو كلاهم معا.
ثم أنتفض وأخذ يبحث عن الكارت في ملابسه حتى وجده وكان أول أتصال يقوم به في الصباح وقد وعده الشاب بتحديد موعد سريع وكذلك تحمل الشركة لكافة نفقات التنقل لاجراء المقابلة.
وفى خلال ايام معدودة كان في الرياض مرتديا بدلة ورابطة عنق ومتأنقا كالايام الخوالى وكان منبهرا بالشوارع الواسعة والاسواق المتسعة والابراج الزجاجية التى تناطح السحاب ودخل مكتب الشركة الموعودة، المديرين أجانب ومصريين والمندوبين مصريين وسوريين وفلسطينين والسكرتاريه هنود والساعى فلبينى والمقاعد جلديه وثيره تغوص بك عندما تجلس.
وتمت المقابله الاولى مع المدير المصرى ثم الثانيه مع المدير الاوروبى.
وأنتهت المقابله الاخيره على وعد بأتصال في غضون أيام وأوصله الشاب وقال له :-
-أطمئن لقد رفعت رأسى فعندما يرشح أحدنا زميل جديد ويجدونه ممتازا تكون علامة طيبه في صحيفة أنجازاته للشركة،أنا أستطيع أن أميز ردود أفعالهم أنهم راضون عنك تماما ولكنهم دائما يحتاجون بعض الايام لاتخاذ القرار.
-في جميع الاحوال أنا شاكر لك أهتمامك ومحاولتك المساعدة.
-أنا فقط أحاول أن ازيل الغبار عن شيء جيد قبل أن يتمكن منه اليأس.

***

عماد ممسكا الهاتف:-صباح الخير.
جومانه :-كيفك أنت، خيرمضيع تانى وبدك أساعدك.
أرتبك من أسلوبها المتهكم ولكنه عاجلها:-
-حبيت بس أشكرك على مساعدتك ليا، مش عارف كنت حاعمل أيه من غيركم.

obeikan.com

-على حسابك ولايهمك،نحن بنعتبر المصاروه اخواننا.
-أنت شوفتى سانتورينى قبل كده.
-لا والله.
-طيب يبقى لازم تشوفيها دى مسافه بسيطه من عندك.
-برتب حالى وأحكيك.
لم ترفض،أذن علامه جيدة، أذن في أمل .

***

لم يسلم عونى من الهمزات واللمزات بسبب حلاقة لحيته ولكنه قرر أن لايفعل شيئا إلا عن أقتناع ولا يصبح آمعة لاحد وأبلغهم بأنه مصاب بحساسية في وجهه واللحيه تزيد من الاحتكاك.
وبالفعل لم يدم الحال طويلا فقد جاءه الاتصال المنتظر، الراتب يتعدى ثلاث مرات راتبه القديم بخلاف بدلات سكن وانتقال وسيارة حديثة.
نام على السرير وأخذ يتأمل سقف الغرفه وعلب السجائر الفارغه وشعر بتفائله وطموحه يتفجران داخله.
ساعده الدكتور/على في أنهاء اوراقه من كفيله القديم حيث أنه كان على علاقه طيبه به ولم يكن يشعر أنه سيفتقد أى شيء في هذا المعتقل إلا الدكتور على وحديثه المتنوع الممتع.
وكان لابد من النزول للقاهره ثم العوده بالتأشيره الجديدة.

***

كان الجو مشمسا رائعا والشاطئ يعج بالمصطافين وجومانه وعماد يجلسان في تراس المستوصف.
-نورتى سنتورينى، أنا سعيد بحضورك.
-ميرسى، الماما اليوم مابدها تخرج، سبتها تتروق وترتاح وطلعت أنا لحالى.
-النهاردة اليوم هادئ تماما لم أرى من الصباح ولا حالة واحدة.
-هايص أنت ياعمى، البحر والرمل والشمس والناس الحلوه،شغل أيه ده؟

-أنا ماكنتش أعرف أن الناس هنا بتعيش عرايا كده، لما صاحبى كلمنى عن سنتورينى، عرفت أنها جزيره أشتهرت قديما بوجود كاتدرائيه لقديسة أسمها سانت ايرينى ومع الوقت الاسم تحور إلى سنتورينى، ولم أتخيل أن يتحول المكان إلى النقيض هكذا.

-متى مسافر إلى أمريكا ؟

-خلال شهر تقريبا، أنا جهزت كل حاجه.

-أنا كمان بسافر أمريكا بس بعدى لم أحدد موعد ولكن في غضون أشهر قليله لاسوى ماجستير في أداره الاعمال.

-خلينا ننسق مع بعض ممكن ندرس بنفس الجامعه.

وظلا يتحدثان وتناولا الغذاء سويا ولم تغادر إلا للحاق بأخر موعد باخرة متجهه لميكونوس.

***

أتجها لزيارة مليجى بدون ميعاد فقد قررا مفاجئته ويعرفان أنه يعيش بمفرده، وصلا الدور الرابع ونزلا من المصعد وجدا باب الشقه مفتوح .

علاء :-شوف سايب باب الشقه مفتوح، هو الواد ده مهمل كده على طول.

شناوى:-تعالى ندخل ونخضه.

-بس براحه لحسن الواد ده قلبه خفيف.

دخلا الصاله كانت مظلمة .

علاء-أوعى تخضه في الضلمه لحسن يحصله حاجه، تعالى نخضه في النور.

مرقا إلى الطرقه وكانت مضاءه ووقفا ملتصقين بالحائط، مر مليجى من أمامهما مشغولا برش معطر للجو في أتجاه السقف ولم يلاحظهما رغم الاضاءة،ضغط علاء على يد شناوى ليمنعه من مفاجأته.

ثم مرقا إلى غرفه النوم وقال له:-

-لماذا منعتنى ؟

-يابنى الواد كان منهمك تماما في رش الاسبراى ومش شايفنا ممكن يموت

obeikan.com

فيها.
-خلاص ننتظره هنا في النور، مافيش حجة بقى ونخضه هنا وجها لوجه.
وانتظرا دقيقتان ثم خمسه ثم عشره .
-تعالى ياعم نشوفه بيعمل أيه.
وخرجا للصاله لم يجدا مليجى فقد خرج وأغلق الباب بالمفتاح خلفه.
حاولا فتح الباب بدون فائده.
-قلتلك ده فقرى،نعمل أيه بقى.
مرت حوالى ٤ ساعات حتى عاد مليجى أدراجه وبمجرد أن فتح باب الشقه وجد أثنان في بيته أمامهما العديد من المأكولات والمشروبات ويشاهدان التلفاز وقبل أن ينطق بكلمة سقط مغشيا عليه.
علاء-ده اللى كنت عايز تخضه.

***

عاد عونى إلى الرياض بعد أن نزل القاهره أيام معدودة للحصول على التأشيرة الجديدة لدخول المملكه ولكن هذه المرة مع الشركه الألمانية، وخلال فترة وجوده في القاهره قابل أخاه وأتفق معه على الدخول معه و الشناوى في شراكه في أى مشاريع وأعطاه كل مايملك وكان في حدود ١٥٠ الف جنيه منهم المائه التى حصل علها من أبيه فهو لم يعد بحاجه أليها.
كان الوضع مختلفا تماما فالرياض مدينه كبيرة ومنظمة والشركه التى يعمل لديها شركه ذات سمعة وتاريخ حتى أنه عند وصوله وجد سياره بأنتظاره خارج المطار وحجز في أكبر فنادق

***

الرياض لمدة شهر حتى يتدبر أمره وخلال فترة بسيطة كان لديه سياره أحدث موديل وسكن ممتاز وكان مديره أجنبيا يعامله بكل
أحترام وزملاؤه تشكيله بين مصريون وسوريون ولبنانيون ولكن الجو العام كان ممتازا.

وأصبح ملبسه الروتينى هو البدل والكرافتات وأرتفع دخله بشكل كبير،وأستعاد روح الدعابة والسخريه وبدأ يمارس بعض الرياضات الخفيفه في صالة جيم أنيقه.

وخلال شهور قليله أصبح من الشخصيات الكاريزماتيه داخل الشركه ودائما له حضور خاص وتعليقات مميزة.

***

أنتهت فتره الصيف سريعا وأنتقل عماد إلى الولايات المتحده كالمتفق عليه وهو يتدبر أمواله ولايسرف لعلمه أن مصاريف المعادلة ستكون باهظة .

وكان عليه أن يتنقل بين مانهاتن في نيويورك والبانى عاصمه نيويورك والمسافه تصل إلى ٧ ساعات بالسياره تقريبا .

***

وكانت التركيبة السكانيه في نيويورك مفاجأه بالنسبه له فالقادمون من جمهورية الدومينيكان وبورتيريكو سواء بطرق شرعية أو غير شرعية هم الغالبية العظمى بل أنهم أكثر عددا من السكان الاصليين واللغة الاسبانية تنافس اللغة الانجليزية في التعامل وتستطيع أن تتعايش بصوره طبيعية تماما بدون أجادة الانجليزية بشرط أن تجيد الاسبانية .

أستطاع بعد فتره أن يكون أداريا لاحد المستوصفات حتى يكون له دخل أضافى فهو لايستطيع العمل كطبيب قبل أن ينجز المعادله والتى تستغرق حوالى سنتين.

***

ارتشف مليجى رشفة من كوب القرفة باللبن وحاول أن يبدو في مظهر جاد على غير عادته ويظهر في شكل رجل أعمال ضليع في عالم البزنس وقال:-

-أنا عندى ليكم سكة كويسة ممكن تعمل شغل كويس .

علاء:-سمعنا دررك ياملیجى.

-أنا عمى يعرف ناس كانوا بيصدروا بطاطس لروسيا وبلجيكا لكن متهيإلى

obeikan.com

الموضوع متوقف حاليا معرفش ليه، لكن ممكن نتكلم معاه في الموضوع ده لو تحبوا.
-ياريت، عايزين ننتشر شوية خارج السوق المحلى، بس أحنا مالناش أى خبره في التصدير خالص.
-سيبوا الموضوع ده على، بس لو في نصيب حانبقى محتاجين عبوات بشكل تانى خالص غير الكلام ده ونوعيه المنتجات مختلفه تماما، فرز أول.
-مفهوم يابنى بس أنت أهتم وأحنا معاك لاخر المشوار.
أضطر شناوى للاستئذان حيث كان على موعد لاصطحاب أبيه إلى طبيب في زياره روتينيه لمتابعة السكر والضغط (زيارة صيانة كما كان يطلق عليها).
وأستمر مليجى وعلاء بمفردهما في المقهى مع الشيشة والقرفة باللبن.
-أيه رايك ياماليجى في سوسن أخت شناوى.
-بنت عز و شاطرة ومتربية وبمائة راجل.
-أنا بفكر أتجوزها.
-شوف رغم كل المزايا اللى عندها بس عندها لمسه بلدى شوية (افلاحون يعنى) لاتنسى أن أبوها من تجار الخضروات والفاكهه وده مازال مأثر على ستايل البيت.
-تصدق أن دى الحاجه اللى بتعجبنى فيها، بتفكرنى بسعاد حسنى في فيلم السفيرة عزيزة، عندها جدعنة بنت البلد ونفس الوقت كلها أنوثة ومتعلمة على أعلى مستوى.
-يبقى على خيرة الله، شناوى جدع وطول عمره صاحبك وسواء عائلتك أو عائلته فانتم ناس طيبون.

***

بعد عده أيام
جلس شناوى وعلاء أمام الشادر:-
شناوى :-بما أنك قربت تخلص فتره الجيش عندى فكرة كده ممكن نعمل

منها شغل.
علاء قول وأنا معاك:
-عايزين نطلع كينيا أول ماتخلص الجيش، في هناك سبوبة شغل جامدة.
-بقى أنت عايزنى أروح كينيا لما أخلص الجيش، ياأخى حرام عليك بدل ماتقولى نروح السخنة ولا الساحل نتفسح شوية .
- هو أنت الدنيا عندك أخرها السخنة والساحل بس، يابنى الدنيا أكبر من كده،ياسيدى ماحنا ممكن نتفسح وبرضه نفكر في الموضوع ده.
-معلش ياشناوى قصه كينيا دى سيبك منها خالص،ياراجل ده المنتخب لما بيسافر كينيا، اللاعيبة بياخدو تطعيمات ملاريا وحمى شوكية، عشان خاطرى سيبك من قصه كينيا دى.
سكت شناوى وهو غير سعيد ويحاول كظم غيظه.
-إلا ممكن أسالك سؤال؟
-أتفضل.
-لو حد قالك أنه بيحب أختك، تعمل أيه!
-وكتاب الله كنت أقطعه حتت وأعلقه على باب الشادر.
-طيب أهدى بس، بلاش أنه بيحبها دى، لو حد قالك أنه معجب بأختك؟
-وكتاب الله وعزه جلال الله مايطلع عليه نهار وتكون أمه داعيه عليه.
-شناوى، أنا عايز أتجوز أختك؟
ثم وضع ساق على ساق وهزها بشدة على طريقه أمه ونظر لاعلى.
أحمر وجه شناوى خجلا وتلعثم قائلا :-
-أنت فاجئتنى.
-أنا مش عايز أتجوزك أنت ياشناوى.
طيب سيبنى أقولهم في البيت وأخد وأدى معاهم ثم أنصرف وهو مازال محرجا.
سافر عونى العديد من الدول لحضور دورات تدريبية أو مؤتمرات طبية،

وكان واضحا أن الشركه تعده ليتبوأ مكانا أفضل
على أحد المجموعات الدوائيه خلال أشهر قليله، وكان دائم الاتصال بعلاء بل ويعتبره الاخ الاكبر ويطمئن دائما منه على صحه وأحوال والده ووالدته بدون الاتصال المباشر بهم حسب
الاتفاق الضمنى بينهم،وكان يتصل بعماد ولكن على فترات متباعده فقد كان حمل عماد ثقيلا والحياه هناك كالطاحونة.
ولكنه دائما لم ينس الدكتور/ على وكان يداوم الاتصال به وكان على يقين أنهما سيلتقيا ثانية يوما ما.

طلب الاطباء من الحاج عبد العزيز بعض الفحوص والتحاليل، وبدأ يشعر أنه وحيدا وكما قضى طفولته وحيدا سيقضى شيخوخته وحيدا وشعر بالاكتئاب والهزيمة لاول مرة وتحدث إلى كريستا:-
-أشعر بالندم على مافعلت، مالذى دهانى وقتها لفعل هذا، أترك فلذات كبدى وسندى ولا اعرف أين هم، عشت وحيدا بدون عزوة وسأموت وحيدا بدون ذرية.
ردت كريستا وهى تحاول أن تظهر التماسك وعم الاكتراث للتخفيف عنه:
-لاتخف لن تموت، أنها مجرد تحاليل سكر وكوليسترول وطبيعى أن يجريها أى أنسان بشكل دائم طالما تعدى الخمسون من عمره .
-حتى العيال ولاد الكلب لم يفكروا بالاتصال بنا ليطمئنوا علينا.
-لن يتصلوا لان محاولة أتصال أى منهم تعنى أنه فشل ويريد العودة،لقد قلت لهم من يفشل منكم أنا في أنتظاره ليعود ويعمل معى ولن أتركه، لاتنس أنهم يحملون جينات العناد منى ومنك ولن يستسلموا بسهولة.
-طب أطمئن عليهم حتى.
-أنا واثقه أنهم يتابعون أخبارنا ولكن لا أعرف كيف؟
ولكن لاتندم وخفف عن نفسك،وأترك مساحه للقدر.

ركب علاء السياره بجانب الشناوى متجهين لمقابله مليجى وعمه في مكتب الاستيراد والتصدير الخاص بعمه والاتفاق على الخطوط العريضه:-

-أيه الاخبار؟

-شوف أنا مش مفروض أقولك كل حاجه أنما أنا بعتبرك أخويا غير أنك صاحبى وشريكى.

-وده نفس شعورى ياشناوى.

-الحاج طبعا موافق ومبسوط كمان، وبيقول عليكم ناس نادرة مافيش مثلكم من حيث الاخلاق والاصول،وعجباه جدا الحركه بتاعة أبوك دى واللى عجبه أكتر أنكم خدتوا الموضوع جد وكل واحد فعلا أعتمد على نفسه ولم يحاول الابتزاز والاستعطاف.

-طب وسوسن؟

رد وهو يقطر خجلا:-

-البت السافلة سمعت حوارى مع الحاج وطالعه تجرى تقول أنا موافقة.

-ياعم ده أحلى حاجه فيها سفالتها دى.

-أيه؟؟

-أصل أنا بحب البنت الجريئة، دى مش سفاله ياشناوى، لازم البنت تقول رأيها في اللى حاترتبط بيه.

-بس أنت حاتجيب أهلك وتيجى والا ايه؟

-لا أنا حاجى لوحدى مع الاسف نقرى الفاتحة، ومعلش بقى أستسمح أبوك نأجل موضوع أهلى ده،مش هو معجب بحركة أبويا يستحمل بقى.

-دى عاجباه جدا، ده أنا خايف يطبقها عليا.

-خلاص، أول ماخلص الجيش حاتلاقينى عندكم وبما أنك معندكش أخوات ولاد أعتبرنى أخوك ياأخى.

***

أدرك عماد من الوهله الاولى أن أمريكا التى يعرفها من الافلام والمسلسلات

obeikan.com

ليست موجودة إلا في الخيال وهى من نسج خيال
الممثلين والمخرجين، فالدراسه جادة جدا والعمل مرهق جدا حتى أنه يشبه العبودية القديمة ولابد أن الامريكان مازالوا متأثرين بعصور العبودية فعندما تعمل في مكان فأن صاحب المكان يستخرج كل الطاقات الكامنة داخلك ولايمر اليوم إلا وتصبح في نهايته جثه هامدة وتنام في حدود الثامنه أو التاسعه على الاكثر ثم تصحو مبكرا نشيطا لتصطدم بيوما أخر كسابقه حتى تصبح عادة، حتى يحين يوم الاجازة في نهايه الاسبوع فتجد نفسك تصحو مبكرا مهما حاولت الاسترخاء فتقوم لتنجز مهام كثيره كنظافه بيتك وغسل ملابسك والدراى كلين وتقتنص ساعات قليله للتنزه مع بعض الاصدقاء ثم تعاود بداية الاسبوع مره أخرى حتى تشعر وكأنك ترس في آله ضخمه لاترحم.
ثم كان أحد الايام حين صحا الساعه الخامسه والنصف كعادته ودخل الحمام ونظر لوجهه المرهق في المرآه وهمس كالمعتاد منك لله ياحاج عبدو.
وتساءل هل هذه هى الحياة في البلاد الراقية، هل تأثر الامريكان ببروتوكلات صهيون التى تجعل الإنسان يركض لدفع نفقاته وفواتيره وعندما يبدأ بالشعور بالاسترخاء تكون قد تراكمت فواتير أخرى وتصبح الدائره مغلقة ويكون الشغل الشاغل هو الهرولة دائما لسداد الفواتير فيخرج عن مركز ثقله وانسانيته ويتحول إلى مادة يمكن التحكم بها وبأفكارها وتشكيلها،قد تقاوم المادة عملية التشكيل في البداية ولكنها غالبا ماتخضع،وتذكر الحياة الهادئة في الوطن الام حيث كل شيء بطئ،الوقت لايجرى لقد كان يصحو ويشرب الشاي بالحليب مع بعض الكرواسون الذى كان يخبز لهم خصيصا في فرن أفرنجى محترم والوقت كان فيه متسع للكسل، أين السعادة، هل نحن شعوب متخلفة ولكننا أسعد حالا، حيث تقل نسب الانتحار والامراض النفسية عن كثير من الدول المرفهة
وأخذ دشا سريعا وفطارا سريعا كالمعتاد وذهب مهرولا إلى المستوصف.

كان يجلس في المستوصف يحدق في الغرفه فهو طبيب ولكن لايستطيع أن يمارس مهنته ويستذكر كل يوم دروسه مثلما كان
وهو طالب ويعمل مثل العبيد الزنوج الذين كان يستقدمهم المهاجرين الاوائل إلى امريكا للقيام بالمهام الصعبة، حتى اخويه الأخرين أصبحا يدخران مالا وهو على وشك الافلاس، فالدراسة مكلفة ودراسة الطب في الغرب عموما هى للاغنياء فقط، هل الحياة تستحق هذه المعاناة فبعد أن ينهى دراسة الطب في مصر بتفوق وينهى خدمتة الوطنية هل من العدل أن يبدأ من جديد وبدأ يشعر قواه تخور.
ولكن هل يتركه القدر للاحباط.
فقد جاءه أتصال خفيف الظل يتحدث العربيه والانجليزيه والجريجيه بل والفرنسيه:-
جومانه :-شو أخبار الطبيب العظيم.
-تصدقى أنت أتصلتى في الوقت المناسب، كنت خلاص بطلع في الروح.
-أنا هون بامريكا.
-حمدلله عالسلامه.
أنهى علاء فتره الخدمة العسكرية و أتجه في اليوم التالى إلى بيت شناوى حسب الميعاد والاتفاق وكان ممسكا بلفافه أنيقه في يده غالبا تحتوى على تورته أو حلويات ولكن فاخرة .
ولحظه دخوله من مدخل العماره الواسع الكبير فأذا بشناوى قادم ومعه لفافه أيضا ولكن أقل أناقه :-
-أيه ده ياشناوى أنت جايب أيه،شكلها بسبوسه!
رد شناوى وهو يحاول أظهار عدم الاهتمام:-
- والله أنا كل يوم بجيب بسبوسه وأنا مروح عادى مش جايب مخصوص يعنى.
كانت الجلسه لطيفه وظهر الفرح والسرور جليا على وجه الحاج وزوجته

والسفيره عزيزة، التى كانت ترتدى ملابس عصرية مثل الاوروبيات ولكن تتكلم مثل السفيرة عزيزة تستعمل تعبيرات الوجه واليدين وكل اللغات التعبيرية، وأعرب الحاج عن تمنيه بوجود الحاج عبد العزيز وزوجته ولكنه مقدر لظروف المرحلة متمنيا أن يجمعهم الله سويا قريبا وتمت قراءه الفاتحه وأعتبار علاء من اللحظه فرد من الاسره حتى قبل عقد القرآن.

في اليوم التالى أشار علاء للاخرس بأن يحضر كمية كبيرة من الشربات ليوزعها على العمال بالشادر والشوادر المجاورة.

رد الاخرس بأشارات غير مفهومة ولكن تدل على الامتعاض.

علاء-ترجم يابو عليش الواد ده بيقول أيه؟

-بيقولك شربات أيه يابيه ده سيادتك قديم اوى.

-أمال هو عايز أيه!

-بيقولك في دلوقتى علب عصير جاهزة تتوزع على العمال.

-طيب قوله يروح يتنيل يجيب عصير.

-أشار الاخرس لاثنين من العمال باشارات سريعة فهماها وأنصرفا مسرعين.

أخذ علاء يبرطم:-هو كمان حايبعت ناس تجيب، صحيح كل ذى عاهة جبار.

بعد قليل أضاء موبايل الاخرس ولم يكن في المكان سواه وعلاء فقدم إلى علاء مسرعا وأعطاه الموبايل .

رد علاء :-مين سيادتك، اللواء شعيب! أيوه الاخرس جنبى.

ونظر إلى الاخرس الذى أشار له يستعلم عن كنية المتصل

،هل هو راجل أم سيدة.

فأشار له علاء بأنه ظابط كبير .

فشوح الاخرس بيده بعدم الاهتمام.

ثم قال اللواء لعلاء :-لوسمحت تقوله يجيب معاه أربعة عمال بكره حسب الاتفاق لان عندى شغل كتير.

فأشار علاء للاخرس بالمضمون.

obeikan.com

فأشار له الاخرس بأنه مشغول غدا ولكن ممكن بعد غد وسيكون معه أثنان فقط من العمال.
فقال علاء للواء:-بيقول لحضرتك بعد بكره ومعاه اتنين بس،ها أيه رايك(متمنيا أن يرفض).
-طيب أنا مستنيه، ممكن تبلغه لو سمحت.
أنهى المكالمه ثم نظر للاخرس :-هو أنت حاتشغلنى عندك يازفت.
أخذ الاخرس الموبايل وابتعد وهو غير مكترث بغضب علاء.
وصل شناوى إلى الشادر وبادره علاء:-
-عايزين بقى نحتفل بقراءة الفاتحة وكمان أنتهاء فتره الخدمة العسكرية.
-تحب نطلع السخنة يوم من بدرى ونرجع أخر النهار.
-أيوه وناكل أكلة سمك عند سمكمك.

***

المكان مطعم أيرانى هادئ في منطقه كوينز بنيويورك يقدم مأكولات لذيذه شبيهة بالمأكولات المصرية واللبنانية مثل المشويات والكباب ولكن مع بعض الاختلافات في الشكل وطريقة التقديم ونوع البهارات.
عماد:-لاتعلمى كيف أن مكالمتك جاءت في الوقت المناسب لقد كنت على وشك الانهيار.
وقص عليها الصعوبات و المعاناة التى يمر بها.
جومانه:-تعرف ما الذى لفت نظرى اليك وسبب أعجابى بك!
-ماذا؟.
-أعجبنى أعتمادك على نفسك وسرعة تفكيرك وحسن تصرفك، وعدم أمتهان نفسك ومحاوله أستعطاف والدك،كما أنك طبيب وهذا يدل على أنك أنسان متفوق وذكى، ربما لديكم أطباء
كثيرون بمصر ولكن لقب طبيب بلبنان مازال يحتل قمة الهرم في الوظائف ذات التقدير والاحترام.

obeikan.com

أرجوك لاتهدم صورتك أمامى،صورة المتمكن من أدواته والمسيطر على أمور حياته.

أحمر وجه عماد خجلا وقال:-

-مازلت بشرا ومن حقى أن أمر بلحظات ضعف أنسانى فهى من شيم البشر، ولكن صراحة كلامك يمدنى بشحنة من الدعم المعنوى والتفاؤل.

ثم قال ضاحكا:-

-لم أكن أتخيل أنى املك كل هذا الصفات.

-أنت تملكها ولا تفرط فيها يابطل.

***

المكان شاطئ هادئ في أحد القرى السياحيه في العين السخنة، والشمس ساطعة والجو حار وشناوى وعلاء مسترخيان على شزلونجات مع بعض المثلجات والعصائر والفواكه ومن الواضح انهما يكافئان نفسهما على ماتم أنجازه في المرحلة الفائتة:-

علاء-شفت ياد ياشناوى بعد ماكنا أصحاب وشركا حانبقى نسايب كمان.

-ده أحنا ممكن نزهق من بعض كده.

-قوم ننزل البحر لحسن الجو نار.

أثناء السباحه غطس علاء حتى أختفى تماما تحت سطح الماء ليبرد رأسه، ثم خرج ممسكا بورقة مالية.

-أيه دى؟عملة غريبة.

-ورينى كده.

-دى من كينيا، ١٠٠ شلن كينى،هى عملة كينيا الشلن!.

-بس غريبه أيه اللى جابها هنا، هو أصلا في سياح بيجوا من كينيا؟

-لا و كمان حالتها جيدة مع أن المياه مالحة.

-ممكن حد من الاجانب كان جاى من كنيا ووقعت منه.

-ولا ياشناوى دى علامة.

obeikan.com

-نعم؟؟
-أيوه دى أشارة.
-أشاره أزاى يعنى؟
-هو أنت كنت عايزنا نروح كينيا ليه!
-كنت بفكر نستورد شاى،أصل الموضوع ده مربح أوى،والفكرة تقريبا جاهزه في راسى.
-خلاص تعالى نفكر فيه بجد أول مانرجع.
وظل ممسكا بالورقه الماليه مندهشا وسعيدا ويرفعها لاعلى جهه الشمس محاولا تجفيفها وهو يردد (والنعمة أشارة).

***

أصبح عونى مشرفا على مجموعة دوائية في شركته ويسكن في شقه جيدة وسياره حديثة ودخل معقول وشعر بأنه في حاجه إلى استراحه محارب وكان مستلقيا على السرير يتأمل في السقف حيث لايوجد علب سجائر فارغة هذه المرة،وسرح كثيرا وفكر أكثر وأتخذ قرارا ونام مبكرا ليصحو مبكرا.
وفعلا كانت الساعة الخامسة صباحا عندما صحا من نومه وقام بعمل الاجراءات الصباحية للافاقه من حلاقة اللحية إلى دش بارد إلى شاى بلبن مع فطار سريع حتى أصبح على أكمل وجه ونزل وأستقل سيارته بشوشا،متفائلا ولكن مع بعض الحذر.
دق الباب ففتح الدكتور على حيث أنه يوم أجازته ليجد أمامه عونى وكان يقف على بعد عدة درجات من باب الشقة، ففتح على ذراعيه مرحبا بالضيف العزيز ومتفاجئا بالزيارة.
ولكن عونى ظل في مكانه وعاجله قائلا:-
- قال الله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد: (وَمِنْ اَياتِهِ أن خَلَقَ لَكُم مِنْ أنفُسِكُم أزواجاً لِتَسكنوا اِلَيْها وَجَعَلَ بَيْنكُم مَوَدّةٌ وَرحمَة)
قطب على حاجبيه ولم يفهم.

وأستطرد عونى وهو مازال مكانه:-
- وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : («إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلاّ تفعلوا تكن فتنة في الارض وفساد كبير)
فأبتسم على وفهم المغزى.
وأستمر عونى:-و عن الاِمام علي بن ابي طالب عليه السلام انّه قال: «تزوّجوا فاِن التزويج سُنّة رسول الله صلى الله عليه وآله فانّه كان يقول: من كان يحب أن يتبع سنّتي فاِن سنّتي التزويج.
-طيب مش ندخل نتكلم بالداخل أفضل.
- وعن الاِمام أبي عبدالله عليه السلام انّه قال:-
فقاطعه على طالما وصلت للائمه أنا حادخل أريح شويه ولما تخلص أبقى تعال.
فاسرع عونى إلى الداخل وأحتضنه على بشدة،
فرغم قصر فترة تعارفهما إلا أن بينهم حالة من الانسجام والود.
وبعد واجب الضيافه والترحيب.
على:-أنت مش شايف أنك مستعجل شويه.
عونى:-يعنى بعد كل اللى قلته ده شايفنى مستعجل.
-أحنا في غربة واحيانا الوحدة والحنين إلى الوطن يضغطوا على تصرفاتنا ونشعر مشاعر ليست حقيقية.
-لا ماتخافش يادكتور على أنا فكرت كتير قبل ماأجى اقابلك.
-طب خدت رأى حد من أهلك؟
-لا، أنت عارف كل الظروف،ولكن يوما ما ستتعرفون على أهلى ولكن أمنحنى بعض الوقت.
-أنا اعتبرك مثل أخى الصغير ويسعدنى أن نصبح نسايب، عموما كلها فتره بسيطه وتحضر أختى وساترككما تتكلمان سويا لبعض الوقت وحدكما، رغم أن هذا ضد مبادئ ولكنى أثق بك، ثم نرى ماذا نحن فاعلون.

obeikan.com

وبالفعل بعد قليل حضرت شيماء وجلسا سويا وأكتشف أنها تحمل شخصيه أنثوية جذابة مرحة أحتفظت بها رغم وعورة المكان ولكنها مكبوتة بسبب الظروف وأكتشفت هى أيضا أنه الشخص المناسب من ناحية العقل حيث انه يعمل في مهنة جيدة ومن اسرة طيبة على حد قول أخيها وكذلك من ناحية القلب فقد أستراحت له ولكلامه وشعرت بطيبة قلبه وأن بينهم بعض صفات مشتركة وأنسجام فطرى وهى تحتاج من تحبه وتفرغ معه الشحنة العاطفية الكامنة بداخلها وأحست بسعادة غامرة، وأنه أن الاوان لتقوم ببعض التغييرات المحورية في حياتها ومكثا حوالى خمس ساعات يتكلمان ويشربان الشاى بالنعناع ثم القهوة ثم الشاى مرة أخرى حتى شعر على بالخجل وهو يجلس خارج الغرفة في وضع لايليق وأندفع داخل الغرفة ولم يجد مايقوله ثم خرج ففهمت شيماء الرسالة وأسرعت خارجة خلفه وماهى إلا دقائق معدودة حتى عاد مرة أخرى إلى عونى واحتضنه وقال له مبروك معلنا موافقة أخته.

أصدرت عجلات طائره الخطوط الجويه الكينيه صوتا عاليا بسبب أحتكاك الكاوتشوك بأرضيه مطار نيروبى الدولى معلنة وصول الطائرة وعلى متنها الثنائى المبدع والمغامر علاء وشناوى الذين أنتقلا من تجارة الخضروات والفاكهه إلى تصدير الفاكهه الخاليه من المبيدات والاسمده الصناعيه ثم إلى تصدير الورود الفاخرة الباهظة الثمن إلى بعض البلاد الاروبيه وكانا قد أقتبسا هذه الفكره عند علمهما بأ ن اسرائيل تحتكر تقريبا تصدير الزهور من الشرق الاوسط إلى أوروبا، حيث أنها تجارة رابحة فالورود يخف وزنها ويرتفع ثمنها وخصوصا في مواسم تبادل الهدايا في الغرب وهى متعددة.

كان العاملون بالمطار والجوازات والحمالون كلهم من السود ولم يستغرقا كثيرا حتى كانا خارج المطار وأستقلا سيارة أجرة وأنطلقا إلى فندق دانا سيرينا بوسط نيروبى وهو فندق فاخر لايقل عن فنادق اوروبا من ناحيه التأثيث والخدمةوالمفروشات، وكان ايضا جميع العاملون من السود والمشاه

في الطرق من السود:-
شناوى:-أنا حاسس أننا نزلنا كوكب تانى غير الأرض وأول مره أحس أنى أبيض أوى كده.
علاء:-بس شايف المرور منظم أزاى والاشارات اتوماتيكيه مافيش عسكرى واقف على كل اشاره يشاور للسيارات تمشى أو تتوقف ومافيش اكوام زبالة.
-حتى افريقيا السوداء حلت مشكله المرور والزباله.
-فاكر زمان لما كانت الناس بتنبهر بامريكا واوروبا وبعدين تدهور بنا الحال بقينا ننبهر ببعض البلاد العربيه من ناحية الرقى والنظام واللى مخوفنى بقى اننا بدأنا ننبهر بافريقيا السوداء كمان.
أمضيا اليوم الاول في التسكع في وسط المدينه في نيروبى وأكتشاف البلد ورغم التحذيرات من اداره الفندق بعدم التأخر عن العاشره لانعدام الامان وارتفاع معدل الجريمة إلا انهما شعرا من الوهله الاول أن المواطنين الكينين أناسا طيبون ومسالمون إلى أقصى الحدود وشعرا بالامان الكامل وعادا إلى الفندق في ساعة متأخرة .
في اليوم التالى أفاقا من نومهما مبكرا ليستقلا سيارة إلى مزارع الشاى لمشاهدة كل شيء على الطبيعة.
حالة الطريق لم تكن جيدة ولكن المزارع والاشجار الكثيفه تحيط الطريق من الجانبين .
وقفت السياره بعد حوالى الساعتين من نيروبى جانبا حيث توجد بعض الاكشاك للاستراحة وتقديم الشاى .
ورغم بساطة المكان إلا انك لاتملك إلا أن تشعر بارتياح ثم جاءت فتاه كينية تحمل أكواب الشاى .
وتذوقا الاثنان وانبهرا بالمذاق، أنه شيء مختلف عما تعودا عليه وسألها علاء:-
-بكام الكيلو يا أموره!

-ب١٠ شلن.
ثم نظر إلى شناوى :-
-ألحق ده الكيلو بأقل من ٣ جنيه .
وطلب منها كيلو، وكانت العبوه جيدة ومحكمه ولكن بدون بدون أى أناقه أو ناحيه جماليه والطباعة باهتة.
ثم خرجا وأخذا ينظران للمساحات الشاسعه المنزرعه بنبات الشاى بانواعه وكان المنظر بديعا جميلا .
علاء:يعنى كل الشاى الانجليزى الفاخر اللى بنسمع عنه وبنشوفه في الاعلانات كله بيجى من هنا.
شناوى:-طبعا دى كانت مستعمرة انجليزية وكان الانجليز يأتون بالهنود من موطنهم الأصلى إلى هنا لزراعه الشاى وتصنيع السكر ولو لاحظت حاتلاقى كتير من الهنود مازالوا يعيشون هنا ويحملون الجنسية الكينيه.
علاء-الانجليز دول كانوا جبابرة.
شناوى:-شوف بقى نوعيه الشاى دى لما تتحط في عبوة أنيقه وطباعه ٤ لون جذابه مع فصل ألوان.
-ماهو أى طباعه بيتعملها فصل الوان ياشناوى.
أكتشف شناوى أنه لايصلح لدور الخبير الفنى ثم عاجله قائلا:-
أنا حاخد منها عنوان وكيلهم في نيروبى وأنا كمان معايا عناوين أخرى ولما نرجع نزورهم ونتفق معاهم على كمية كويسة نبدأ بيها ونشوف السوق.
علاء:-إلى أين يتنهى هذا الطريق؟موجها كلامه لفتاة الشاى.
فتاة الشاى الكينيه:-أنه ينتهى إلى منطقه مساى مارا.
-وماذا يوجد في هذه المساى مارا .
-أنها منطقة غابات مفتوحة حيث تعيش قبائل المساى سويا مع الحيوانات في مناطق شاسعة مفتوحة .
لمعت عيناه وظهر أنه يفكر في شيء ما:-

-وهل مسموح لنا بالدخول،وهل هى منطقة أمنة.
-طبعا أنها منطقة سياحية من الطراز الاول.
شناوى:-أوعى عقلك يسرح منك.
علاء:-دى فرصه العمر ياشناوى نشوف غابات مفتوحة، فرصه صعب أنها تتكرر.
-طب والشاى اللى حانتفق عليه ده.
-محصلش حاجه لو رحنا مساى دى ليلة أو اتنين ونرجع نخلص موضوع الشاى .
أستسلم شناوى لسببين فهو يعلم أن علاء شخصيه زنانة وكذلك هو أيضا لديه الفضول لمشاهدة الغابات المفتوحة.
خرجا من الكشك البدائى يحملان كيلو الشاى وأتجها إلى بعض الميكروباصات حتى وجدا أحدهم متجها إلى ماساى مارا، فقفزا داخله وخلال دقائق أنطلق بهما.

***

في خلال شهر تقريبا أنهى عونى وعلى أجراءات الزواج وتركت شيماء عملها في الدوادمى على وعد من عونى بمساعدتها بالعمل في الرياض أذا رغبت في العودة إلى العمل لملئ وقت الفراغ، وكان الزواج متيسرا بلامشاكل حيث انه يسكن في شقه جيدة بالفعل ولديه السيارة ودخله ممتاز، أذن لايوجد أعباء أضافية سوى حفل بسيط في الدوادمى ثم عشاء فاخر في الرياض وأتجها إلى الشقة وما أن أغلق عليهما الباب حتى تحولا إلى طفلين يخلعان الملابس في جميع أنحاء الشقة وهما يرقصان على انغام أغنيه (يامنفى)الجزائرية ولكن هذه المرة قد أختلف المنفى فقد أصبح لذيذا وأكثرعذوبة.
وتحولت شيماء من النقيض إلى النقيض مثل أفلام دراكولا والرجل الذئب عندما يتحول الإنسان من شخص وديع إلى ذئب أو مصاص الدماء، فقد تحولت من فتاه منتقبه تعيش حياة جادة جافة إلى فتاة مرحة مفترسة

تفيض حبا وحنانا ومشاعر متداخله تتحول أحيانا إلى مشاعر فطريه جامحه وعندما صحا في اليوم التالى جلس في الشرفة يتناول افطارا ويتأمل في الكون وهو يشعر بالسعادة ووقفت نحلة على يده ولم يشعر برغبه لأبعادها،تركها تقرصه بدون أى غضاضة،لماذا لانتحمل الالم قليلا حتى نتذوق عسل النحلة!

***

كلما أصاب الحاج عبد العزيز نزلة برد أو أى الم في المفاصل أو حتى صداع كان يشعر بالحنين لاولاده وببعض الندم عما فعله

وبدأ يخاف أن يموت وحيدا مثلما عاش وحيدا وأحيانا يبكى كالاطفال وبدأيسأل عنهم أصدقاؤهم أو أى من زملاؤهم ولكن لم يدله أحد على شيء.

أما كريستا فكانت تعلم أن من قوانين الحزم والجزم أن تقول ماتعنى وأن تعنى ماتقول ولا مجال للتراجع رغم أن قلبها يعتصرها على اولادها حتى انها بكت عدة مرات وهى المرآه الحديدية.

بدأ الميكروباص يتهادى ببطئ أثناء دخوله منطقه كثيفه الاشجار تشبه أفلام طرزان القديمة وكان يظهر بين حين والاخر من البعد بعض زرافات أو قطيع من الحمار الوحشى يستمتع باشعة الشمس والهدوء وكان المشهد بديعا مختلفا عما شاهداه طوال حياتهما.

ودخلا أحد الخيام وهى متسعه وجميله من الداخل وحجزا خيمتين ثم حضرا محاضرة قصيرة عن طبيعة المنطقة ونوع الحيوانات والمراعى فيها ثم بعض معلومات عن قبائل المساى وعاداتهم وطلبت منهم موظفه الاستقبال التوقيع على تحملهم أى مسئوليه أو أصابات محتملة قد تحدث لهما وأرتعب شناوى ولكن الفتاه أفهمته أنها أجراءات روتينية، لم يقتنع تماما ولكن لامجال للتراجع، أتجها إلى الخيام، كانت الخيمة من قماش أخضر سميك متين ثم تلتحم من أسفل مع جلد سميك ليكون بمثابه الارضية ولايوجد أى فرصه متاحه لدخول حشرات أو زواحف مهما صغر حجمها والنوافذ عباره عن نسيج شبكى ضيق الفتحات جدا ولكن تستطيع مشاهده

مايحدث خارجا من خلاله ولايسمح أيضا بنفاذ أى حشرات وتغلق بسوسته قويه ضخمة،جلسا خارجا حيث يوجد منضدة مصنوعة بطريقة بدائية من جزع شجرة ضخمة حتى تتلائم مع المكان ولاتجرح عذريته وكذلك المقاعد وأثناء جلوسهما كانت تعبر بعض الغزلان بانواعها المختلفه أمامهما ولا مانع من مرور حمار وحشى وفهما من العاملين هناك انها حيوانات غير شرسة ولكن من الافضل عدم التعرض لهم وخصوصا الحمار الوحشى لان رفسة واحدة من قدمه الخلفية كفيله بأن تكون قاتلة وهى سلاحه الوحيد ولايستعمله إلا عند الخطر.

كان البرنامج أن تستقل سيارة تتسع لستة أشخاص الساعة السادسة صباحا والتجول لمده ساعتين لمشاهدة كل انواع الحيوانات في مواطنها الاصلية والعودةه لتناول الافطارثم القيام بنفس الجوله مره أخرى الساعه الرابعة لمده ساعتين اخريين.

الحيوانات آكله العشب تعيش سويا في هدوء مثل الغزلان والافيال والحمار الوحشى والجاموس الوحشى، أما الحيوانات

المفترسه آكلة اللحوم مثل الاسود فتعيش منعزلة في مجموعة لاتتعدى الخمسة ونفس الحال مع الفهود والنمور ولاتختلط ببعضها، أما الضباع فتعيش في مجموعه قد تصل إلى ٢٠ أو أكثر ولا تهاجم حيوانا حيا غالبا وأنما تأكل بقايا الطعام الذى خلفه الاسود أو تـفترس حيوانا مريضا أو جريحا وهذا سبب المثل الشعبى الدارج(سبع أم ضبع) لان السبع له كرامة وعزيز النفس أم الضبع فهو لايأبه لكونه حقيرا أو وضيعا.

كان سائق السياره وأسمه كبيرا دائم الشرح باللغه الانجليزيه التى يجيدها تقريبا معظم السكان بسبب الاحتلال البريطانى سابقا ومن الغريب أنك تشاهد مجموعه من الاسود تنام في ظل أحد الاشجار الكثيفه وبعدها بمسافة بسيطة بعض السكان الاصليين مارين على أقدامهم الحافيه ولايمسكون الا عصيانا رفيعه.

كيف يتعايش الجميع سويا.
وفى المساء يتم قطع الكهرباء حيث أنها تأتى عن طريق مولدات ويوجد بجانب كل سرير بطارية ضخمة للاستعمال عند الحاجه،طلب شناوى من علاء أن يناما سويا في خيمة واحدة لانه مذعور ومع الالحاح وافق علاء،وفعلا طوال الليل كانت الضباع تتلاعب بالمقاعد وتصدر صوتها المميز باستمرار ولم يكن يغلق الخيمه سوى سوسته ولايسمح لك بفتحها إلا في الصباح الباكر.
نظر شناوى من خلال النوافذ المنسوجة من قماش خفيف ولم ير في الظلام إلا عيون ولم يستطع أن يميز مانوعها ففضل النوم والاختباء تحت الغطاء وظل هو وعلاء يقرأون القرأن حتى بشاير الفجر حين أنقطع صوت الضباع وظهر ضوء الشروق.
كان من أفضل ماسمعوه من كبيرا عن خصوصية الكائنات الحية حيث خلق الله جميع الكائنات بغريزة تسمح له بالخصوصية وتحذره من المخاطر.
وكان الشرح العملى عندما كان أحد الافيال وحيدا يأكل بعض اوراق الاشجار معطيا ظهره للميكروباص وأقترب كبيرا منه وأظهر الفيل عدم أكتراثه أو أهتمامه بالميكروباص في البداية فأقترب كبيرا أكثر فتوقف الفيل عن الاكل ولم ينظر خلفه مما يدل عن بداية شعوره بالقلق ثم أقترب كبيرا أكثر فاستدار الفيل ثم أنتصبت اذناه وأصبحت في حجم مظلة كبيرة وأصدر صوتا قويا مرعبا
وأتجه بكل سرعته نحو الميكروباص فأسرع كبيرا هاربا قبل أن يرتطم الفيل بالميكروباص.
فقال كبيرا لقد رأيتم أنه كلما تعدينا أحد الدوائر الافتراضية التى يحيط نفسه بها كلما تغير أسلوبه حتى أوصلناه إلى العدوانية.
شناوى :-ياعم دوائر أيه بس ده أنت كنت حاتموتنا.
تصور ياشناوى كلامه صح، فعلا لما حد غريب بيقرب منك أو حتى لو في مشاجرة وأقترب منك من تتشاجر معه حتى بدون أن يلمسك فأنت تشعر

بالتهديد وتغير من أسلوبك إلى أسلوب أكثر عدائيه (قالها علاء وهو يتأمل هذا الدرس الفلسفى من واقع الحياه الذى تعلماه من كبيرا).

وأثنا مرور السيارة بالغابات شاهدا أحد قرى قبائل المساى، فعرض علاء على الركاب الاجانب الأخرين أن ينزلا لمشاهده القبيله من الداخل ووافقا بالطبع كنوع من الفضول.

نزل كبيرا للتفاوض من زعيم القبيله وكان خلفه علاء وكان زعيم القبيله يجلس شبه عاريا إلا من قطعه قماش تخفى عورته وطلب من كبيرا ٢٠٠ شلن عن كل فرد كرسوم للزياره وترجم كبيرا لعلاء فقال له علاء أن ٢٠٠ شلن كثير أعرض عليه مائه فقط.

وسمع زعيم القبيله يقول لكبيرا ميه همسين فقال علاء:-

-أستنى ياكبيرا هى ميه همسين يعنى ١٥٠ عندكم.

-نعم هذه لغتنا التى تسمى السواهيلى.

-بس دى نفس الكلمه عندنا في العربى؟

-السواهيلى تحورت على ايدى البحاره العرب قديما الذين كانوا يأتون إلى مومباسا للتجاره وتبادل البضائع وكان من بينها تجارة العبيد وبالتالى احتوت لغتنا على كلمات كثيرة من اللغة العربيه(سواهيلى مشتقه من كلمه سواحلى أى بسبب قدوم العرب على سواحل مومباسا)

علاء:-طب سيبنى بقى أتكلم معاه.

وجه كلامه لزعيم القبيلة:-

-خلاص ميه همسين اوك ياحاج مفيش غيرهم ومش حانزود.

ضحك الزعيم وسلم على علاء بمعنى الاتفاق.

وكانت القبيله من الداخل تختلف عن الغابة، فالغابة رائحتها محببة ومزيج من الزهور بدون تدخل البشر أما القبيلة من الداخل رائحتها سيئة جدا حتى انهم يبنون الاكواخ من هيكل بدائى من البوص ثم يقومون بتغليفه بروث البهائم حتى ينشف ويصبح بديلا للاسمنت وطارد للحشرات ايضا.

obeikan.com

وكان الجميع يعيشون شبه عرايا كما جاء في مسلسل الجذور الامريكى،ولايشعرون بمشكلة من هذا فالحيوانات تعيش عرايا ايضا وكلهم زملاء في البحث عن قوت يومهم.

وكان من سمات حياتهم الغريبه شرب دماء البهائم عن طريق قطع أحد الاوردة ثم الضغط على الوريد حتى يلتئم مرة اخرى بدون قتل الحيوان فهم يعتقدون أن سر قوتهم نابع من شرب الدماء المغذية.

وكانت هذه الطريقة هى التى ساعدت المغول قديما في غزو البلدان البعيدة فقد كانوا يشربون دماء الخيل كبديل عن الماء في رحلاتهم الطويلة مما ساعدهم على الاستمرار.

وعند عودتهم من ماساى مارا إلى نيروبى كان علاء ينظر من النافذة سارحا متأملا كأنه يمارس رياضة اليوجا الموروثة من والده ثم فجاءة توجه إلى شناوى النائم جانبه:-

-ولا ياشناوى أحنا عايزين نعمل مشروع زى ده في مصر.

-طيب نام والصباح رباح.

-رباح مين يابنى ماحنا الصبح.

-بس أنا مانمتش من ساعة ماوصلنا الغابة المرعبة بتاعتك دى.

-طب بس فكر معايا لو ممكن نعمل مشروع شبيه بغابه المساى دى بس طبعا على مقياس أصغر لكن حاتبقى حاجة جديدة.

-ماهو في حديقة حيوان في مصر عندنا.

-حديقة الحيوانات بتاعتنا أصبحت حديقة قديمة مهملة لايوجد بها حيوانات بالشكل المفروض كما انها فقدت كل معالم الجمال وخرجت من التصنف العالمى،أحنا نعمل مكان واسع كله أشجار وحيوانات تعيش في أماكن مثل مواطنها الاصلية بدون أقفاص ولكن ممكن مثلا يكون المكان منخفض والناس تشاهد من أعلى المهم لايكون هناك أقفاص، نستطيع الاستعانه بخبراء.

-فوقتنى من النوم،بس عارف أنا عندى فكره، أبويا كان واخد حتة أرض عالطريق الصحراوى بيسقعها ومرعوب انها تتسحب منه لانها مازالت خالية من نسبه المبانى المشروطة من الجهاز،ممكن ندخله معنا شريك بالارض واحنا نعمل الباقى،بس حانحتاج فلوس كتير.

-ممكن نبدأ واحدة واحدة ونخلص المشروع على مدار ٣ أو ٤ سنين بس حايكون مشروع العمر.

-طب والشاى؟

-الشاى شغال زى ماهو، أحنا اول مانوصل نيروبى نخلص فيه على طول.

-وقعت قلبى أفتكرتك حاتقفل على موضوع الشاى.

-لا موضوع الشاى ده مافيهوش كلام، أما موضوع الغابة ده نعمله بروقان كل مايتجمع معانا شويه فلوس نشتغل ولو ابوك وافق أول حاجه نعملها نبدأ نخضر الارض ونزرعها كلها شجر مانجه وتفاح .

-أشمعنى يعنى.

-أنا طول عمرى بستغرب ليه لما بيزرعوا شجر في الشوارع بيزرعوا شجر يطلع مجرد ورق أخضر للزينه وبس،ليه مايبقاش شجر ينتج فاكهه وبرضه ورق أخضر للزينه.

-ياعم ده الناس ممكن تتخانق على الفاكهة.

-حايتخانقوا سنه وبعدين حايتعودوا على وجودهاوحاتلاقى أسعار الفاكهه نزلت جدا،لو عملنا المشروع ده حانسمح للزوار بتناول الفاكهه مجانا بشرط أن تكون سقطت من الاشجار بسبب أستوائها ونعمل لائحه ممنوع أسقاط أى فاكهه من الاشجار، أنا شوفت زمان مزرعه تفاح كده في سيناء، من حق الزبون جمع الفاكهه بنفسه وتذوقها مجانا وأذا أشترى كميات يتم وزنها عند خروجه ودفع ثمنها

-تصور ممكن تبقى فكرة جديدة، ماحدش فكر فيها قبل كده، ولا ياعلاء أنت متأكد أنك غبى بجد، اوقات بحس أنك ذكى جدا.

openkan.com

-أيوه يابنى غبى هو أنا يعنى حاضحك عليك، أنت بس نسق مع أبوك ولو وافق نبدأ على طول في التشجير.

***

عادا المغامران إلى الشادر بعد الاتفاق على توريد كميه مبدئيه من الشاى السايب ليتم تعبئتها في مخزن صغير كبدايه لحين التوسع.

تلقى علاء مكالمه من أخيه عماد يسأله أذا كان يستطيع أقراضه عشره الاف دولار لحين أنتهاء المعادله:-

-طبعا تحت امرك ياعماد حابعتهملك على وسترن يونيون.

-ميرسى جدا ياعلاء وحارجعهم لك اول ماخلص المعادله.

-هو أنت حاتخلص أمتى المعادله دى؟

-يعنى فاضل كام شهر كده.

-طيب متوقع يكون مرتبك كام لو أشتغلت عندك!

-بيكون بين ١١٥ إلى ١٣٠ الف دولار في السنه.

طيب أعمل حسابك حاترجعلى ١١٠ الف دولار على سنتين.

-كل دى فوايد ياعلاء (قالها ضاحكا).

-لا أصل سيادتك بقيت شريك معانا في شادر هتلر وماسيتتبعه من مشاريع .

***

-هتلر مين يابنى هو أنا حيلتى حاجة.

-لا مانا حادفع عنك ١٠٠ الف دولار وأبقى سددهم على سنتين وأخوك عونى معانا برضه والشناوى صاحبى بتاع زمان.

-خلاص لو حاتصبر عليا سنتين يبقى أنا شريك من الليلة (ضاحكا)،ياد ده انتى اخويا الصغير بس محسسنى انك مطرح الحاج.

-لا أنا مازلت اخوك الصغير.

-ربنا يكرمك ياعلاء.

obeikan.com

يوما مشمسا بلاحر ولكن تستطيع الاستمتاع باشعه الشمس بدون الاحساس بحرارتها وعماد وجومانه يتنزهان في احد الحدائق:-

-هو انتو عندكم في لبنان عشان الواحد يتجوز لازم يكون نفسه وكده.

-متل ماعندكم بمصر وأكتر.

-الله يطمنك.

-لشو بتسأل.

-عندنا مثل بيقول اللى مايشوف من الغربال بيكون أعمى.

-بس أنا شايفه بدون غربال،ياحبيبى أنت حاتكون طبيب عظيم معترف بك في مصر وامريكا، خلى تكوين النفس هدا للاخرين.

-يعنى لو أتقدمت، باباكى يوافق.

-شوف احنا نعمل رحله على اتينا تتعرف عليه وربنا يكرم وأذا في نصيب بنقرى الفاتحة مثل ما تسون بمصر وبعد ماتخلص المعادله بنشوف كيف الوضع.

***

مضى حوالى ثمانيه أشهر تمت خلالها قراءة الفاتحة وأنهى عماد المعادله وقبل أن يتسلم عمله الجديد كطبيب مرخص بالولايات المتحده عقد قرانه على جومانه باليونان في حفل صغير واعدا

جومانه واسرتها بأقامه حفل كبير يوما ما في القاهره،وبالفعل تسلم عمله وهو بنظام يشبه إلى حد كبير نظام الكفيل المتبع في الخليج والذى تنتقده امريكا ولكنها تنفذه حرفيا مع فارق بسيط أنه بعد أتمامك ٥ سنوات من حقك الحصول على جرين كارد التى تسمح لك بالاقامه لمده ١٥ سنه ويضمن لك جميع حقوق المواطن الامريكى إلا حق التصويت في الانتخابات.

أما بالنسبه لعونى فقد سارت الامور على مايرام وعملت زوجته بالرياض مدرسة وأنتظمت الحياة، وأصبح يرسل كل مايوفره من دخله إلى علاء في مصر لاتمام نصيبه من الشراكه.

obeikan.com

أستقل علاء وشناوى ومليجى وسوسن السياره وذهبوا إلى الطريق الصحراوى حيث وصلت السياره إلى بوابة كبيرة كتب عليها غابة أحفاد هتلر والشناوى وأجتازت السياره البوابه حيث يوجد مدخل طويل يصفه أشجار المانجو على الجانبين والمكان يعج بالعمال والحركه ومن الواضح للعيان أنه سيتحول إلى منطقه كثيفه الاشجار ولكن مازال هناك الكثير من العمل ولم يكن الشريكان متعجلين فمن الافضل أن يتم منح كل شيء مايحتاج من وقت لانجازه بالشكل الذى حلما به، فبدون حلم لامعنى للحياة

ولكن تحول المكان من اللون الاصفر القاحل إلى اللون الاخضر المفعم بالحياة، كان مظهر يدعو للتفاؤل وللاحتفال بالانجاز.

علاء:-سنحتفل بهذا الانجاز قريب عندما يصل اخوتى ونلتقى جميعا لاول مره منذ فترة طويلة.

وخلال أسابيع قليله وصل عماد ومعه زوجته جمانه اللبنانيه ترتدى الميكروجيب ونظاره شمسيه، كما وصل عونى ومعه زوجته شيماء ترتدى العباءه وتتصرف دائما بخجل مبالغ فيه وكان لقاء الجبابره عندما التقيا على العشاء في مكان فخم أنيق قام بترتيب تفاصيله علاء ومعه خطيبته سوسن ترتدى على أحدث طراز ولكن دائما صوتها عالى ولها رأى في أى شيء وكل شيء وتتصرف بمنتهى الثقه في النفس وتستعمل يديها وتعبيرات وجهها كثيرا وترتدى الكثير من الذهب في يديها وعنقها.

وكانت أول مره منذ سنوات يلتقى الثلاثه على مائدة واحدة.

وكانت ليله طريفة ولطيفة للتعارف كما صاحبهم شناوى ومليجى

ثم نظرت اليهم جومانه قائله الم تدعو بيكم وأمكم؟

رد الاخوان الثلاثه :-لا.

-ولماذا.

-لاننا نطبق نظريه البروفيسور بهاء سلطان .

-شووووووو، ومتى أخترع بهاء سلطان نظريه؟

obeikan.com

قام علاء وأتجه إلى الدى جى وفجاءه أنطلقت الاغنيه الشهيره
(عشان أصالحك وأرضى عليك حاجات كتيرلازم تعملها)
وأمسك كل منهم برفيقته يراقصها ورقص مليجى وشناوى معا.

***

سهر الجميع حتى الفجر ومع هذا أيقظهم علاء الساعه العاشره ليستعدوا للذهاب إلى مشروع الغابة وبما أنهم في موسم المانجو فقد أعد لهم مهرجانا للمانجو على سبيل المفاجأة والتغيير.

كانت الغابه في تحسن مستمر وشارفت بعض الابنيه على الانتهاء ووضع لهم منضده كبيره عليها كميات ضخمه من

المانجو بأنواعها وتقريبا لم ينس نوعا واحدا فقدجلب لهم السناره والزبديه والعويس وفجر كلان والياسمين ونعومى وصديقة والفص والسكرى وصديقه وايس كريم مانجو وكنافه بالمانجو وتورته المانجو وكان المنظر جميلا وطريفا والفكرة جديدة، وماذا تنتظر من تاجر الفاكهه عندما يكون مبدعا وقد تزين المكان ببعض أنواع الزهور التى يصدرونها عن طريق مليجى وعمه.

وكان الوقت يمر سريعا والجميع في حالة من المرح والضحكات تتعالى وفجاءة دخل عليهم رجلا مألوف الوجه زين الشيب رأسه ومنحه وقارا ووسامه ولكنه مازال متعافى الصحه وقال غاضبا:-

-طبعا كل الانوار مضاءه وأحنا لسه الضهر، ثم نظر إلى كميات المانجو :-كل دى مانجة ياولاد الكلب.

أنتصب الثلاثه واقفون ثم أندفعا حوله يحتضنونه ويقبلونه وهو يبكى ثم دخلت حفيدة هتلر ونظرت يسارا ويمينا وقالت :-مين النسوان دى .

-نسوان أيه بس ياحاجه كريستا حاتفضحينا ثم نالت نصيبها من القبلات والاحضان وقص عليهم عبدو كيف أنه بحث عنهم في

كل مكان حتى توصل عن طريق ولاد الحلال لاحتمال وجودهم في هذا المكان البعيد الذى مازال تحت الانشاء.

أتجه الاخرس إلى جهاز الاستريو وضغط عليه وأنطلقت أغنيه (عشان أصالحك وأرضى عليك حاجات كتير لازم تعملها)
وكانت كلمات الاغنيه تنبعث من الجهاز مختلطه برائحه المانجو اللذيذه ومغلفه بمشاعر الحب والتسامح والعفو والمغفره.

obeikan.com

obeikan.com

كاريزما

القاهرة، كانت العاصمة الاقدم أو المدينة الجميلة(مِنْ نِفِرْ) كما سميت في عصر الفراعنة. من أكثر مدن الشرق التي استأثرت بالكتابة والتأريخ حتى أطلق عليها لقب « جوهرة الشرق»

ولكنها أصبحت ...مدينة مقهوره شاحبه وجهها ملئ بتجاعيد الزمن والتشققات التى خلفتها سنون العوز والاحباط تئن يوميا تحت وقع أقدام عشرين مليون انسان لايحترم نشأتها ولا اصلها العريق الطيب فهى دائما كلمه السر ونقطه التلاقى فقد تحولت العاصمه إلى الاقصر (طيبه) في بعض فترات التاريخ الفرعونى ثم تحولت إلى الاسكندريه في العصر الرومانى ولكنها مالبثت أن عادت إلى مكانها الحالى الاصلى مع الفتح الاسلامى تحت قياده عمرو بن العاص والقاهره الحاليه أصلا تتكون من اربع مدن متحده سويا كانت بدايتها مدينه الفسطاط أول عاصمه أسلاميه في مصر وافريقيا منذ أنشئها عمرو بن العاص وظلت هى العاصمه خلال فترة الخلافة الراشدة والأموية ثم كانت مدينه العسكر هى الثانية التى أمر بانشائها عبد الله السفاح أول خلفاء العباسيين والثالثه كانت مدينة القطائع أسسها أحمد بن طولون وظلت هى العاصمة طوال فتره حكم الطولونيون والأخشيدين وبعد ضعف حكام بنى أخشيد نجح الفاطميون في تحقيق حلمهم وضم مصر للدولة الفاطمية وبناء عاصمة على يد القائد جوهر الصقلى تسمى قاهرة المعز.

وأخيرا قضى صلاح الدين الايوبى على الفاطميين وأسس الدوله الايوبيه ثم بدأ كالمايسترو في تجميع الاربع عواصم السابقه بسور واحد وجعلها عاصمه واحده ترشيدا للنفقات لذا فأنها مدينه أثريه ثريه بتاريخها وأستطاعت أن تمتص كل الحضارات لتنتج لنا عاصمه فريده من نوعها كل حجر مهمل أو ركن فيها يحمل على كتفيه تاريخ مثقل بالاحداث والحروب وتكالب

obeikan.com

المعتدين وأنتصارات وأنكسارات فهى بحق مدينه ذات حسب ونسب وأصل وعز زائل و ينطبق عليها مقولة أرحموا عزيز قوم ذل وكأن هذه المقوله نظمت خصيصا من أجلها وقد أحتار العلماء والمجتهدين هل مقوله أرحموا عزيز قوم ذل هى أحد الامثال القديمه أم أنها حديث شريف وراءه موقف معين ولكن يقال أنه في أحد الحروب بين المسلمين وقبيله طى الكافره قرب الطائف كان بين الاسرى فتاة تدعى سفانة وهى أبنه سيد القوم ووقفت بين يدى رسول الله وقالت يامحمد أن رايت أن تخلى سبيلى فانا أبنه سيد قومى وكان يحمى الديار ويطعم الضيف ويشبع الجائع ويفرج عن المكروب ويفشى السلام ولم يرد صاحب حاجه قط (فارحم عزيز قوم ذل).

فسالها صلى الله عليه وسلم ومن أبوك قالت :-هو حاتم الطائى.

فقال صلى الله عليه وسلم :- هذه صفات المسلم ولو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه وأمر باطلاق سراحها هى وقومها ولما علم اهلها وأخواتها بما حدث دخلوا الاسلام طواعيه.

وبغض النظر عن أصل المقوله ورغم أقتناع الجميع بأنها حكمه تحتوى على الكثير من الرحمه ولكن لم يتذكرها أحد وهو يشاهد معاناة المقهوره وهى تلاطم نكبات الزمن ولذا يمكن تسميتها مدينة (كانت)

حيث أن ذكر مدينه القاهره مرتبط دائما بكلمة (كانت) في جميع المجالات.

لم يقهرها تكالب الطامعين والمستغلين مثل العثمانيين والفرنسيين والانجليز ولولا صمود الانجليز امام الالمان لكان للالمان اضافه اخرى لقائمه المعتدين,

لم يقهرها قله الشيء والاحتياج والسؤال حيث كانت الظروف دائما ضد مصر وكأن لها مسار لايصح أن تتخطاه فقد ظهر البترول غربا وشرقا ولكنه تخطانا ظهر الغاز في معظم بلاد الشرق الاوسط ولكنه شح علينا وجاد باقل القليل، ترعرعت السياحه في بلاد عباره عن شارعين وبلاد لاتتعدى محافظه واحده مما نملك وتركت مصر التى تمتلك ثلث اثار العالم وشواطئ على البحر الابيض والاحمر وضفاف اشهر انهار العالم حتى الانتاج الحيوانى شحيح جدا

فلاتوجد مراعى فكيف بتكريث مراعى للحيوان والارض الزراعيه لاتكفى الإنسان نفسه.

وأفاضت الارض بسكانها واصبحت البيئه طارده لابنائها لقد طرقوا جميع البلدان المجاوره يبنون ويعمرون ويشاركون في البناء حتى قفزت هذه البلاد قفزات كبيره ولكن رغم تشدق هذه البلاد بالاسلام وبقول الرسول لافضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى إلا انهم كانوا دائما الحلقه الاضعف وكان ينظر لهم على انهم جاءوا ليشاركونهم لقمه عيشهم ووظائفهم ومورست معهم أعلى درجات العنصرية.

ولم تكن بلاد الخليج هى المنطقة الجاذبة الوحيده حتى أنك لو قرأت عن حادث سير في الاردن مثلا ستجد من بين الضحايا مصريين ولو سمعت عن انفجار سياره مفخخه في العراق غالبا ستجد بين المصابين مصريون حتى اليمن السعيد الذى لايعرف أحدا متى كان سعيدا هناك الكثير من العمال المصريون .

ومما زاد الطين بله و تم بفعل فاعل كان الصاق كائن خبيث بالكيان المصرى واصبحت وهذا الكائن مثل التوأم السيامى اصبح كالقدر لاتستطيع الفكاك منه رغم تنافرهما الدائم وهو الكيان الصهيونى الذى يراقب وينتظر لينقض .

والغريب مثلما جادت الطبيعه علينا بقله الموارد ولكنها أفاضت في الانتاج الانسانى حيث تتعدى نسبه المواليد كل النسب العالميه وتتركز مع الاسف الزياده السكانيه في غير المتعلمين أو فاكى الخط حيث أن الفئه المتعلمه المثقفه تعتبر الطفل كائن مكلف وباهظ الثمن لاحتياجه لتعليم متميز ومتابعه علاجيه مستمره وممارسه انشطه رياضيه فتكتفى بطفل أو اثنان انما غير المتعلمين فالطفل بالنسبة لهم مصدر رزق فانهم يطلقونه للعمل في المهن الدنيا منذ نعومه اظافره ويكون غالبا مهنته في النهاية شحاذا يدعى أنه بائع مناديل ورقيه أومنادى سيارات أو ميكانيكى غير بارع أو يحترف أى صنعه بدون حرفيه فعليه أو قد تسوء الحال ويتحول إلى بلطجى أو مجرم أو

مخرب أجير لايمانع في حرق متحف لايقدر بثمن أو حرق محولات كهربائيه مكلفه تتعدى اثمانها الملايين أو يقتل اسره كامله وكل هذا نظير عشرات الجنيهات احيانا لاتتعدى مائه جنيه يعنى في حدود ١٥ دولار وقد تفاجئنا جميعا بعدد البلطجيه والمجرمين ابان ثوره ٢٥ يناير والانفلات الامنى حيث اكتشفنا أن القاهره تشبه بيت خشبى قديم يظهر للعابر وكأنه ثابت ومتجذر في التربه ولكنه كان هيكل هش تعيش تحته كل انواع الزواحف والقوارض وما أن ترنح البيت الهيكلى حتى انطلقت الزواحف والعقارب تثير الرعب والفزع.

لم يقهرها كل هذا وظلت صامده ولكن قهرها الكثير من ابناؤها فهم لايتعلمون رغم مجانيه التعليم ولايتثقفون رغم غزاره الانتاج الثقافى ولايتأملون ولايتفقهون ولكن يقلدون أسوأ مافى الشعوب الاخرى سواء في مناحى الدين أو الدنيا؟

قهرتها العشوائيات التى اصبحت تطوقها وتمنع دخولها نادى الامم الصاعده، كيف نمت وترعرت كل هذه العشوائيات الكئيبه الجميع يقول انها نمت في غفله من الزمن ولكنهم كاذبون فالزمن لايغفل وقال الله عز وجل(لاتسبوا الدهر فهو منى) كما قال تعالى(يسب أبن ادم الدهر وأنا الدهر بيدى الليل والنهار) ولكنها تكونت وتوسعت تحت أعين جيش عتيد من موظفى الحى ومهندسى الحى ورئيس الحى ونائب رئيس الحى ومفتشى الحى وسعاة الحى والزمن منهم براء.

كيف فقد المصريون ريادتهم في كل شيء كيف اصبحت بلدهم صاحبه اقوى جهاز مخابرات واقوى جيش في افريقيا والشرق الاوسط وأكبرجيش جرار من المعلمين والاساتذه والاطباء والصيادله والمهندسين إلى بلد متسول قانع خانع يجلس في مكان مظلم قذر في شارع الامم.

هناك جزء كبير من اسباب التخلف عن الامم يقع على عاتق المصريين انفسهم وجزء غير هين يقع على عاتق الطبيعه التى ضنت علينا في كل

الموارد ولم تعطنا إلا القليل فالله يعط بقدر وكان هذا قدرنا ربما لحكمه ما وربما لان الله خلق البشر طبقات وكان هذا رزقنا وكتب علينا أن نكون في طبقة دنيا وكل هذا لايمنع من الاجتهاد (فالرزق نوعان نوع يسعى الينا ونوع نسعى اليه) كما قال على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان قدرنا أن نكون دائمى السعى والاجتهاد وعدم التململ وقد اجتهدت قبلنا الامم من الجنس الابيض والاصفر ضيقى الاعين ومن البوذيين والهندوس وجميعا نالوا حظهم من النجاح والتغلب على قله الموارد.

رغم الذعر من القنابل النوويه فأن البلد الوحيد الذى تم تحطيمه بالنووى وتركيعه كانت اليابان كما أن البلد الوحيد الذى تم تقسيمه و اذلاله هو المانيا ولكن أين هما الان !

لقد تحولا إلى ماردين مره اخرى أذن كلمه السر تكمن في الشعوب .

ربما كان عادل لايدرك كل هذا عن القاهره وهو ينزل من القطار السريع إلى محطه مصر وهو أبطأ انواع القطارات ويركبه الفقراء وكان يسمى بالسريع لمجرد ايجاد لقب له لتمييزه عن الاسبانى والمجرى فقط ولكن الاسم مفرغ من محتواه وأحس بشعور جيد حيث أنه بدأ يشعر بالمل وكانت ساقيه تؤلمانه من الجلسه غير المريحه حيث كان يضع حقيبته بجوار قدميه ربما لم يفكر كثيرا فيما كنا نتأمله ولكن لايمنع انه في وقت ما كان يفكر ويتأمل فهو أنسان ملئ بالشجون والعواطف والمشاعر المتداخله مما يثرى شخصيته .

بدأ يمشى في شارع رمسيس يتحسس اين يبدأ وفجاءه جاءت سياره نقل كبيره مسرعه وتسحب خلفها مقطوره تتميز بضخامه الحجم مع غباء الشكل وكأنها وحش مفترس واقتحمت الميدان بكل عنف والتحمت بعدد من السيارات وافترست العديد من الاكشاك الخشبيه العشوائيه التى يبنيها الباعه الجائلون لمجرد اثبات ملكيتهم لما لايملكون اصلا من الارصفه وتعالت الصرخات والاتربه واصوات طرقعه الخشب وتداخلت الاجزاء

obeikan.com

الحديديه للاسوار المحيطه بالميدان مع السيارات وأقتربت بعض حطام السيارات المنكوبه وهى تنزلق سريعا بفعل التدافع ناحيه عادل ولكنها كانت دائما تتشابك وتتداخل مع بقايا اخرى وتتوقف قبل أن تصل أليه.....

لم يستغرق الحادث الجلل اكثر من دقائق لاتتعدى عدد أصابع اليد الواحده حتى هدأ كل شيء تماما ووجد عادل نفسه واقفا بمفرده في ساحه معركه بعد أن استسلم الجميع وكانت السيارات مهشمه تماما وبعضها راكب فوق الاخرى والهواء ممتزج بالدخان والتراب والجثث مبعثره والمصابين في كل مكان يئنون وكان واقفا مذهولا ممسكا بحقيبته ينظر من حوله وكأنه شخص معتوه أو كأن كل ماعليه أن يشاهد فقط ولايشترك حيث انه لم يتحرك اصلا من مكانه قيد أنمله.

صحت الجموع من وقع الصدمه و بدأت تجرى تحاول انقاذ المصابين أو اخراجهم من بين ثنايا صفيح السيارات وهو واقف لم يتحرك حتى جاءه رجل مسن وقال له انت كويس يابنى فاومأ باشاره نعم وادرك انه لابد أن يتحرك ولا يقف هكذا طويلا كالابله .

حاول أن يشارك في المساعده ولكنه لم يستطع فقد توقف عقله تماما أخذ يمشى بخطوات ثقيله رتيبه ولم يشعر كم مضى من الوقت حتى وجد نفسه في ميدان التحرير وعندها ارتاد ميكروباصا إلى المدينه الجامعيه جامعه القاهره ودخل إلى موظف يقرأ جريده وامامه ساندوتشات الفول والطرشى وسلم له طلبا ليملئه بعد تأكدئه من وجود اسمه في كشوفات المقبولين بالمدينه وكل هذا بدون اهتمام ولا اكتراث عملا بنظريه أحمد زى الحاج أحمد.

استلم احمد غرفته وكان يشاركه فيها طالب اخر من كليه العلوم لم يشعر بود ناحيته حيث كانت هيئته غريبه ويفتقد أى علامات ذكاء أو تميز ولكن هو يعرف جيدا أن ليس من حقه الاختيار وبدأ يستفيق تدريجيا من الصدمه ويستخرج أغراضه من الحقيبه وكان اولها صوره يحبها جدا ويعتز بها عباره عن دب يقف فاتحا فمه على ضفاف احد الشلالات غالبا في كندا

أو امريكا وسمكه تقفز من الماء متجهه إلى فمه ومكتوب أسفلها الحديث القدسى (وعزتى وجلالى لأرزقن من لاحيله له حتى يتعجب أصحاب الحيل) فهو كان يعشق هذه الصوره وهذا الحديث لانه كان يعلم تماما انه ليس من اصحاب الحيل ولا المعارف ولا الوسايط ولا الاقارب . ولذلك كان هذا الحديث القدسى هو بارقه الامل التى تمده بالطاقه الايجابيه وتجعله يتحمل صعوبات الحياه وتنير شيئا داخله وسط الاظلام الحالك.

جلس عادل في مدرج كليه الهندسه يتأمل الحوائط والمقاعد وحتى الطلبه وبدا على وجهه الاصابه بخيبه امل فهو لم يتوقع أن تكون كليه الهندسه جامعه القاهره فقيره هكذا كان يتخيل شيء اخر لقد قضى حياته يحلم بجامعه القاهره ذات القبه التى أفتتحت في حفل مهيب سنه ١٩٠٨ في عهد الخديوى عباس حلمى التحفه المعماريه التى كان يرتادها طلاب العلم بالملابس الانيقه وافخم الثياب لقد بنى ثقافته من الافلام القديمه الابيض والاسود ومن قراءاته عن جامعه القاهره وخريجيها مثل ياسر عرفات وعدلى منصور وصدام حسين وثلاث من حاملى نوبل هم البرادعى ونجيب محفوظ وياسر عرفات وعلماءها العديدون مثل مجدى يعقوب ومصطفى مشرفه.

كان التواضع هو المظهر السائد حتى في هيئه الطلاب وملبسهم وكان يجلس وحيدا ومعظم الطلاب على هيئه مجموعات فقد كون الطلاب القاهريين مجموعه من الشلل بناء على المدارس التى درسوا بها أو الانديه التى يرتادونها لم يهتم كثيرا فقد كان كل همه التركيز في الدراسه وقد أعتاد الحياه وحيدا ولم يكن هناك غير طالبه وحيده لاتنتمى للمجموعات وتتابع باهتمام المحاضر وتدون بعض نقاط ترى انها مهمه.

تجول عادل في في كليه الهندسه ثم عبر الشارع وتجول داخل جامعه القاهره وتوصل إلى قناعه أن جامعه القاهره جزأ لايتجزأ من مصر الحبيبه وهى على نفس درجه الاهمال والعشوائيه وسوء الصيانه وتأكد أن ماعاش يحلم به كان اوهام واحلام حيث كان يظن انها قطعه من اوروبا بنظامها ورقيها

ولكن كان يعزى نفسه بأن لقب خريج جامعه القاهره مازال أفضل من لقب خريج جامعه المنصورة.

جلس يقرأ على سريره في المدينه الجامعيه وكان زميله سعيد يجلس على السرير المجاور يصفف شعره وهو مبتل ثم يلبس فوق راسه احد الجوارب الحريمى القديمه المسميه الفيليه مما يضيف إلى مظهره الممل بعض الغباء وحاول أن يتكلم مع عادل وغالبا ماكان يخونه الحوار

-انت جيت جامعه القاهره ليه !

-لاول مره مجموع جامعه المنصوره يكون أعلى من جامعه القاهره وكمان ماليش حد والدى ووالدتى متوفيين وماليش أخوات يعنى مش حاتفرق كتير وانت منين؟؟

-أنا من المنوفيه بس أنا بقى كتبت جامعه القاهره رغبه أولى عشان في البلد بقى لما ارجع ابقى خريج جامعه القاهره ودى حاجه فخمه اوى وتخلى البنات تتهافت عليا.

-يسلام يعنى تسيب بلدكم واهلك عشان جامعه القاهره.

-أصل خلى بالك أنا كنت حادخل جامعه المنوفيه ودى برضه بعيده عن قريتى كنت حاقضى اليوم كله مواصلات.

-وأمنياتك ايه بقى غير أن البنات تتهافت عليك ؟

-نفسى أشتغل وأغتنى وأتجوز بنت من عيله كبيره أفتخر بيها في البلد واشترى بقى فيلا وعربيه وكمان مايوه.

-أنت سباح بقى؟

-لا أنا عمرى مانزلت أى نوع من انواع المياه وحتى عندنا في البلد لما حد بينزل الترعه بينزل بهدومه وأنا بقى نفسى ابقى اروح المصيف وانزل البحر زى ولاد الذوات وبالمايوه.

-ربنا يحققلك أحلامك ياسعيد ويبقى عندك مايوه.

جلس عادل في المدرج في صباح اليوم التالى وقد بدأ يعتاد على المنظر وعلى

openkan.com

شكل زملائه ووجد نفس الفتاه تجلس وحيده فكر أن يجلس بجوارها ويصبحوا شله مثل الأخرين ولكنه لايملك هذا النوع من الجراءه واثناء تأمله فيها رمقته الفتاة بنظره سريعه ثم قامت بكل ثقه متجهه نحوه وهى لاتنظر له حتى جلست بجواره ونظرت له قائله:-

-أسفه لو أزعجتك.

-لا ابدا المكان واسع مافيش مشكله.

-أنا حنان من مركز فاقوس شرقيه.

-وأنا اخوكى عادل من المنصوره.

-يعنى احنا الاتنين مغتربين، عشان كده منعزلين عن الشلليه .

-أنتى مقيمه في المدينه الجامعيه برضه.

-قرايبى في مصر من بعيد ومش حارتاح لو أقمت عند حد منهم.

أنتهت المحاضره وخرج عادل في الخارج يتنفس الهواء بعد ساعة من رائحه العرق والتهويه السيئه ولاول مره يجد من يتحدث معه.

-تيجى نجيب ساندوتشات !

-بس ممكن نروح ناكلها في حديقه الحيوانات دى جنبنا خالص!

-والله فكره أنا بسمع عنها وعمرى ماشوفتها.

دخلا من الباب القديم الذى يطل على تمثال النهضه وكل شيء كان يدل على العراقه والتاريخ وتستطيع أن تشتم عبق الماضى والفخامه الزائله في كل شيء فالارضيات من الفيسفاء الجميله وفسقيات ومبان عتيقه ولكن كلها مع الاسف في حاله يرثى لها الصيانه تقريبا توقفت من خمسون سنه والاقفاص معظمها خال من الحيوانات وحتى الحيوانات الموجوده هزيله و معظم زائروا الحديقه اصلا لايهتمون بالحيوانات منهم من يلعب بالكره ومنهم من ياكل أكلات غريبه كالفسيخ أو أختراع غريب عباره عن ساندوتش كشرى(كيف تحول الكشرى إلى ساندوتش!!)

-أنا مصدوم .

obeikan.com

-ليه بس؟
-ياليتنى فضلت على نفس الحلم أنا كنت متخيل الحديقه دى حاجه تانيه من افلام زمان فين حديقه الشاى والجمال والاناقه دى زى أى حديقه عندنا في البلد بس مع شويه حيوانات هزيله.
-ياعم ده كده نعمه دى اصلا فضلت عشرات السنين تذكرتها ربع جنيه بس ولما زادت بقت جنيه.
-ياريتهم خلوها ب٥٠ جنيه وكنا ندخلها مره بس في العمر ونستمتع بالجمال اللى تركته لنا الملكه اوجينى.
هو ليه مافيش حاجه بتتحسن للافضل أو عالاقل تظل محتفظه بأناقتها، العشوائيه والقبح انتشر جدا تصورى أن الخيال أفضل وكان بيمدنى بطاقه ايجابيه.
لم تكترث حنان بما يقول فهى متعوده عالقبح وتعيشه على ارض الواقع وجلست على احد الاريكات القديمه و أشارت لعادل بالجلوس وكأنها تقول له أهبط بقى من فوق السحاب أديك عرفت الحقيقه وقامت بفتح لفافه الساندوتشات والمخللات وهجما عليها هجمه رجل واحد حتى تبقى منها بعض الاوراق فقط .
رغم صدمه عادل في الحديقه أنما شعر بسعاده غامره فقد أصبح له اصدقاء أصبح يجد من يتكلم ويأكل معه.

***

جلس سعيد على سريره مرتديا الشراب الفيليه وبدأت تظهر عليه علامات العته مره اخرى
-تعرف يا أستاذ عادل.
-يابنى أستاذ ايه بس أنا اسمى عادل.
-لامعلش الاحترام واجب انت طالب في الجامعه ولازم اقولك ياأستاذ.
-طب ما انت كمان طالب في الجامعه.

-معلش ريحنى خدنى على قد عقلى!
عارف أنا كان نفسى ادخل كليه صيدله بس المجموع بقى ماوقفش جنبى.
-معلش ماهو كليه علوم برضه كويسه.
-لا مانا كان نفسى ادخل كليه طب بيطرى والمجموع كان يجيب بس والدى رفض.
-غريبه اوى ليه كده.
-والدى راجل طيب ومتواضع وأنا لو كنت اكتفيت بدبلوم ماكنش حايمانع انما كله إلا الطب البيطرى أصله متعقد منه لان وهو شاب كان عنده شله اصحاب منهم ظابط وصيدلى وطبيب بيطرى وطبيب بشرى وكان والدى معجب بمهنه الصيدله اكتر حاجه لان الطبيب البشرى كان دايما يذاكر ويقرى ويشتغل الصبح في مستشفى حكومه وبليل في مستوصف يعنى مكرث حياته للعمل والاطلاع والظابط كان بيأمر وينهى بس عايش على مرتبه بس ومضطر يحافظ على مظهره ومظهر اسرته وبيته يعنى اللى جاى لايكفى المصاريف ودائما يعانى أنما الصيدلى كان يفتح صنبور المياه ويعمل تركيبه بسيطه تمنها يقترب من نصف راتب موظف حكومى يعنى المياه من صنبور الصيدلى غير المياه من أى صنبور ونيجى بقى عند الطبيب البيطرى ده بقى كان دايما ملهم النكات والقفشات بطبيعه عمله مع الحيوانات وغالبا كل السهرات كانت تقام حوله
–والدى بيقول انه ماكنش بيتضايق بس والدى هو اللى اتعقد من المهنه.
-يابنى الزمن أتغير مافيش صيدلى بيعمل تركيبات يعنى الصنبور بقى زى أى صنبور وكمان مافيش طبيب بيطرى بيشتغل في مزارع ولا مع حيوانات كلهم بيشتغلوا في شركات الادويه كبدلاء للصيادله.
-أنا بقى دخلت علوم عشان اشتغل في شركه أدويه بديل للبيطرين.
-ربنا ينولك أحلامك ياسعيد وتبقى بديل ناجح.
فجاءه سمعا صراخ في الغرفه المجاوره وكان زميل لهم يتلوى من الالم وبدأ

يفقد الوعى وهما يحاولا افاقته ثم بدأ يصدر أصواتا غريبه من فمه .
-دى تشخيره الموت يا أستاذ عادل قالها سعيد وهو يولول ويجرى في الطرقة ويقوم بأفعال تشبه اللطم.
وماهى إلا دقائق و أصاب سعيد نفسه مغص شديد وبدأ يتلوى من الالم ثم سقط مغشيا عليه وجرى عادل بسرعه للخارج يبحث عن طبيب المدينه ووجد عشرات الطلبه يتتأوهون من الالم وكله يجرى إلى غرفه الطبيب وهو غير موجود أصلا وبدأت الازمه تتصاعد تدريجيا وفجاءه وجد نفسه محاط بمجموعه من المتألمين ومنهم من يتقيأ ومن يجرى إلى الحمام وأخذ يجرى متجها لامن المدينه وتحولت الحاله إلى شبه وباء يجتاح المدينه.
كان يوما مشمسا وحنان تتناول فطورها وحدها بعد أول محاضره وقد أفتقدت صديقها الوحيد بالكليه وتذكرت صدمه عادل في حديقه الحيوان واستغربت لماذا يصدم هكذا والقبح في كل مكان فمن حيث أتت لاتوجد مظاهر جمال ولا اناقه والمنازل ريفيه بسيطه سواء منزلها أو اقاربها أو صديقاتها وكان المتنفس الوحيد لاى بنت أن تقوم بعمل اكونت على احد مواقع التواصل الاجتماعى وتعيش حياه الاناقه والرفاهيه في العالم الافتراضى وتستطيع حينئذ أن تضع صوره اليسا أو نانسى أو ممثله تركيه أو هنديه جميله كصوره للبروفيل وان تختار ابياتا من الشعر تكمل بها الشكل الجمالى وبذلك تتخلص من القبح الواقعى وتغرد في الجمال الافتراضى.
ولا يفوت أى فتاه منهن مواعيد المسلسلات التركيه فهن يعشقونها حتى الثماله حيث الطبيعه الخلابه والازياء الحديثه والمواضيع غير المألوفه لقد ضجر المصريون من المواضيع المتكرره عن الفقر المدقع أو فساد أعضاء مجلس الشعب أو صراع العموديه في الارياف والتغرب بحثا عن لقمه العيش.
وقد تأثرت الفتيات بالفنون الوافده بدرجه اكثر من الصبيان لظروف التربيه المنغلقه والعادات الشرقيه حتى انك تجد في الاحياء الشعبيه والمناطق

الريفيه البنات يتحدثن باللهجه الشاميه مع بعضهن البعض .(من حسن الحظ دبلجه المسلسلات التركيه إلى اللهجه الشاميه والا كانت الفتيات تعلمن اللغه التركيه)

أن نجاح الفن التركى رغم تفاهه محتواه في البلاد العربيه يحتاج إلى مراجعه نفسيه من قبل المتخصصين لمعالجه الامور قبل استفحالها.

جلس سعيد على السرير مستندا إلى الحائط في مستشفى تبدو عليه كل علامات قله الشيء وبجواره حوالى ١٥ سريرا اخر فيما يشبه عنبر والاغطيه والملاءات يبدو عليها الاتساخ والاهمال وعادل جالسا على مقعد بسيط بجواره :-

-حمدلله عالسلامه يخرب بيتك قلقتنى عليك.

-أنا بس نفسى اعرف حاجه واحده انت الوحيد اللى ماحصلكش تسمم بين ٢٨٩ طالب مع انك أكلت معانا من نفس التونه ازاى فهمنى.

-معرفش أنا ماحستش بحاجه .

-مانا نفسى افهم افهم (كان من عاده سعيد أعادة الكلمات مرتان أو ثلاثه احيانا بدون سبب واضح ممكن لمزيد من التأكيد وكان هذا يمنحه شكلا كوميديا مختلطا مع حالة العته الذى يتميز به)

تحسس عادل جيب قميصه ومسك بشئ صغير به وتمتم بعض كلمات ونظر إلى جواره

كان سعيد يجلس وبجواره حزمه كتب وممسكا براديو ترانزستور عليه بطاريات كبيره الحجم مربوطه باستك تم استعارته من بنطال بيجامه قديمه:-

-أنت دايما بتسمع ام كلثوم كده.

-أصل والدى بيقول أن صوتها حلو أوى ولن يتكرر.

طب وايه راي والدك في فيروز ....

-والدى بيقول أن صوتها جميل وملائكى لكن عندها عيب خطير أن اسمها

obeikan.com

فيروز نفس اسم اللى قتل سيدنا عمر وهو بيصلى رضى الله عنه.
-بس ده كان أسمه ابو لؤلؤه المجوسى
-ده كنيته يعنى أسم الشهره أنما الحقيقى فيروز مع الاسف.
-بس هى مالهاش ذنب !
هز سعيد كتفيه غير مكترث.....
-عمرك مافكرت تسمع عمرو دياب ولا محمد فؤاد.
-لا أصل الحقيقه والدى بيقول انهم شويه عيال تفهنيه.
-عيال أيه يابنى دول بقوا في الخمسينات.
هز كتفيه غير مكترث مره أخرى وغير مهيئ لتغيير ثوابت والده.

سمح الاطباء لسعيد ومعظم الطلاب بالخروج بعد شفاء معظمهم من التسمم ومن باب الشهامه اصطحبه عادل إلى المدينه حاملا اغراضه عنه وهما في الطريق مرا أمام باب كليه الطب البيطرى.
وعندما لمح سعيد اليافطه المعلقه عالباب نظر في الارض متظاهرا انه لم يرآها وقال لعادل ممكن تمد خطوتك شويه الله يسترك وكأنه يخشى أن تخرج أيادى عملاقه تسحبه إلى داخل مبانى الكليه.

***

أنفرجت أسارير حنان عندما رأت عادل يدخل من باب المدرج واتجهت اليه كالطفله التى كانت تبحث عن عروستها واخيرا عثرت عليها:-
-حمدلله عالسلامه أنا سمعت اللى حصل وربنا سترها معاك والدتك دعيالك.
-من ناحيه دعيالى فدى حاجه أنا متأكد منها تماما.
-أنا كتبتلك كل حاجه خدناها امبارح..... قالتها بطفوله ممزوجه ببعض الانوثه.
رمقها عادل بنظرة فلاحظ انها رغم ملبسها البسيط الريفى لديها بعض جمال وبشاشه ربما هى انعكاسات من جمالها الداخلى.

obeikan.com

فتحت حنان لفه الساندوتشات اللى اعدتها وجلسا في احد الحدائق المحيطه بالجامعه فعادل لم تعد تستهويه حديقه الحيوان وفضل أن يبقيها في خياله على وضعها القديم حتى لاتهتز جميع الثوابت في نظره.

-أيه بقى هواياتك في فاقوس؟

-وهما البنات ليهم هوايات البنات ممنوعات من كل حاجه إلا غسيل المواعين والتنظيف وكل شغل البيت, الخروج بحساب ومع الاهل فقط وغالبا مايصاحبه زياره اقارب وملل مما يخلق بنات ضعيفه الشخصيه مهمشه.

-طب متحملين الحياه كده أزاى.

-أقولك ياسيدى كل بنت دلوقتى تقدر تحقق أحلامها وهى قاعده لوحدها في البيت.

-يسلام طب أزاى.

-تعمل أكونت عالفيس بوك كله ورد ومناظر طبيعيه جميله وتختار أى نجمه تحبها وتخلي صورتها صوره البروفايل وتعمل شير لبوستات بدون حتى ماتفهمها المهم انها تظهر مثقفه وترد على الولاد بكل عنجهيه وثقه والولاد يعاكسونها وتستبدل منظر بيتها البسيط الفقيروأبيها الذى يعيش في المنزل بالملابس الداخليه المكفهر الوجه الذى لايحلق ذقنه إلا في المناسبات وأمها بالجلباب الريفى المتسخ بمناظر جميله خلابه وأناس أنيقه جميله.

معظم الناس في بلادنا لا يستمتعون بالحياه حقا مثلا لو ذهبنا إلى احد المصايف وهو نادرا مايحدث فالعائله تجلس تشاهد الأخرين وهم يستمتعون فنحن لانسبح ولا نلعب ولكن نجلس لنشاهد ونرصد فقط وعندما نعود للمنزل ننقسم إلى فريقين فريق ينتقد التحرر وفريق يحسد نفس الشيء ولكننا لانشارك في الانشطه.

-بس دى حياه أفتراضيه ممكن تضر أكتر ماتفيد.

-لا وكمان قبل النوم تختتم يومها بمسلسل تركى ولما تنام بقى تحلم بمهند اوخليل أى حد من المسلسلات دى, أصل الناس دى بتتعامل برقى حتى في

obeikan.com

خلافاتها وخياناتها.
-تصورى انك بتعتصرى قلبى بالكلام ده، كيف يستبدل الناس الواقع بالخيال ده أنفصام، تركيا دى في ذيل الدول الاروبيه من حيث التقدم والرقى حتى انهم لم يقبلونها كعضو في الاتحاد الاوربى ربما هى أفضل منا ولكن بخطوات ضئيله يمكننا اللحاق بها في سنوات قليله.

أستمرت حنان في التهام الساندوتشات والمخللات متجاهله اخر جمله فهى لاتريد أن تخرب حياتها الافتراضيه وتصحو على مراره الواقع.
أستطرد عادل :-
-من وجهه نظرى أعتقد أن انتشار الفن التركى هدفه السيطره على العامه وتهيئتهم لشئ اكبر واوسع.
- زى أيه مثلا.
-أشياء قد تبدو مستحيله مثل عوده الخلافه العثمانيه أو سيطره تركيا بأى شكل من الاشكال على الشرق الاوسط حيث الساحه خاليه والفراغ السياسى هائل فأقوى دوله هى مصر وكانت مؤهله لقياده العرب يوم ما ولكن هل يعقل أن تكون القياده في ايدى دوله تستجدى الاعانات من الجميع, هل ممكن أن تقود دوله مجموعه من الدول التى تعطف عليها وتدعمها! لذا تم البحث عن بديل قوى فتركيا لها جيش قوى وهى عضو في حلف الناتو وصحيح انها دوله صناعيه ولكنها في مؤخره اروبا ولكن العرب منبهرين بادائها يعمقه الشعور بالدونيه الذى يلازم البلدان العربيه حتى الغنيه منها وبما أن العامه ينظر اليهم على انهم كالانعام لذا يمكن السيطره عليهم بأمور الدنيا كالمسلسلات والاعمال الفنيه التى تجعلهم متقبلين لفكره الاحتلال العقلى.
-طيب والمتشددين يتم السيطره عليهم ازاى بقى!

-دول بقى أسهل كتير ويتم السيطره عليهم ومغازلتهم بأمور الدين ممكن شويه فتاوى من ائمه أو مشايخ ألى جانب مداعباتهم بحلم الخلافه وتذكيرهم بتاريخ الدوله العثمانيه الوحيده التى استطاعت فتح القسطنطينيه التى فشلت فيها الخلافه الامويه رغم قوتها وأستمر الفشل مع الدوله العباسيه وتناست الدوله الفاطميه الموضوع برمته.

-طيب ولو الموضوع واضح كده ازاى ماحدش مهتم بيه غيرك.

-أحنا في زمن غريب رغم وضوح الاشياء ولكن الناس تتصرف وكأنها تنفذ مسارا لاتستطيع الفكاك منه فمثلا الجميع يعلم أن تنظيم القاعده الارهابى هو صناعه غربيه صميمه ولكن كثير من المسلمين معجبون به وهو شيء محير!

-معقول!

أديك مثل اخر:- دبى مدينه جميله أنيقه ولكن لماذا يتطاول أهلها في البنيان لماذا يريدون أعلى مبان لماذا يريدون اكبر مدينه ملاهى لماذا يريدون أعلى نافوره في العالم دائما يبحثون عن الاكبر في كل شيء رغم أن تعدادهم قليل لماذا يبنون ناطحات السحاب الزجاجيه في بلاد حاره جدا وصحارى شاسعه لماذا لايكون التوسع أفقيا لقد ذهبت إلى سيناء في صغرى

وشاهدت بعض المستوطنات اللى استردتها مصر من اسرائيل المستوطنات كلها من طابق واحد ونادرا طابقين فيتم التوسع افقيا والانتشار لماذا ننبهر بنموذج هونج كونج وهى مدينه مجبره على التوسع الراسى حيث لايوجد مساحات خاليه من الاراضى حتى أن المقابر يتم تأجيرها لتلاث سنوات فقط ثم أزالتها وأعاه تأجيرها من جديد وعند بناء مطار حديث تم ردم جزء من البحر لايجاد مساحه للمدرج.

لماذا لا يتطاول الانجليز والفرنسيين مثلا في بناء ناطحات السحاب رغم أنهم أصحاب التكنولوجيا الاصليين ام انه تدافع البشر للوصول لعلامات الساعة.

obeikan.com

ففي حديث جبريل المعروف عندما سأل النبيَّ صلى الله عليه وسلم عن الساعة وقال :-

أخبرنى عن أمارتها .فقال صلى الله علوسلم :-

أن ترى الحفاه العراه العاله رعاه الشاه يتطاولون في البنيان.

رواه مسلم

وفسره الامام النووى حين قال:-

أن أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة تبسط لهم الدنيا حتى يتباهون في البنيان.

قال الشيخ حمود التويجرى: التطاول في البنيان يكون بتكثير طبقات البيوت ورفعها إلى فوق، ويكون بتحسين البناء وتقويته وتزويقه، ويكون بتوسيع البيوت وتكثير مجالسها ومرافقها، وكل ذلك واقع في زماننا؛ حين كثرت الأموال، وبسطت الدنيا على الحفاة العراة العالة. فالله المستعان

التطاول في البنيان لايعنى ذما أو انتقادا طالما لم يتضمن طغيانا أو بطرا أو اسرافا أو تفاخرا مبالغ فيه ولكنه رصد لحاله غريبه فالناس تعلم علامات الساعه ومع ذلك تندفع اليها مثل قطار بلا سائق ولا مكابح وهذه احدى ايات الخالق أن تعلم الحدث ولا تملك من امره شيئا أذن الإنسان مسير رغم انه يبدو مخير.

-شوف أنت عمال تتكلم في أيه وضيعت عليا مسلسل ٥ ونص أستاذنك بقى الحق منه أى حاجه!

-انت على طول معاك كتب !

-أصل أنا يا استاذ عادل واخد عهد على نفسى أقرى كتير وبأستمرار .

-والله برافو عليك دى حاجه كويسه.

obeikan.com

-أصل مره كنا في جلسه كده مع كبرات البلد ووالدى كان بيتباهى بيا قوم واحد من أصحاب ابويا قالى تعرف أيه هى حكمه الخلق ؟

سكت وأطرق بحزن

-كمل؟

-ما أنا معرفتش أجاوب يا استاذ عادل رغم بساطه السؤال ووالدى كان موجود واتحرج منى

أحرجت والدى . قالها وقد دمعت عيناه من فرط الانفعال.

- بس ده سؤال مش بسيط هو يمكن عباره عن كلمتين لكن أجابته طويله جدا وتحتمل افتراضات كتير ومن المفترض ايضا أن لا اجابه له.

-القراءه أيضا تساعدنى على معرفه ناس قد طواهم التاريخ في طى النسيان.

-ممكن تدينى مثال؟

-سمعت يا أستاذ أحمد عن واحد أسمه حبيب السكاكينى؟

-لا اول مره اسمع عنه..

- حبيب السكاكينى حضر من دمشق وهو ١٧ سنه ليعمل في حفر قناه السويس و أشتهر باسم السكاكينى لانه كان معروف بصناعة الاسلحه واجود أنواع السكاكين وبالفعل تولى وظيفه في هيئه قناه السويس وكان وقتها مرض الطاعون منتشر والضحايا بالالاف فأبتكر السكاكينى طريقه غير مكلفه ولكن فعاله حيث قام بشحن طرود من القطط الجائعه التى قامت بالتهام الفئران المتضخمه وقضى على الوباء والقوارض معا واعجب الخديوى أسماعيل بقدرته على الابتكار والابداع وأسند له مهمه شاقه وهى أستكمال بناء الاوبرا الخديويه وبفضله أنتهت أعمال بناء دار الاوبرا والقناه في الوقت المناسب والمحدد لوصول الملوك الاروبيين إلى مصر لحضور حفل افتتاح قناه السويس الفخم سنه ١٨٦٩ .

ورغم أن الخديوى منحه البكوية عندما أتم ٣٩ سنه ثم حصل على الباشويه ولكن التاريخ وضعه في طى النسيان ونسى الجميع دوره في حفر القناه

open-kan.com

وحتى قصره تحول من لوحه فنيه نادره إلى خرابة اشباح وحشرات ومرتع للباعه الجائلين.

-ده أنت طلعت حدوته ياسعيد كل ده الهام عندك بصراحه أنا مندهش .

أطرق سعيد ناظرا على أرضيه الغرفه وهو يشعر بمزيج من الخجل مع السعادة.

***

كان الجميع منهمكا في محاضره عملى لتطبيق احد النظريات الهندسيه حين تساقط جزء كبير من سقف المبنى القديم بكليه الهندسه وانهارت الكتل الخرسانيه وتهاوت مروحه سقف ضخمه قديمه الطراز ثقيله الوزن وكان أسفلها مباشره يقف عادل ولكن قبل أن تلمس رأسه بحوالى ٢٠ سنتيمتر تعقدت سلوكها فتوقفت فجاءه وكأنها في لحظات استراحه ومع اصوات الفرقعه والانهيار تنبه عادل ونظر فوقه ووجد المروحه واقفه كالوحش الكاسر فابتعد بسرعه وعندها انتهت لحظات الاستراحه وتمكن ثقل المروحه من جذب السلوك من الحائط واكملت المروحه سقوطها محطمه كل مالمسته محدثه صوتا عاليا مرعبا .لم يستغرق كل هذا إلا ثوانى معدوده وكان المنظر كالتالى دائره قطرها حوالى ٢٠ متر عباره عن حطام يتخلله بعض المصابين والدماء في كل مكان وفى المنتصف المروحه مهشمه وعادل يقف جوارها وحيدا مذهولا كالمعتاد.

ولولا أن جذبه بعض زملائه لظل عادل واقفا لايحرك ساكنا.

***

الجميع ممسك بأكواب الشاى ملتفين من حوله وهو جالس على السرير مستندا إلى الحائط وكانوا ينظرون اليه في دهشه وقال أحدهم:-

-حمد الله عالسلامه ربنا بيسترها معاك دايما مِاشأء الله.

سعيد:-لا ياعم ده الموضوع فيه سر انت بتطلع من كل مصيبه صاغ سليم دى حاجه مش طبيعيه.

عادل :-يمكن تكون دعوات امى لى الله يرحمها .ثم تحسس جيب قميصه ممسكا بشئ صغير.
-بس أحنا كلنا امهاتنا بتدعى لنا برضه.

عادل:-هو في حاجه ممكن تكون السبب . أنا اتولدت يوم الوقفه ليله عيد الاضحى وسمعت أنهم كانوا متفائلين جدا حتى أن أمى رحمها الله أقترحت تسميتى بعيد تفاؤلا بالعيد ولكن أبى رحمه الله قال لها أن أحدا لم يعد يسمى عيد وانه من الاسماء القديمه وممكن نسميه عادل ويبقى بحرف العين مثل عيد ويقال أن من يولد ليله العيد بيكون حظه أفضل نوعا ما مع أنى لم أشعر بهذا أبدا.
سعيد :-ده أنت كاريزما بقى كاريزما كاريزما.(مرددا الكلمه كعادته)
ظل زملاؤه في المدينه محيطين به يتسامرون ويتناولون أكواب الشاى تباعا حتى ساعة متأخره.
وجلس كل منهما على سريره وقال عادل موجها كلامه لسعيد:-
-أستفدت أيه بقى من قراءاتك العديده.
-أكتر حاجه شاغله بالى البلد دى بأستاذ عادل أزاى لسه بنعمل انتخابات ونحط رموز الشمس والميزان والتوتوك ازاى نصف الناخبين أميين رغم أن الجميع يتحدث عن البرنامج الانتخابى يعنى اذا كان واحد بيختار المرشح من الرمز الساذج المخصص له لانه لايستطيع القراءه أصلا يبقى ده ولا حايفهم في برنامج انتخابى ولا يحزنون.
-طب الحل أيه من وجهه نظرك .
-زى ما المواطن له حق عند الدوله يبقى كمان لازم الدوله لها حق عند المواطن والمواطن الذى لم يتعلم في بلد لا يميزه إلا مجانيه التعليم لابد أن يحرم من التصويت عالاقل يكون حامل اعداديه أو دبلوم فنى ويستطيع أن يقرأ الجرائد اليوميه ويحلل ويكون رايه الشخصى ولا يتم أستغلاله و

توجيهه عن طريق خطبه رنانه يوم الجمعه أو متاجر بالدين.
-أوعى يكون الكلام ده مقتبس من أبوك ياسعيد!
-لا وكتاب الله ده من افكارى.
-بصراحه أدهشتنى ياسعيد طيب ممكن تحكى عن شخصيات لفتت نظرك من قراءاتك؟
-أنا منبهر جدا بشخصيه سيدنا عمر بن الخطاب لانه متفرد بشخصيته فقد كان من ألد أعداء الاسلام ومن أكثر أهل قريش أذى للمسلمين وعندما أسلمت جاريه له كان يعذبها من اول
النهار حتى أخره ولكنه كان يخفى خلف هذه القسوه رقه وعذوبه نادره ظهرت بعد دخوله الاسلام حيث أصبح رحميا عطوفا رغم عدم تخليه عن جراءته وأعتزازه بنفسه فبعد دخوله الاسلام كان يجاهر بالاسلام ولايخشى احدا ولم يرض عن أداء المسلمين للصلاة في الخفاء فقام وقال للنبي: «يا رسول الله ألسنا على «الحق»؟
فأجابه :- نعم.
قال عمر :- «أليسوا على الباطل»؟
فأجابه :-نعم.
فقال عمر بن الخطاب: «ففيمَ الخفية؟»، قال النبي: «فما ترى يا عمر؟»، قال عمر: «نخرج فنطوف بالكعبه « ووافق النبى وخرج المسلمون لاول يكبرون ويهللون وصلوا عند الكعبه وأصابت قريش كأبه عظيمه ويومئذ سماه الرسول الفاروق.
وكان هذا اليوم فارقا فقد قوى وجوده في صفوف المسلمين شوكتهم وأصبح لهم من يحميهم ويدافع عنهم من أذى الوثنيين وكان أضافه كبيره للاسلام.
كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لم يكن له وقت ينام فيه،
فكان ينعس وهو جالس، فقيل له: يا أمير المؤمنين، الا تنام؟
فقال: كيف أنام؟! إن نمت بالنهار، ضيّعت حقوق الناس، وإن نمت

بالليل ضيّعت حظي من الله.
وكان عمر أبيض الوجه تعلوه حمره وقد تحولت إلى السواد في عام الرماده لانه كان لا يأكل إلا الخبز بالزيت .
وحتى قبل عام الرماده مرض في أحد المرات فوصف له الاطباء العسل كدواء فلم يتداوى بالعسل إلا بعد أن أستاذن الناس من فوق المنبر وبكى الناس اشفاقا عليه وأذنوا له ومضى بعضهم يقول له (لقد أتعبت الخلفاء من بعدك) وفعلا كان هذا سبب معاناه عثمان بن عفان رضى الله عنه.
وفى عهد عمر تم فتح بلاد كثيره ولو كان أستمر في الخلافه خمسه سنوات أخرى لدخل العالم أجمع في الاسلام.
-ربما هذه حكمه من الخالق حتى لايدخل العالم أجمع في الاسلام.
-أزاى بس يا أستاذ عادل الكلام ده.
-مذكور في سوره المائده (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) وأيضا في سوره هود (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ)
أذن الامر واضح الله لم يشأ أن يجعل الناس جماعة واحده على دين واحد وملة واحده فمشيئه الله غير قاصره ولايمتنع عليه شيء ولكن حكمته أقتضت أن لايزالون مختلفين مخالفين للسراط كل يرى الحق فيما قاله والضلال في قول غيره لقد خلقنا الله ليكون منا السعداء والاشقياء والمتفقون والمختلفون.

-سعيد ممكن تحكى أكتر عن شخصيات اخرى ولا أنت حاتنام ؟
-لا أنا يسعدنى أنى استرجع بعض شخصيات أنا متيم بها.
طيب أنا حاقولك على اخر شخصيه لفتت نظرى عشان عايز أنام بقى.
-أتفضل أرجو أكون لم اثقل عليك.
-لا أنا سعيد بالحوار معاك.
أنا معجب جدا بشخصيه الام تيريزا

راهبه تركت أروبا واتجهت إلى افقر بلاد العالم وكانت بدايتها كلكوتا وتولت العنايه بمرضى الامراض المعديه والمستعصيه التى لا شفاء لها والتى يتأفف الناس من مجرد التواجد معهم أو ملامستهم
مثل الايدز والبرص والجزام
وكانت دائما تقول :- لو انك تنتقد الآخرين، فلن يكون لديك الوقت لتحبهم.
البشر غير عقلانيين وغير منطقيين وأنانيين .أحببتهم رغم هذه الصفات كلها لكل مرضٍ هناك عدد كبير من الأدوية والعلاجات، ولكن إذا لم يكن هناك يد ناعمة وحاضرة للخدمة، وقلب كريم حاضر للحب، فإنني لا أعتقد أنّه بالإمكان شفاء ما يسمّى بنقص الحب. إنّ الأشياء التي تؤمّن لنا دخول السماء هي أعمال المحبة والكرم التي يجب أن يمتلئ وجودنا بها.
أن الله يسامحنا لو أحببنا مرضانا وأبتسمنا لهم وساعدنا الفقراء أنه بذلك يغفر لنا كل خطايانا.
كان عادل منصت وهو منتشى ومعجب بجوانب جديده اكتشفها في شخصيه سعيد.
وأستطرد سعيد.....
وعند تسلمها جائزه نوبل طلبت الغاء العشاء التقليدى الذى تقيمه لجنه نوبل للفائزين وطلبت أنفاق المبلغ على أطعام ٤٠٠ طفل هندى لمده عام!
-بس ياخساره أنها مش حاتدخل الجنه ولاتشم ريحتها.
-ليه بس حرمتها من الجنه!
وقف سعيد وهو مرتدى الجورب الفيليه الحريمى على رأسه وأستعاد علامات العته والغباء التى تميز بها :-
-انتى ناسى ياأستاذ عادل أنها مش مسلمه!
القى بالجمله الاخيره واستلقى نائما بسرعه قبل أن يتجدد الحوار
***

أفاق عادل على وقع أقدام سكرتيرته الانجليزيه وهو مبتسما وكان شبه نائم على مقعده الجلدى البنى اللون والحجره كلها في منتهى الاناقه جدرانها مكسوه بخشب لامع بنى اللون يدل على العراقه والطابع الانجليزى القديم يغلب على الاثاث والمفروشات.

وكان هو مازال مبتسما بسبب الذكريات اللى قفزت إلى ذهنه بدون ميعاد.

- ممارسه بناء المول السياحى في دبى رست علينا مبروك.قالتها فيونا السكرتيره بسعاده ممتزجه مع شيء من التعود على هذا النوع من النجاح.

- كويس جدا ممكن أجتمع مع فريق العمل بعد يومين عشان نبدأ الترتيب والتجهيز وخرجت فيونا.

وتحسس عادل جيب قميصه ممسكا بالمصحف الصغير الذى أهدته له أمه وكان يشعر أن هذا هو سبب حمايته ونجاحه.

وتذكر أيام مرضها الشديد وكان هو سندها الوحيد يقوم بعمل كل شيء لوالدته من مأكل وشراب حتى أنه كان يلبسها الحفاظات لانها لم تكن قادره على القيام والجلوس ومساعده نفسها وكل ماكانت تستطيع أن تفعله أن تدعو له وفى أحد المرات قبل وفاتها بساعات أعطت له هذا المصحف مع الكثير من الدعوات طالبه منه أن يحتفظ به دائما في جيبه ولم يشعر بتململ أو تعب من خدمتها والعنايه بهاوكانت كل امانيه أن تسترد عافيتها ولكن الله يفعل مايريد.

واخرج المصحف من جيبه يتأمله كان صغيرا يحتاج إلى مجهود لقراءته وخاصه بعد أن اصفرت اوراقه بفعل الزمن وكان من النوعيات التى تباع أمام المساجد في الريف سعرها في متناول الجميع أذن القيمه هنا معنويه فقط.

***

كان يوما جميلا والشمس ساطعه على مدينه ابسويتش في الريف الانجليزى لايشعر المرء بحرارتها ولكن يستمتع بلونها.والزهور منتشره واللون الاخضر

سائد في كل مكان وكأنك في حديقه كبيره والشوارع نظيفه مائله على الجانبين بزاويه واضحه وذلك حتى تنحدر المياه ولا
تتراكم لان المطر يهطل بغزاره معظم فترات السنه .كان اختيار المكتب الهندسى الذى يعمل به عادل لمدينه ابسويتش أخيتارا موفقا بسبب الهدوء وأنخفاض الاسعار كثيرا عن لندن كما أن هناك قطارا يصل بك إلى محطه فكتوريا في قلب لندن في خلال ساعة فقط بالاضافه إلى أن سهوله الاتصالات والانترنت أنتقصت من العاصمه اهم مميزاتها.
كانت ساره ذات الاربع أعوام تلتقط ورد بين الحين والاخر ثم جلست هى ووالدها على احدى المقاعد الحجريه المنتشره وقالت:-
-بابا انت وعدتنى نروح مصر أنا نفسى أشوفها.
-حاضر قريب أن شاء الله بس أعملى حسابك مصر مختلفه عن هنا في حاجات كتير.
-يعنى مافيش حدائق وورد زى هنا .
-لا طبعا في ده كمان في ورد بلدى أحمر ليس له مثيل في العالم .
-طيب ايه وجوه الاختلاف مثلا.
-مثلا في حشره أسمها ناموسه دى منتشره جدا في أى مناطق فيها زرع وورد وبتقرص جامد
-طيب ليه هنا مافيش.
-دى بقى مش عارف سببها ! في مصر علمونا أ ن الناموس مرتبط بالاماكن الزراعيه انما هنا الزرع في كل مكان بس مافيش ناموس لكن أنا بحب مصر بكل حاجه فيها حتى ناموسها.

***

في مستشفى ابسويتش العام في الدور الثالث قسم الرعايه المركزه تعمل ستيفانيا كممرضه من الطراز الاول فمهنه ممرضه في بريطانيا مهنه راقيه

obeikan.com

وعاليه الدخل والدراسه على أعلى مستوى ويحق لها كتابه وصفه طبيه كالاطباء.

فهى تهتم بشئون مرضى القلب والرعايه المركزه نشيطه تتنقل طوال اليوم بين اروقه المستشفى وتعود للمنزل الواحده ظهرا لتناول وجبه سريعه ثم ماتلبث تهرول مره اخرى إلى المستشفى حتى ينتهى يومها العملى في حدود الخامسه مساء حتى تعود للمنزل ثانيه لاعداد وجبه عشاء ساخنه وهى الوجبه الرئيسيه جميله مندفعه بسبب الجزء الايطالى في تكوينها حيث كانت امها ايطاليه من نابولى وهى التى صممت على تسميتها اسم ايطالى تتميز بروح اهل حوض البحر المتوسط من خفه الدم والتواضع وسرعه التواصل مع الأخرين وايضا الغضب السريع والعواطف المتدفقه.

وربما نشأتها وتكوينها هما سبب تألفها مع المصرى القادم من شمال افريقيا حيث أن نابولى تعتبر نسخه كاربونيه من حى الفجاله القديم أو العتبه قبل أن يستشرى الاهمال ويزداد الزحام والنزوح من الصعيد والارياف إلى قاهره المعز بحثا عن الرزق .

نابولى مدينه قديمه متواضعه مازالت تحتفظ بمظاهر البساطه مثلا الترولى باص مازال هو وسيله المواصلات الرئيسيه والشوارع مبلطه بالحجاره السوداء البازلتيه التى كانت تميز العتبه والاسكندريه قديما ولا يوجد أى مظاهر للبذخ أو الرفاهيه ويطلق عليها الايطاليون لقب شمال القاهره وربما ماميزها عن أحياء القاهره النظافه وانتظام الصيانه فقط.

المتنزه الرئيسى لزائرى نابولى هو جزيره كابرى حيث يمكن الذهاب اليها بعبارات حديثه سريعه مجهزه بكل أدوات الترفيه وقضاء اليوم والعوده مساء ويقال أن كابرى هى سكن بارونات المافيا الايطاليه حيث يستطيعوا بناء قصورهم على شاطئ المتوسط والتمتع بالهدوء والابتعاد عن المراقبه الامنيه؟ وكانت جزيره نابولى هى مسرح الاحداث الذى احتوى قصه تعارف ديفيد البريطانى من ويلز ورافاييلا الايطاليه من نابولى حتى تحول التعارف

إلى قصه حب وزواج كانت ستيفانيا هى ثمرتها.
كانت بساطتها ورقتها هى اول مالفت نظر عادل اليها عندما رأها لاول مره في لندن وخصوصا انها لاتضع أى من مساحيق التجميل وتعتبرها أحدى علامات التخلف فمثلا بدايه وضع النساء للكريمات والمساحيق المبيضه للبشره(كريم الاساس) كان في القرون الوسطى حيث كانت العائلات الثرية تهتم بتفتيح لون البشره باستعمال المساحيق حتى تؤكد أن بشرتها لم تكتسب أى لون داكن بسبب التعرض لاشعه الشمس وتثبت انها لاتحتاج إلى العمل والخروج يوميا تحت أشعه الشمس.
وفى فتره الملكه فيكتوريا في التاريخ البريطانى مرت البلاد بفتره من الاستقرار والسلام والثراء من سنه ١٨٣٧ إلى ١٩٠١ كانت مستحضرات التجميل تعتبر من الاشياء المكروهه وارتبط استعمالها بالعهر والفجور, حتى أستعادت صناعه التجميل سطوتها مره اخرى في نهائيات القرن التاسع عشر ولكن باستعمال المستحضرات الخفيفه التى تدعم لون البشره الطبيعى وعدم استعمال مستحضرات تغير من اللون الطبيعى والا اعتبر هذا عمل غير لائق يقترب من الخطيئه.
كانت تعرف هذا من قراءاتها ومن الافلام التاريخيه التى تعشقها.

***

كان ديفيد جالسا في غرفه على الطراز الانجليزى القديم ليس بها أى روح للمرح أو الحداثه والاضاءه خافته ولاترى من خلالها سوى دخان كثيف لسيجار كوبى ضخم كان ممسكا به ورمق عادل بنظرة وقال :-
-لماذا تريد مغادراتنا والذهاب لمصر أن عملك هنا جيد وكلنا سعداء بك ولك أسهامات عديده رفعت من تصنيف المكتب.
- أنا ممتن لحضرتك جدا فقد فعلت الكثير من أجلى منذ لحظه وصولى لكن مع الاسف الكثير من ابناء وطنى يشبهون الاسماك فهم يجاهدون للخروج

من الماء ثم يجاهدون مره اخرى للعوده له حتى ولو كان ملوثا .

***

-في سؤال كتير فكرت اطرحه عليك وكنت اتراجع لقد قابلت الكثير من المصريين وكانوا ملتزمين ومؤهلين للنجاح وغالبا مارايت نظره ذكاء وأمل في عيونهم -لماذا لم تستطع مصر أن تجد مكانا أفضل لها بين الامم وأرتضت أن تقبع في الظل رغم هذه الثروه البشريه التى تعد مخزون لاينضب للعقول والكفاءات التى لو انطلقت لاصبحت مثل ماء نهر عذب تنساب لتحول الصحراء لاراضى غناء.

كان السؤال مفاجئا حتى أنه أخذ يتأمل سقف الغرفه وكان به بعض رسومات تاريخيه فتاريخ بريطانيا حافل وثرى ثم تمالك نفسه وقال :-

-أعرف انه لايصح الاجابه على سؤال بسؤال اخر ولكن أأذن لى أن اسال لماذا تضاءلت بريطانيا العظمى التى لايغيب عنها الشمس وأنكمشت داخل حدوها مختنقه وأكتفت بترتيب متأخر بين الدول الاروبيه بل وعداها الكثير من الدول الاسيويه المتنمره من حيث الدخل وجوده التعليم والخدمات الصحيه وكل مناحى الحياه ولم تعد قبله الباحثين عن الرفاهيه أو التعليم الراقى أو العلاج المتميز.

-دائما تتغلب على .

-أنا لااحاول أن اناظرك ولكنى حزين على ماألت اليه الامور في بلدى ولذلك لم أستطع الاجابه أرجو أن تسامحنى.

***

كانت السياره تقطع الطريق متهاديه بين مزارع الفراوله التى تشتهر بها أبسويتش والهدوء يلف المكان حيث يوجد طريق أسفلتى يقطع اللون الاخضر وعلى الجانبين مساحات خضراء بلا أرصفه ومن وقت للاخر تظهر مزارع شاسعه سواء للخيول أو الابقار المتعملقه التى ترعى هنا وهناك تحت

أشعه الشمس الخفيفه.
تذكر عادل ايامه الاول عندما بدأ العمل في مكتب ماسكوت للاستشارات الهندسيه وكان ديفيد يعامله بجديه وجفاء ويرسله لحضور دورات تدريبيه وورش عمل وكيف كان يمتعض هو من ذلك فهو يريد أن يعمل لا أن يتعلم وكان ديفيد لايمل من تكرار قوله لابد أن تفعل مايطلب منك بدون نقاش وهذا هو عملك وهذا ماتأخذ راتبك عنه.
لم يفهم لماذا يسدد له فواتير هذه الدورات و يفقد ماله ووقته بدون أن يستفيد منه ببنس واحد .
ولكنه أكتشف فيما بعد أن هذا الديفيد أخرج أفضل مابداخله وجعل منه مواطن عالمى ومهندسا مبدعا نفض عنه تراب الروتين الذى عاش وتربى عليه وحوله إلى أنسان يفهم لغه وفكر الأخرين مهما أختلفت جنسياتهم والبيئات التى قدموا منها لقد أخرجه من عمق المحليه ألى الفضاء الفسيح.
تطورت أساليبه وتحسنت لغته الانجليزيه فهو لاينسى أنه أبن المنصوره البار بمدارسها الحكوميه التى تتميز بمجانيتها ولكن تضن بنوعيتها وهو هنا لا ينتقد أو يعاتب فلولا مجانيتها ما تعلم أصلا ولا سنحت له مثل هذه الفرصه.

***

رغم حاله الكساد والركود في الاقتصاد المصرى إلا أن مجال العقارات مازال يشهد أزدهارا فبلد لايوجد به قاعده صناعيه على أسس سليمه ولا منتجات زراعيه تكفى سكانه ولا فائض من أى منتجات للتصدير لجلب العمله الصعبه يصبح سوق العقار والتشييد هو الامل الاخير ومما ساعد على ازدهار هذا المجال عده أسباب أولها معدلات النمو السكانى العاليه وثانيها الاعداد الغفيره من العاملين بالخارج وأحتياجهم لعقارات من مستويات مختلفه وثالثها الكثيرين من مواطنى الدول العربيه المجاوره وخاصه البتروليه الراغبين في الحصول على محال أقامه في مصر حيث الامن والامان و السياحه

الصيفيه.

فعندما بدأ عادل مكتبه الاستشارى كان تركيزه على الساحل الشمالى والعين السخنه والقاهره الجديده ومدينه اكتوبر وأستطاع أن يبدأ بدايه مرضيه لطموحاته إلى حد ما متوقعا تحسن الامور وأنشا مكتبا بسيطا ولكنه انيقا في القاهره الجديده وبدأ يدرس السوق المصرى بسرعه ولفت انتباهه ظاهره (تسقيع) الاراضى والوحدات السكنيه وهى الاحتفاظ بالارض حتى يرتفع ثمنها بدون بذل أى مجهود ولكن يشترط وجود الملاءه الماليه الكافيه والعلاقات السياديه للحصول على الارض أولا وهى تقريبا ظاهره تنفرد بها مصر عن باقى البلاد فكثير من رجال الاعمال ووجهاء المجتمع لاعمل لهم إلا هذا ويعيشون بسببه في رغد ورفاهيه.

***

توقفت السياره الميكروباص أمام منزل من دورين ممكن أن يطلق عليه فيلا والشارع هادئ ثم نزلت ساره من الباب حامله حقيبه على ظهرها وبدأت في عبور الشارع لدخول المنزل وفى لحظه جاءت سياره سريعه متهوره يقودها شاب صغير أرعن وكادت تفتك بها لولا أن عبد الله حارس العقار المجاور قفز قفزه طويله والتقطها وسقط عالارض وعبرت السياره فوق أحدى ساقيه واستمرت السياره في سرعتها للهروب من مسرح الحادث.

***

أسرع عادل كالمجنون إلى المنزل ودخل وهو يلهث ووجد أبنته تجلس مع أم شيماء المربيه أمام التلفاز في وجوم ولكنه أطمأن أنها بخير ومعافاه إلا من بعض خدوش بسيطه في الوجه إلا انها كانت شارده وأحتضنها وبكيا سويا بحراره.

***

غرفه العنايه المركزه بمستشفى ابسويتش يتغلفها الهدوء وتجلس ستيفانيا على مكتب تقلب في بعض الاوراق تحت أضاءه اباجوره حيث أن الغرفه شبه

obeikan.com

مظلمه وكانت تقلب في الاوراق وهى لاترى محتوياتها فقد كانت تفكر فيما هو قادم لقد سبقها عادل وساره على القاهره وطبقا لاتفاقهما ستلحق به خلال شهور ولكنها تشعر بقلق ليس لديها أى مشاعر سلبيه عن مصر ولكن لقد أجتهد عادل وسعى بكل قوته حتى يحصل على عمل في انجلترا وقد نجح بالفعل لماذا الان ينظر خلفه مره أخرى لماذا لايتخلص المصريون من عقدة الارتباط بالوطن لقد عملت من قبل مع جزائريين ومغاربه وتوانسه ولم تجد لديهم هذا الارتباط الابدى بالوطن .فالمصرى اذا نجح خارج بلده يشعر دائما أن نجاحه غير مكتمل.

تذكرت عندما التقته لاول مره وكان في دوره تدريبيه في مقاطعه كنت شمال شرق بريطانيا بالقرب من فرنسا وكانت هى في أجازه صيفيه مع بعض صديقاتها ولفت نظرها بخفه دمه وطموحه وتفاؤله وشجعته على القدوم إلى لندن للتدرب في مكتب والدها للاستشارات الهندسيه وفعلا قدمت لوالدها السيره الذاتيه لعادل وتابعت عن قرب حتى أقتنصت موافقته فهى لم تكن تشعر بغربه مع العرب قاطنى حوض البحر المتوسط لانها تربت مع أمها فتره في جنوب أيطاليا حيث أن نابولى اكبر مدن الجنوب وكانت تذهب مع والدتها إلى باليرمو وجزيره صقليه فالايطاليون هناك يشبهون العرب إلى حد كبير في الطباع والشكل والعادات فقد كانت الغزوات العربيه تتعاقب على الجنوب منذ تولى معاويه بن ابى سفيان الخلافه ثم تناوب عليها الاغالبه والفاطميين وأصبحت صقليه جزيره مسلمه في أحد الفترات وبعد خروج العرب تركوا بصماتهم على البشر والمبانى والطرقات والاسماء.

هى تعتبر ذهابها إلى مصر تجربه وتتمنى نجاحها حتى لاينفرط عقد الاسره ولكن هل ستجد عملا يناسبها هل الحياه ستكون منتظمه ومريحه مثلما كانت في ابسويتش

كان عبد الله جالسا مستندا بظهره إلى الحائط وممدا ساقه أمامه يلفها جبس واضح أنه من أردأ الانواع والمكان في حاله يرثى لها كل شيء قديم ومهمل ومتسخ وتعلوه الاتربه وكانت أبنته تجلس أمام تلفاز أبيض وأسود والصوره سيئه متقطعه والبنت حالها لايختلف كثيرا عن حال الغرفه من الاتربه والاهمال والاتساخ.

عندما طرق عادل الباب فتحت له البنت ودخل وحيا الراجل المسكين وأخرج من جيبه رزمه ماليه ودسها في جيب جلبابه وهو يهم بالانصراف ولكن عبد الله أخرج الرزمه سريعا وقال :-

-عيب يا أستاذ انت كده بتهيننى.قالها وظهرت أسنانه لونها يتراوح بين درجات البنى والاصفر غالبا لعدم أستعمال الفرشاه لفترات طويله أو لعدم أستعمالها أصلا.

-دى حاجه بسيطه أنت أنقذت أغلى حاجه في حياتى.

-أنا لم أفعل إلا الواجب والاصول وأعتبرتها مثل أمل بنتى تماما.

نظر عادل إلى أمل وتأملها وكانت كورده خرجت من أرض ملطخه بالطين فرغم رداءة كل شيء في الغرفه فعينيها تشع ذكاء وأمل وماذا تكون الحياه بدون أمل حتى ولو كاذب ورغم أتساخ ملابسها ووجها المكفهر الشاحب انما تملك مسحه من جمال وبراءه.

أبتسم وكأنه وجد ماسه قيمه وسط الاتربه.

-أنت اعتبرت ابنتى مثل أبنتك أسمح لى أعتبر أبنتك مثل أبنتى حتى يستقيم العدل.

نظر عبد الله اليه وهو غير فاهم.

-هى بنتك بتدرس أيه (عادل مكملا حديثه)

-لا دراسه أيه يابيه دى حاتفضل معايا تساعدنى تجيب مشتريات للسكان أحنا ناس غلابه.

مد عادل يده إلى وعاء معدنى صدئ يعلوه التراب فوق منضده خشبيه

obeikan.com

متهالكه وأخرج منديله ومسح جزء من الوعاء فلمع هذا الجزء.
-أستاذنك أن تبدأ أبنتك الدراسه وأنا مسئول عن كل التكاليف ويعيننى الله وأياك لنفعل هذا الشيء بالطريقه الصحيحه.
-ولكن أنا لا اريد أن أثقل عليك ولا على غيرك.
أمسك عادل بالوعاء مره أخرى وأخذ يمسحه بالمنديل والوعاء يزداد لمعانا.
فهم عبد الله الرساله وأدرك أنه اذا رفض سيكون مذنب في حق أبنته و أومأ براسه إلى أسفل في أشاره إلى الموافقه مع بعض الخجل والحياء والدموع تلمع في عينيه.
-هذا شيء يسعدنى ولا يثقل على (قالها ثم قام مسرعا وحيا عبد الله وأمل ذات الخمس سنوات التى كانت مبتسمه وسعيده وكأنها شعرت بما شعر به الوعاء المهمل)

***

بحث عادل عن سعيد زميل الغرفه واخيرا توصل اليه وقد أصبح شخص مهم في أحد الاحزاب فهو بمثابه الرجل الثانى في الحزب في المنوفيه بلده الاصلى ويعمل كمشرف في أحدى شركات الادويه الاستثماريه .
وعنما التقاه عادل قال له هل عرفت ماهى حكمه الخلق ..؟
-لسه والله يا أستاذ عادل .
ثم ضحكا وجلسا في أحد المقاهى لتناول القهوة.
معظم حديثه يدور عن الانتخابات ودهاليزها والاعداد لها والتخطيط.
عادل :-اللحيه دى من باب التدين أم باب التأنق لانها خفيفه ولا تعتبر لحيه حقيقيه
-مش حاتفرق كتير ولكنها وسيله جيده للتأثير وكل أتجاه يراها مثلما يريد.

***

المكان حاره ضيقه تحفها القمامه على الجانبين بحيث تغطى ماتبقى من أرصفه متأكله وعدد لا بأس به من قطط وكلاب ضاله ترعى هنا وهناك في

أمان فقد أنتهت العداوه الازليه بين هذان النوعان المختلفان من الكائنات الحيه وأصبحا مشتركان في نفس الهموم وهى البحث عن لقمه العيش وأقتناصها من بقايا الطعام وتجنب الدهس تحت عجلات ٣ مليون توكتوك ترتع في شوارع المحروسه تعيث فسادا وتنشر الفوضى والقبح.

وفى نهايه الحارة منزل متهالك مكون من ثلاث طوابق يقف مستندا على مايجاوره من مبان ولكنك تشعر عندما تشاهده أن قد يسقط في أى لحظه.

الدور الاول عباره عن شقه لاتتعدى ٥٠ مترا مكونه من غرفه وصاله ودوره مياه بدون باب ولكن يوجد ستاره وتجلس أم شيماء على كنبه من الطراز المسمى اسطانبولى وحولها أبناؤها في جلسه عتاب ولوم أسبوعيه متكرره حيث أنها تأخذ أجازه يوم الخميس من منزل المهندس عادل لتقضى اليوم معهم ثم تعاود الرجوع مساء يوم الجمعه, أبنها الاكبر كهربائى يعمل باليوميه ومعظم الايام بلاعمل والاخر حاصل على مؤهل متوسط و يقضى فترة تجنيده ثم شيماء الابنه الكبرى مطلقه ولديها طفلان وبعد أن يستولوا على مرتبها وما جاد به عليها عادل من مأكولات وملابس ولا يتبقى معها سوى جنيهات قليله تبدأ جلسه الحساب وعتابها على هذا العمل الذى لايليق بها وبهم وخصوصا أخو زوجها الذى يعتبر نفسه مسئولا عنهم بعد وفاة زوجها والمسئوليه من ناحيه الامر والنهى و فرض الرأى فقط ولكن بلا أى دعم مادى أو معنوى وهو دائما يعترض لمجرد أثبات وجوده ورجولته ومسئوليته عنهم أمام الجميع فأصبح مثل الطاحونه التى تصدر ضجيجا ولا تنتج طحينا ويعاير الابناء بمهنه أمهم.

والام بين نارين أنها تفضل الجلوس في المنزل للراحه من مشقه العمل عند أخرين وكذلك منعا للمشاكل ولكن كيف تفعل هذا وأبنها الاكبر لم يذهب إلى طبيب أسنان رغم أن أسنانه

تؤلمه من شهور وابنها الاصغر يذهب إلى وحدته في الجيش في وسط الصحراء في طريق السويس ويحتاج إلى مصاريف يوميه ففتره التجنيد ضريبه على

كل شاب ولابد أن يساعده أهله حتى شيماء نفسها تخلى طليقها عنها ولا يجود إلا بالقليل .
بعد أن ينال كل منهم مناله منها ويتأكد أنها افلست تماما فجاءه تدب الكرامه في عروقهم وتظهر النخوه في عيونهم ويطالبوها بترك عملها هذا والبحث عن عمل أخر ينتهى في حدود الساعه الثالثه عصرا بدون مبيت بناءا على طلب عمهم وهو يرون أنه على حق.
كيف لامرأه تعدت الخمسون وغير متعلمه ولا تجيد أى حرفه أن تنتقى عملا بشروط معينه أنها فقط توافق على مايعرض عليها.

***

دخلت طائره الخطوط البريطانيه الاجواء المصريه وكانت ستيفانيا تتطلع من الشباك لتكتشف العالم الجديد الذى ينتظرها وكانت أطمأنت على أنتظام ساره في الدراسه وكذلك على بدايه دوران دولاب العمل في المكتب الاستشارى كما علمت أن عادل أتفق لها على وظيفه بصوره مبدئيه بأحد المستشفيات التى تملأ الميديا بالاعلانات صباحا ومساءا.
كان عادل وساره في انتظارها واحتضنتها ساره بشدة.
المطار لابأس به وطريق المطار أيضا تحتضنه الاشجار وكذلك الطريق الدائرى إلى القاهره الجديده متسع حتى الان كل شيء يبشر بخير.
لم تنتبه كثيرا لبعض السلبيات مثل أكوام القمامه والحفر وخروج الاسلاك من أعمده الكهرباء بل وخروجها أحيانا من الارض نفسها.
أستغربت كثيرا لشكل شرطى رث الثياب يقف دائما بجوار أى أشاره مرور ولا عمل واضح له سوى أنه يشير للسيارات الماره بأشارات غير مفهومه فقد تكون الاشاره حمراء ويشير لهم بالمرور والعكس وقد تعود الناس على وجوده وأصبح مثل فلكلورا ساخرا رغم أنه طاقه مهدره فهم غالبا شباب في العشرينات.

كانت الاوضاع في مصر في هذه الفتره مستقره والحاله الامنيه ممتازه ومعدلات النمو عاليه تضاهى مستويات عالميه ولكن كان هذا لايظهر على رجل الشارع البسيط فالخدمات سيئه والطرق والمرور والنظافه في حاله يرثى لها –التعليم منهار والصحه تتهاوى ولكن دائما هناك أمل في العيون.
كان الاستقرار مرتبط بالترهل والبطئ الشديد في كل شيء فالقيادات كلها تقريبا تجاوزت ال٧٥ عاما ولا أحد يسعى للتغيير أو الابداع أو التفكير خارج الصندوق وكما كان الاستقرار ظاهرا على السطح كان شيئا ما يدور في القاع شيئا خبيثا ماكرا ظاهره الخير وباطنه الشر والتمكين.

***

تفرغ عادل لمده يومين لتعريف ستيفانيا بالقاهره بدايه من برج القاهره والاهرام وحتى شارع المعز وباب النصر حتى أنهم تناولا السجق عند بابا عبده وزيزو نتانه في أقدم أحياء القاهره حيث عبق التاريخ ورائحه البخور.
تولت ستيفانيا عملها في المستشفى الشهير ولكن أكثر مستشفانا نظاما بالكاد تقترب من الحد الادنى للنظام في مستشفيات الغرب ولكنها كانت مستعده لهذا وتتوقعه وحاولت أن تكون ايجابيه ومتفائله ألى أقصى الحدود.
كانت اهم هاجس عندها هو الوقت فهى تذهب للمستشفى في نصف ساعة ثم اليوم التالى نفس الطريق يستغرق ساعة ثم بعد ٥ ايام نفس الطريق قد يستغرق ساعة ونصف وهى التى أشتهرت بتنظيمها للوقت والاستفاده منه إلى أقصى الحدود.
كذلك هى لم تستسغ الفول والطعميه ولا الكشرى رغم أنها الاغذيه المفضله لجميع زملائها وهذا كان يشعرها بغربه أو انها منبوذه.
أذن الطعام لايناسبها ولا الطرق ولاالنظام –راتبها كان عشر أضعاف ما تحصل عليه الان تقريبا .
ولكن لايهم فهى مع زوجها وأبنتها والمنزل جيد لاينقصه شيء والتجربه ليست سيئه وستتحسن الامور.

حاله من التصعيد تسود الاعلام والحديث دائما عن تظاهرات قادمة ولكن الشعور عند معظم الناس أنها فقاعه في فنجان فهذا البلد ليس عنيفا والمظاهرات غالبا تكون للتصوير ولا تزيد عن بضع ساعات قليله لا تتعدى عدد أصابع اليد الواحده.

ولكن على غير المعتاد تحولت المظاهره إلى حشد هائل وتحدى لكل ادوات البطش وربما كان ترهل القياده وعدم أستيعابها للاحداث هو السبب.

وأنتشرت الشائعات المخيفه المرعبه عن أفراد مسلحون يطلقون النار هنا وهناك حتى يجبروا متظاهروا التحرير للعوده لحمايه أهلهم وبيوتهم .

تجمع الاهالى وقرورا أن يقوموا بعمل مناوبات حراسه حتى تكون خط دفاع أمامى قبل وصول أى مشاغب أو مستغل للظروف إلى داخل المنازل .

وبالفعل تسلح الجميع بأسلحه قد تكون ماده للسخريه في ظروف أخرى مثل مضرب تنس أو عصا أو ساطور وتلاحم الناس وشعروا بالخطر وتعاونوا في كل شيء وكانت كلمه السر هى (الله أكبر) فعندما يسمعونها الجميع يركض بكل قوه ناسيا أنه قد يصاب أو قد يموت ودبت الشجاعه في العروق وظهرت المعادن الاصيله ولكن في الغالب تنتهى الورديات على سلام وكانت الاخبار ساخنه والامور تتصاعد والجو بارد وبدأ عادل يشعر بالارهاق من السهر حاملا عصا كل يوم وذات يوم قرر أن ينام ملء جفنيه تاركا الامور للخالق وبالفعل تناول قرص منوم زاناكس وراح يغط في نوم عميق وسمعت ستيفانيا الله أكبر تجلجل من كل أتجاه وكأن حربت ضروس قادمة وأصابها الرعب وحاولت أن توقظ عادل ولكنه كان يهمهم ويقول لها لاشئ لاشئ وهو في شبه غيبوبه.

وبالفعل أشرقت الشمس وهدأت الامور وصحا عادل متأخرا ولكنه مرتاحا فقد نام بعمق لاول مره من فترة وجلس يتناول الافطار مع زوجته وأبنته وقال لهما لن يحدث شيء أن مايحدث مفتعل ولا يوجد خطر حقيقى الغالبيه العظمى من هذا الشعب طيبه ومسالمه هناك أياد خفيه تنشر

الذعر والفزع.

***

القصر الرئاسى يمر بتجربه لم يتخيلها ولم يخطر ببال باحث ساذج أوسياسى أو عليم ببواطن الامور أن تتطور الاحداث إلى هذا المستوى.

الجميع متوتر والبعض مصاب بحاله تشبه الجنون بلاد عربيه تعرض على الرئيس الاقامه بكل احترام حيث كان محبوبا ويعتبرونه رجل دوله من الطراز الاول والمفاجأت تتوالى يرفض الرئيس وتتقمصه روح المحارب فهو فعلا محارب ولا يصح أن يهرب مثلما فعل الاخرون .

وبدون سابق أنذار يتنحى الرئيس وحوله الكثير من البكائون مثلما حدث في سقوط الاندلس يبكون كالنساء على ملك لم يستطيعوا الدفاع عنه كالرجال فقد أنشغلوا بالتسقيع والاستغلال والطمع -الإنسان يملك فم واحد ومعده واحده ماذا سيفعل بمليار أو اثنان أو ثلاثه لماذا لايكتفى كيف تعدى أنسان السبعون ومازال ينهب المليارات ماذا سيفعل بها، هل سيضيف بها عمرا جديدا إلى عمره, لم يحدث من قبل ولن يحدث، ملعون من أبتكر المثل التخريبى (أن سرقت أسرق جمل) لقد أعطى ضعفاء النفوس حافزا للطمع. سامحك الله يامعاويه فقد أبتدعت التوريث وجعلته سنه لمن أخلفوك، الجميع يتشدق بأن الحكم مغرم وليس مغنم ولكنهم يقتلون وينكلون ويتلونون من أجله، أذن هم كاذبون فهو مغنم.

سادت حاله من الهدوء الشارع المصرى مصحوبه ببعض التفاؤل والترقب لما هو آت وتحول موقع التواصل فيسبوك من موقع لتسالى المراهقين ومضيعه للوقت ألى ملتقى مقدس حتى أن الجيوش أصبحت تنشأ صفحات رسميه لها ثم تحول فيما بعد كأداه ناجحه لنشر الشائعات الكاذبه بين الطلاب السذج والعاطلين بل وتحريضهم وأحباطهم.

توقفت تقريبا كل مؤسسات الدوله سواء خاصه أو حكوميه وتوحش المهمشون وغير المتعلمين وضاعت قيمه العلم وأصبح أى جاهل كسول يملك

صوتا مؤثرا كالذى يملكه مجدى يعقوب أو أحمد زويل.

وفجاءه سيطر الملتحون على كل الميديا وأصبحوا نجوم المجتمع والجميع يقحم الدين في أى حوار أو موقف حتى برامج الاطفال توجه حديثها للاطفال وتحثهم على حب أبائهم لان ديننا الحنيف أمر بهذا ! أنا لا اعترض ولكن لم يفكر أحدا كيف يحب الطفل اليابانى أو الهندى والديه.
وبدأ سعيد ينضم إلى نجوم المجتمع من أصحاب اللحى الخفيفه لاهى لحيه كثيفه ولا هو وجه حليق وأصبح ضيفا مستديماعلى مائده برامج التلفاز وكان للحق متحدثا جيدا فقد أستفاد من قراءاته العديده وأصبح ينظم الجمل ويلعب على وتر لحن القول الذى يجيده الجميع من المغرضين والمتاجرين وهو أستخدام جمل رنانه مع أستعاره بعض ايات قرانيه في غير مواضعها أو تأويل بعض الاحاديث أو الاشاده ببعض مواقف الصحابه واجتزائها من سياقها وتصبح توليفه مؤثره لتوجيه الرأى إلى أتجاه بعينه أو للتحريض أو للحشد وغالبا يكون الوقود من ضعاف الشخصيات والمهاوييس.
فقد أندلعت ثوره شعبيه شبابيه بريئه تطالب بالعداله الاجتماعيه والتقدم والاخذ بأسباب التكنولوجيا ثم مالبثت أن أفرزت أشياء غريبه أشخاص لم تتعلم النظر للامام ولكن دائما العوده للخلف والتمسك بعادات شبيهه بالجاهليه ومناقشات سفسطائيه لاتؤدى إلى أى طريق منير ولكن دائما أظلام تام -أصبح الدين كالسكين تستطيع أن تقطع به تفاحه تطعمها لاطفالك كما يستطيع غيرك أن يقتلك به ويمزقك بل ويجد من يحلل ويفتى ويفسر ويجتهد ليجعله يفر بجريمته ويصبغ عليه أيضا البطوله والجهاد .
كذب كذب كذب متواصل لاينتهى ولماذا لايكذبون والمقصد محمود ومستحب والضرورات تبيح المحظورات وتناسوا الحديث الشريف المسلم لايكذب.
نتشدق دائما بأننا خير أمه أخرجت للناس ولكننا نكذب أكثر من الغرب

ونسرق ونرتشى ونقتل أن الايه القرانيه تقول(كنتم) خير أمه أخرجت للناس هل أصبح من الماضى ولابد من بذل المجهود لاسترجاع الوضع القديم.

***

دق جرس المنبه السادسه وبدأت ستيفانيا الاستعداد للنزول للعمل مره أخرى ولكن وهى مذعوره وظلت طوال اليوم تواصل الاتصال بمدرسه ساره للاطمئنان فالجميع يتناقل الاخبار عن نوعيات جديده من الجرائم لم نعتاد عليها مثل الخطف وطلب الفديه ثم أختفاء المخطوف والخاطفين وأشياء كثيره لم نكن نعرفها فقد كنا دوله فقيره ولكنك كنت تستطيع التنزه على كورنيش النيل في القاهره أو كورنيش البحر في الاسكندريه من منتصف الليل وحتى الفجر ومعك أولادك وزوجتك بمنتهى الامان والاطمئنان.

كان السلفيون دائما يرددون(حاكم غشوم ولا فتنه تدوم) أى حاكم يبطش بالناس أفضل من فتن لا نهايه لها ولذا كانوا ينبذون الشغب والتظاهر ولكنهم تناسوا هذا وأصبحوا من معتادى التظاهرات ومن أشد المتحمسين له.

المتشددون يقولون أن السياسه نجاسه ولكنهم يهرولون اليها ويتعلمون الاعيبها ويقولون أن الغرب هو الشيطان الاعظم ومع ذلك يتكالبون على الحصول على جنسياته لهم وأولادهم واحفادهم واولاد عمومتهم وجيرانهم ويملئهم الفخر عندما يتحدثون عن أمتلاكهم جواز سفر اروبى أو امريكى.

(يأيها الذين امنوا لم تقولون مالاتفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون)

***

جلس عادل مع حنان وزوجها في أحد المطاعم فقد تزوجت ولديها أثنان من الابناء يبدون كأسره مصريه صميمه من حيث الملبس والشكل والاهتمامات

عادل:-أنا عرفت انكم بدأتم مكتب هندسى في الزقازيق وأأمل أن نستطيع أن نتعاون سويا ثم نظر إلى زوجها أحمد وقال له :-حنان مثل أختى تماما

obeikan.com

وأنا اعرف أنها مجتهده.
زوجها :-وليه فكرت في الزقازيق رغم أن كل الشغل في القاهره والاسكندريه؟
-الشرقيه أقرب محافظه إلى مدن القناه وأنا اتوقع طفره في هذه المنطقه ومكتبى حاليا يغطى القاهره والاسكندريه ولا مانع من أضافه مدن القناه.
-يسعدنا العمل معاك وأنا سمعت عنك كل خير من حنان.
حنان :-على فكره أنا توقفت عن مشاهده المسلسلات التركيه أعتقد أن كلامك كان سابق زمنه وانك توقعت مبكرا مالم نستطع قرأءته.
-وهل تستمتعى بحياتك انتى والاسره والا مازلتى تستمعتى بمشاهده الأخرين يستمتعون؟
ضحكت وقالت مازلنا نستمتع بمشاهده الأخرين يستمتعون
وكان في هذه اللحظه ابناؤها الاثنان يعيثون فسادا في كل مكان في المطعم ويعبثون بالاكواب والمفارش وهى وزوجها يتعاملون بلامبالاه لايهتمون حتى بأيقافهم أو نهرهم فقد وصلوا إلى قناعه أن التركيز والتنبيه لن يؤتى أى نتيجه ومن الافضل تجاهلهما.

***

كان تفاؤله حذر بوصول الجماعات الاسلاميه إلى الحكم ولكن لقد أختارهم الشعب ويجب أن نرضى بالامر الواقع وبعدين هؤلاء ناس بتوع ربنا مثل مايقولون يعنى أكيد سنرى حياه الزهد والتوحد وأنكار الذات وستنطلق الامة إلى الامام.
جلس في أحد المقاهى يشرب القرفه بالجزنبيل باللبن مع مجموعه من أصدقائه ووجهم لهم الكلام:-
-أنا متوقع أول قرار حايكون سحب كل السيارات الفارهه من الوزارات وبيعها في مزاد علنى وأنشاء مدارس على أعلى مستوى والاخذ بالتجربه الماليزيه في التعليم وتعميم أستعمال سيارات أقتصاديه سعرها بسيط في جميع الهيئات السياديه والوزارات .

-غالبا حايتم أنتاج سياره مصريه سعرها في متناول الجميع يكون المكون المصرى فيها ٨٥٪ عالاقل ويستعملها رئيس الوزراء لنشر ثقافة التقشف وتشجيع الصناعه الوطنيه وفى خلال سنه أو اتنين سيكون المنتج المحلى ١٠٠٪.

***

-الناس دى بتاعه ربنا ومش حايفوتوا فرصة وصولهم للحكم ولازم يبينوا للناس الاختلاف ويعملوا اجراءات تخلى الناس تلتف حواليهم وتحبهم.
-ربنا يعمل الخير لمصر البلد مسكينه ومحتاجه قياده تطلع بيها.
-ياريت بقى ننغلق على نفسنا شويه لغايه البلد ماتقف على رجليها.
وكان عادل مثله مثل سائر المصريين ينتظر مفاجأت القياده الجديده من أفكار مختلفه عما يدور في المنطقه حتى تكون نموذج يحتذى به ويعجب به الاخرون وتكون نواة لامبراطوريه مهيبه تتبوأ مكانا يليق بها بين الامم.
تأخرت المفاجأت ولم يرى شيئا يدل على أى اختلاف عن القيادات السابقه بل مظاهر الاستغفال والاستعجال والتكويش والتمكين كانت مبالغ بها وكأن شخص ما سرق شيئا ليس من حقه و يحاول الهروب بغنيمته و التملص من الملاحقه حتى أستكمال التمكين.
وعندما حدثت واقعه استاد بورسعيد الشهيره وذهب رئيس مجلس الشعب لتقديم التعازى في ضحايا الحادث وتوجه إلى نادى الاهلى وكان عادل يشاهد التلفاز مصادفه ورأى موكبه عباره عن اربع سيارات شيروكى وهو يركب سياره بى ام دبليو أحدث موديل ونزل منها مرتديا بدله لامعه منتهى الاناقه يحيطه الحرس الشخصى من كل جانب وهو يشعر بأهمية فجائيه هبطت عليه عندها شعر عادل أنه امرأة مسكينه قليله الحيله تندب حظها و تذكر عده أمثله شعبيه مثل (احمد زى الحاج أحمد وما انيل من سيدى إلا ستى) ثم شعر أن دور السيده التى تولول لا يناسبه وينتقص من أعتزازه بذاته وبدأ يستعيد كبريائه وخرج إلى الشرفه ووقف بها وكأنه الملك فاروق

يخاطب الجماهير من شرفة قصر عابدين وقال أيها الشعب الكريم يسعدنى أن ابلغكم أن هذا اخر عهدى بالسياسة والقى بالجريده التى كان ممسكا بها.

يتشبث الاسلاميون الجدد بمقوله الضرورات تبيح المحظورات ولديهم كثير من الفتاوى تمنحهم العذر في الكذب والخداع والمراوغه اذا كان المقصد محمودا وهو رفع رايه الاسلام

وقد أستعار هولاء مبدأ التقيه التى اشتهر بها الشيعه وطبقوها على أفضل مايكون حيث يبطنون شيئا ويظهرون شيئا حتى أصبحت لاتعرف شخصيتهم الحقيقيه.

فأذا كان الإنسان يكذب من أجل هدف محمود ويماطل ويدعى بالباطل وقد يقتل من أجل نفس الهدف .مانوعيه الإنسان الذى سنحصل عليه في المنتج الاخير الذى يفترض أنه سيقود الامة

وهل بعد أنتصاره وتربعه على أستاذيه العالم سيتخلص من العادات والطباع السيئه التى انتهجها من أجل الوصول وهل النظريه المكيافلليه الشرسه المنتقدة أصبحت من تعاليم الاديان؟

بعض المتشددين يتعاملون مع الأخرين بكراهيه مبالغ فيها وكأنهم أعداء ويتمنون فنائهم ولكن لو أنهم تقبلوهم وعاشو بينهم لوجودهم بشرا مسالمين يحبون أبنائهم ويهتمون بابائهم ويعانون لتوفير أسباب الحياه.

مع الاسف أنبهر الكثير من الجماعات الاسلاميه بالنموذج الصهيونى وأنتهجت منهجه رغم انهم يتظاهرون بكراهيته فهم يعتقدون أنه نموذج قائم على العقيده وهذا سر نجاحه فكيف أن دوله حديثة العهد لا تتعدى ٤ مليون مواطن تستطيع أنهاك ٣٠٠ مليون عربى وأحراجهم أمام أنفسهم قبل أذلالهم امام العالم,

في حرب العلمين كان الانجليز معجبون جدا برومل القائد الالمانى ثعلب الصحراء وكانوا يشعرون بالانهزام أمامه حتى قبل بدايه الحرب ولذا أهتم

مونتجمرى القائد الانجليزى بعلاج جنوده نفسيا قبل المعركه الحاسمه وكان يصيح فيهم لاتترومملوا ولم ينتصر الجندى البريطانى إلا بعد التخلص من عقده الاعجاب برومل.

أبرز سمات الصهيونيه هو مبدأ فرق تسد وقد طبقوها بكل حرفيه وعززوا وجودهم في المنطقه عن طريقها وكان تطبيقها على الاغيار وهو اللقب الذى يطلقه اليهود على غير اليهود.

وعندما اقتبس المتشددون الاسلاميون نظريه فرق تسد كانت الطامه الكبرى انهم يطبقوها على بنى جلدتهم ويقسموهم أقباط ثم شيعه ثم علويين ثم اسماعليين ثم أكراد ثم سلفيين ثم بهائيين وكان المستفيد الاوحد هو صاحب الفكره الاصليه فدائما التقليد سئ وفاشل وردئ.

طوى عادل ملف السياسه تماما وأعتبره من التراث المهمل الذى لايفيد .

***

كان حال البلد يتجه من السئ إلى الاسواء، الاقتصاد الهش أصبح أكثر هشاشه، الفقراء أصبحوا أكثر فقرا، فعليا لا أحد يعمل ولا يوجد أنتاج ولا تصدير والطرق أمتلئت بالباعه الجائلين وهم مثل الجراد والفلاحين يسارعون بالبناء على الارض الزراعيه وأصحاب

العمارات يضيفون أدوارا عليا أعلى من المبنى نفسه وكأن هناك أتفاقا غير مكتوب للانهيار أو التسارع إلى الهاويه، العقلاء يتنحون وينكمشون والغوغاء تحكم واللحى تصبح أكثر كثافه وينتشر الجلباب الافغانى والباكستانى والايرانى ويعم النقاب الوهابى وتتوقف الشوارع والطرقات بسبب التظاهرات والباعه وواضعى اليد والحكومه تتجاهل فهى لا تريد أن تفقد مناصريها وأصواتهم ولا مانع من ترييف المدن أى تحوليها إلى شبه أرياف بدائيه بعد أن كان الاتجاه سابقا إلى تحضر الريف.

وتئن ستيفانيا وتندب حظها العاثر فقد تم تقليص راتبها بسبب ضغط النفقات وأصبحت رحله الذهاب إلى المستشفى كأحدى العاب الكمبيوتر

Open Kan.com

المرعبه من مناورات ومفاجأت وكاوتشوك محترق لغلق الطرق ثم البحث عن طرق بديله وهى الغريبه عن المكان ولكنها لا تشتكى فهى تعلم أن عادل يحمل أثقالا على كتفيه وقد تغيرت ملامحه وفقد ابتسامته ومرحه وأصبح حاد الطباع ولا يتحدث كثيرا وفقد بساطته مع الأخرين وبدأ يتعامل بدون مراعاه لمشاعر من هم دونه مثل العمال وحراس العقارات حتى عبد الله أصبح يتعامل معه بعجرفه فقد أستطاع أن يدفع لابنته مصاريف السنه الحاليه ولكن هل سيستطيع أن يدفع السنه القادمه فقد توقفت الانشاءات وهرب أصحاب رؤؤس الاموال فرأس المال جبان كما يقال .

كيف سيستثمر الناس أموالهم وأصوات الانفجارات وطلقات الرصاص في كل مكان وحوادث السرقه والخطف أصبحت روتين يومى حتى حفلات الزفاف أصبحت تعج بأصوات أنفجارات شماريخ كان ممنوع أستيرادها من قبل فالناس في حاله هستيريا في غضبهم وفى فرحهم .

أذا ذهب الامن أنهارت الامم وأنتشر اليأس والاحباط ووما زاد الطين بلة أن يعلن قائد البلاد الجهاد في سوريا قائلا لبيك ياسوريا أذن فقد غاصت مصر في المستنقع السورى حيث لاتعرف مع من تقف وتدعم فأذا دعمت جيش النصره وداعش ستنتشر الغوغاء وستنتهى الدوله وأذا دعمت الجيش الحر ستفتح المجال لأياد خارجيه غير معلومه وأذا وقفت بجوار بشار ستمد الطاغيه ومن وراءه أيران وحزب الله بقبله الحياه ليعيدوا تنظيم صفوفهم .

***

كان يوما عاديا وصفحات الجرائد تزدحم بأخبار تنم عن أن شيء جاد قادم ومايطفو عالسطح إلا قمة جبل ولكن الجزء الاكبر الضخم يختفى تحت السطح.

الاخبار في مصر تستطيع أن تملا ١٠٠ قناة فضائية بالمعلومات والأحداث والمفاجأت وشعر عادل بغصه وهو يقلب صفحات جريدة الاهرام التى أعتاد أن يقرؤها وخصوصا بعد أن تغير القائمين عليها وتوقفت عن التهليل

والتكبير والتطبيل للحاكم وأصبحت تتسم بالمنطق ألى حد ما ولكن كل الاخبار تدعو إلى اليأس والتشاؤم، هل فقد حظه وكاريزمته هل كشرت له الحياه عن أنيابها وأظهرت جانبها المظلم وتحسس جيب قميصه ووقف مذعورا أنه لايجد المصحف ولا حتى يتذكر متى رأه أخر مره وجرى كالمجنون يبحث في الادراج وجيوب الملابس كيف أنسته مشاغله شيء كهذا أنه تعويذه نجاحه وبركه دعاء أمه والماضى بكل شجونه.
ونظر على الحائط خلف المكتب وأكتشف أنه ترك لوحه الحديث القدسى في أبسويتش لقد كان يعتز بها وهو طالب ثم كان يعلقها بقربه في بلاد لا تتحدث العربيه ثم أهملها بعد أن تمكن منه الغرور والثقه بالنفس.

نزل مسرعا إلى محال أنيق لبيع المشغولات الفضيه وأشترى مصحف باهظ الثمن ولكن نفس حجم القديم تقريبا ووضعه في جيب قميصه.
وأصبح طوال اليوم يتحسسه وكأنه يذكره بالا يتخلى عنه أو كأنه يدعك مصباح علاء الدين لعل يخرج من مارد ينتشله.

***

ظهرت مجموعه من الشباب تناهض الوضع القائم وأبتكرت شيء جديد عباره عن ورقه وكل ماعليك أن تملاؤها لتعلن تمردك، من يسمع عنها يتعامل معها على أنها فكره ساذجه أو محاوله للتشبث بحبال دائبه ولكنها أصبحت مثل كره الثلج تزداد حجما كلما تدحرجت وسيكون أرتطامها شديدا بالهدف المنشود.

من وقع عليها أعتبرها كعقد بين طرفين ثم تصرف فيما بعد وكأنه ملتزم بكلمه شرف بأن يصبح داعم للفكرة.

وبالفعل جاء اليوم المشهود وتحرك حزب الكنبه ونزل الناس ألى الشوارع وتخلوا عن خوفهم وتحدوا التهديدات التى كان يطلقها أشخاص وضع الله على وجوههم عدم القبول رغم أعتقادهم بأن الله لم يهد سواهم.
حزب الكنبه هو أهم حزب في أى بلد فهو يمثل الطبقه الوسطى بوسطيتها في كل شيء وهى طبقه متعلمه و يكافح الاهل لتعليم أبناؤهم أفضل تعليم فهم يقدسون التعليم وسبب تسميتهم حزب الكنبه لانهم ينبذون الشغب والعنف ويمنع الاهالى أبناؤهم من المشاركه في التظاهرات خوفا عليهم من التصعيد المؤدى إلى عنف وهو غالبا ماكان يحدث فالناس لم تعتاد بعد على التظاهر الحضارى.

وتم عزل القائد وأصبح لدينا متنحى ومعزول في سابقه لم تحدث تقريبا في العالم من قبل والاثنان يحاكمان نفس الوقت والنقطه المضيئه الوحيده أن أحدا لم يفر وأحدا لم يختبئ في مواسير الصرف ولكن الطرفان يواجهان مصيرهما بكل شجاعه وربما لم ينتبه أحد لهذه الجزئيه ولكن لها دلاله عظيمه فرغم أختلاف أنتماءات القائدين وأفكارهما إلا أن الطرفان اتفقا على أن الفرار شيء مهين فرغم السواد الاعظم الذى يحيط بنا مازال هناك بقايا من الممكن أن نفخر بها.

نجح المتمردون الشباب في جذب الغالبيه العظمى الباحثه عن الوسطيه والنابذه للتطرف والتفرق والتمييز العنصرى والدينى وتم أنجاز المهمه ولكن لم يدم التفاؤل طويلا فالدعم الخارجى ينهمر كالسيل سواء مادى أو معنوى فقد خرجت مصر عن المسار المخطط لها .
وكان لابد للايدى الخفيه أن تخلق ماردا جديدا ينفذ أغراضها بالوكاله فأنتقت قزما تافها وضخمته وأصبحت مصر هى الشغل الشاغل لهذه القناه الاخباريه التابعه لهذا القزم فقامت بنشر الشائعات وأستضافت أراذل البشر

وتناست أنها دويله قائمه على الانقلابات والاخ أنقلب على أخيه وألابن على أبيه وتطبيقا للحديث كما تدين تدان أنقلب مره أخرى الابن على أبيه والغريب لا أحد ينتقد أو يتبرم أو حتى يشير لما يحدث في هذه الدويله أو حتى يعلق مجرد تعليق عابر وأنما مسموح الخوض في أعراض دول معينه فقط، هل أصبح الجميع عبيد للمال هل أنمحت الكرامه والنخوه والشهامه وأصبح للمال وقع أقوى من السحر.

***

وكان لابد من عقاب الشعب الذى تمرد وتجرأ على من يقولون نحن مبعوثون من قبل الرب وعلى من يعيشون على الشعوذه والاحلام والرؤى .
وأنتشر القتل بدون سبب وتدمير محولات الكهرباء وتفجير خطوط الغاز والمنشأت والتنكيل بالمجندين المساكين تحت مسمى أنهم جيش الرده ولو قرأ هؤلاء ماهى الرده لا ختلف الامر ولكنهم لايقرأون .
ودائما الفتاوى حاضرة ومفصله حسب الطلب فأنت تستطيع أن تصبح قاتل وسارق ومخرب ثم تدخل الجنه لتنعم مع الحور العين!

كيف تحولت الجماعات الاسلاميه من التسامح ونشر السلام ومساعده الغير وقضاء حوائج الناس والتبليغ والدعوه والتفقه في علوم الدين إلى شبه مرض نادر مجهول الاسباب يسمى
Autoimmune disease
أى المناعه الذاتيه وهى حين يهاجم الجسم أنسجته و أعضاؤه متخيلا أنه عدوان خارجى لان هذا عكس المفروض وليست هذه طبيعه الامور فالهدف من المناعه هو مهاجمه البكتريا والفيروسات الخارجيه لحمايه مكونات الجسم وليس مهاجمه هذه المكونات بدلا عن الاعداء الخارجيين والقيام بمهتمهم ويكون التدمير الذاتى اخطر واعنف من التدمير الخارجى وتتم عمليه التأكل والاحتراق الداخلى.

كيف يتسق أن تعرف مايخطط له الاخرون ومايضمرون لك من شر ومع ذلك تقوم بتنفيذ أهدافهم بكل دقه لمجرد أنهم يغازلونك ببعض أيات قرأنيه أنتزعت من سياقها أو أحاديث تم تأويلها في غير مواضعها !

كيف يستطيع أنسان ذو شخصيه قياديه مسيطره شريره وبارع في لحن القول وتجميع بعض الايات وبعض الاحاديث في توليفه محبوكه لتحريك الاف المهمشين وانصاف المتعلمين واذكاء روح الانتقام من مجتماعاتهم وتدمير بلادهم بالوكاله لصالح أعداء معروفين أذن الكتاب مفتوح ولكن الكثيرين لايستطيعون قراءته

قالت الام تيريزا:-

عندما تكون مرفوضا ومكروها ومهملا ومنسيا من الجميع . فان هذا جوع اعظم وفقر اكبر من جوع أي إنسان ليس لديه ما يأكله.

هل خلقنا أجيالا محبطه ويائسه تتسم بالعنف ووجدت في الدين ضالتها لتمارس عنفها وشراستها بضمير هادئ وراحه بال بل وأيضا تعد نفسها بالنعيم وحور العين.

كيف يتم أخراج الإنسان عن مركز ثقله وتحويله إلى ماده لاتعى ولا تفهم ويتم أستغلالها بمحض ارادتها لتدمير نفسها وبيئتها المحيطه بلا أدنى ضمير.

قال اينشتاين –

أن الغباء أن نفعل نفسى الشيء مرتين بنفس الاسلوب ونفس الخطوات وتتوقع نتائج مختلفه –لم يتخيل اينشتاين أن هناك اناسا يفعلون نفس الشيء الاف المرات ولا يتعظون.

لم يحتاج نابليون وقتا طويلا عندما أتى إلى مصر ليكتشف أن ابسط الطرق للسيطره على العامه هى أستعمال الدين ونجح كثيرا في أستغلال هذا رغم أنه جاء غازيا ومحتلا –في اليوم الثانى لدخوله القاهره أنشأ نابليون ديوان القاهره وهو ديوان استشارى مكون من تسعه من كبار المشايخ والعلماء

ويرأسه الشيخ عبد الله الشرقاوى وبالاطلاع على وصيته لكليبر نستطيع أن نفهم كيف كان يفكر نابليون فقد كتب له (إذا أردت أن تحكم مصر طويلا فعليك باحترام مشاعر الناس الدينية وأحترام حرمات منازلهم) ومن العجب العجاب أن نابليون كان يتجول في الطرقات مرتديا الملابس الشرقيه و العمامه والجلباب وكان يتردد على المساجد أيام
الجمع ويشارك في الحضره ويشهد أن لا اله إلا الله ويظهر اعجابه بالفن الاسلامى ويحترم الشعائر الاسلاميه حتى أطلق عليه المسلمون لقب على بونابرت ! لقد صدقوه .
ولم ينصت الكثيرون للشيخ الغزالى رحمه الله عندما قال الاكراه على الفضيله لايصنع أنسانا فاضلا ولا الاكراه على الايمان يصنع أنسانا مؤمنا..
واهمل الجميع نجيب محفوظ حين قال لو ظل التخلف في مجتمعاتنا فسيأتى السياح ليتفرجوا علينا بدلا من الاثار وقد تحققت نبوئته حيث أن اسرائيل تنظم رحلات إلى الجولان على حدود سوريا ليشاهد السائحون الصراع بين الاكراد والجيش الحر والجيش النظامى وداعش وجيش النصره يشاهدون أبناء البلد الواحد والدين المشترك وهم يتقاتلون بكل حماس وتفان ويجلس السياح مرتدين الملابس الخفيفه ويتناولون العصائر المثلجه والوجبات السريعه واستعمال النظارات المكبره ليشاهدوا السنه اللهب والحرائق وهو نوع مبدع من السياحه لم يتوقع أحد وجوده يوما ما وخصوصا عندما يحدث داخل خير أمه اخرجت للناس .

***

كان يوما عاديا والجميع مكفهر ومكتئب والاحداث ساخنه وكان عادل في زياره لاحدى الشركات التابعه لقطاع الاعمال يتابع أحد المزايدات وكان هناك موظف يسمى حسام محبب إلى قلبه فهو متدين صافى القلب يهتم بفروضه الدينيه وملتحى ولاينتمى إلى أى فصيل دينى ولكنه يراعى الله في كل تصرفاته واثناء دخول عادل كان حسام يخرج مسرعا وهو يقول حسبى

الله ونعم الوكيل .
أستفسر منه عادل عن ما يجيش في صدره وعرف أن رئيس القطاع يضطهده لان اسلوبه لايعجبه وهو لا يستطيع أن يتغير لا يستطيع أن يكون مرتشيا ولا مدلسا :-
-أنا تعبت ومش عارف أتصرف.
-أهدى بس ياحسام وكله حايبقى تمام.
-لا أنا بعانى من الاضطهاد ده من فتره وعندى أمل أنه يسقطنى من حساباته ولكنه يتلذذ باذيتى وساضطر بفعل أشياء لم أكن أرغب بفعلها.
-لا يا رجل أنت لست من النوع الذى يخالف القانون ولا تقترف افعالا عنيفه.
-أنا سأدعو عليه وهذا لا يخالف القانون ولكنه أكثر فاعليه.
-وهل الدعاء سلاح فعال إلى هذه الدرجه .
-نعم بس له شروط.
-وماهى؟
-أن تكون مظلوما فعلا وأن يكون دعاؤك وقت صلاه الفجر وتضع أطفالك الصغار أمامك بعد الصلاه وتدعو لله وانت حسن الظن به انت واطفالك سويا .
في طريق العوده كانت الشوارع بطيئه جدا زحام ودخان يغلف المكان من حرق الكاوتشوك وسرح عادل متذكرا حواره مع حسام وكيف أن هذا المسكين يتحدث بثقه وكأنه يمتلك سلاحا فعالا ذوامكانيات استثنائيه، كيف يكون واثقا هكذا.

***

الاوضاع تزداد سوءا فبعد أن كان التحرير مغلقا أمام حركه السير أصبح تقاطع رابعه يقضى على سيوله المرور تمام في مدينه نصر ثم تلاه ميدان النهضه في الجيزه وأحيانا الف مسكن وأصبحت المفأجأت غير الساره من

الاشياء المعتاده.
بدأت ستيفانيا تعانى وبدأت تشعر بالندم فالبلد مثل قارب قديم هش تتقاذفه الامواج وكانت دائما مشدوده الاعصاب ولا شيء يسعدها ودائما قلقه على ساره وعلى عادل وباتت على حافه الانهيار العصبى وغالبا شعر ابواها بهذا وأنتقل اليهم القلق فالقلق والتوتر أشياء معديه بل وسريعه العدوى.
ولهذا تلقى عادل مكالمه هاتفيه من ديفيد يبلغه أنه سيحضر مع رافاييلا إلى القاهره لمدة اربع ساعات وسيغادران مساء وسيقضيان هذه الساعات في فندق جى دبليو ماريوت على الطريق الدائرى لانه قريب من مطار القاهره حيث أنهما لايملكان الشجاعه للذهاب إلى أى مكان يبعد عن المطار أكثر من ربع ساعة بالسياره.
فندق ماريوت كان في منتهى الفخامه وحديقته مزدهره بالورود من كل الانواع والالوان وبمجرد أن تدلف من البوابه الرئيسيه يمكنك أن تنسى تماما أنك في بلد يتصارع من نفسه فالمكان هادئ ونظيف وبه كل أسباب الرفاهيه.
جلسوا جميعا يتناولون الغذاء وكان ديفيد منبهرا بالمكان وبانواع الطعام وقال :-
-لماذا لا يستمتع المصريون بهذا الجمال؟ما نراه في الميديا يدل أن البلد تحترق لامحاله ولن تقوم لها قائمه.
-الوضع ليس بهذا السوء فنحن نتنقل ونذهب لاعمالنا .
-ولكن ملامحكم مختلفه ذهب تفاؤلكم وتغيرت أبتساماتكم حتى أنى أرى تجاعيد ظهرت على وجوهكم!
كانت ستيفانيا واجمه لاتدرى ماذا تقول ولا تشارك في الحديث.
ثم أستطرد ديفيد ورافاييلا تؤمى براسها بالموافقه على كل كلامه :-
-لقد قررنا أن تعودوا معنا لا داعى لوجودكم في هذا البركان.
-الوضع يحتاج وقت حتى تستتب الامور وأرجو أن نعطى الوقت بعض

الوقت.
وقال المثل الانجليزى الشهير:-
(Time heals almost everything just give the time some time)
-أنا لا استطيع أن أترك أبنتى الوحيده هنا نحن نعيش في رعب وننتظر في أى لحظه أن نسمع عنكم أخبارا سيئه.
نظر عادل إلى ستيفانيا قائلا :-
-مارايك ؟
-أنا أشعر أنى على حافه الانهيار ولا ادرى ماذا أفعل.
-أقترح أن تذهبى مع والديكى حتى تتضح الامور أما أنا فلا استطيع هذه بلدى بحلوها ومرها ولا اريد أن اشعر بالفشل ولا اريد أن اكون مجرد بصمه يد على زجاج نافذه مهمله أريد أن افيد بلدى وأستفيد منها .
ثم قال مقولة الام تريزا (أخطر الامراض أن تكون لا أحد لأى أحد)
وأستطرد لا اريد أن أهرب من أول أختبار حقيقى ربما أنتم تشعرون بالخطوره لانكم لم تعتادوا على الحياه الشاقه ولكن أنا تربيت على هذا ولن أحترم ذاتى أذا هربت الان.
أصيب الجميع بخيبه أمل لاصراره ثم فجاءه تذكروا ساره ونظروا تجاهها ونطقوا سويا :-
-وانت ياساره!
قالت بلامبالاة وهى تعبث في طبقها بدون أن تاكل وبدون أن تنظر لهم :-
-الناموس لم يعد يقرصنى.

***

دلف عادل من الباب الزجاجى لشركه قطاع الاعمال لاستيفاء الاوراق الخاصه بالمزايده وكان الموظفون يجلسون على هيئه مجموعات منهم من يفطرون فطار جماعى ومنهم من انتهوا للتو من فطارهم ويحتسون الشاى ولكن كانوا كلهم يتحدثون في موضوع واحد وهو عن ما اصاب رئيس القطاع

من كسور قد تحتاج تركيب شرائح أو مسامير فلقد تعرض لحادث سياره مروع وأرتطم بقوه بالزجاج الامامى حتى أنه طار منه مسافه مترين تقريبا.

ومن الغريب أن الجميع يتحدثون ويرون قصص مختلفه عن كيفيه حدوث التصادم إلا شخص واحد وهو حسام الذى جلس وحيدا على مكتبه منهمكا في تسجيل بعض البيانات وكان متجهما حتى أنه حيا عادل بأقتضاب وأشار له بالجلوس وهو مازال يقلب في الاوراق.
أنتظر عادل أن يفاتحه في الحديث ولكن حسام تجاهله لذا تكلم عادل:-
-هل أنت راضى الان؟
-أنا راضى دائما ولكن لماذا الان؟
-هل أخذت حقك.
-أنا لا اشمت في أحد والشماته ليست من النخوه والشهامه فأن الله يبتلى الشامت ويعين المكلوم وأنا مجرد عبد فقير لا املك من نفسى شيئا وقال كأنه يتحدث مع نفسه:-
(وَلَٰكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ)ثم أستطرد كل شيء مقدر في الازل ولابد من وقوعه.

مضت السياره وسط الزحام وعادل يتأمل حال الدنيا فالانسان يعتقد أنه تمكن منها وأنه قادرعليها ثم يأتيه شيئا يذكره بأنه مجرد زائر على هذه الارض وأنه أضعف مما يتخيل.
بدأ يعد الحوار الذى سيتنصل به من تكمله دفع مصاريف أمل نظرا لظروف البلد وأقنع نفسه أن هذا لن يضيرها فهى كانت تساعد والدها في خدمه السكان وستعود لوضعها الطبيعى ويكفيه شرف المحاوله وأن البلد في حال سيئه والاعمال كلها شبه متوقفه وكل هذا خارج عن ارادته وقد كان

حسن النيه بل يجب أن يكونوا ممتنين له على مافعله وبدأ يعامل والدها بخشونه أستعدادا لهذا الموقف بل وبدأ يتعامل مع من هم أقل منه ببعض الجفاء حتى لايطمع به أحد فحال البلد سئ وهو لايستطيع القيام بأى عمل خيرى الان.

أصبح يعامل الجميع بدون أى اعتبار لمشاعرهم وفقد شخصيته البسيطه وخفه ظله وتحول ألى انسان أخر عصبى المزاج صعب المراس .

وفى أحد الايام بمجرد دخوله إلى مكتبه لاحظ تجهم سكرتيرته وعبوسها وعندما أستفهم منها عرف أن المكتب فقد مناقصه كبيره كانت بمثابه طوق النجاه الاخير –ألقى بحقيبته وأخذ يسب ويلعن ثم بصق على أرضيه الشركه لاعنا اليوم الذى أنشأها فيه وخرج من الباب وهو يخبط أى شيء يقابله وأمتنع عن الذهاب للعمل عده أيام وطالت لحيته وأنتظر عودة أم شيماء لرعايه ساره حيث أنه منهار تماما ولا يقوى على تلبيه طلباتها .

طرق حارس الفيلا الباب وعندما فتح عادل وجهه حديثه له قائلا:-

-أم شيماء يابيه تعيش أنت.

-أزاى وأمتى دى كانت كويسه ولا تشتكى من أى شيء.

-لم تشتكى ولكنها حملت جبالا من الهم على كتفيها كانت تتحمل ضغوطا فوق طاقه البشر من أبناؤها واخو زوجها أنها تهرول ذاهبه لهم لتعطيهم أموالا وتعد لهم طعام الاسبوع وتسمع الاهانات والعتاب ثم تهرول عائده هنا مره أخرى.

حزن عادل حزنا شديدا وقال:-

-كيف لم تنال هذا المرأه جائزه الام المثاليه!

-جايزه أيه بس يابيه دى اللى زيها كتير أوى ربما يكون الموت راحه لهم.

أسودت الحياه في عينيه وعلت ملامحه الكأبه ولو كان الخمر حلالا لاحتسى خمرا ولولا أن الانتحار محرما لفكر في أنهاء حياته.

أستسلم تماما للنوم ولا يعرف كم من الوقت نام ولم يعرف الصباح من المساء

وكان يحلم بهلاوس ممتزجه بذكريات قديمه ولا يدرك هل هو مستغرقا فعلا في النوم أم يقظا ثم مر عليه طيف الشيخ حسام وفجاءه قفز من السرير ونظر في الساعه وجدها الرابعه فجرا وخرج مسرعا وجد ساره تحتضن عروستها وتشاهد التلفاز في هدوء فقد تعودت أن تدبر أمورها وحدها ضمها ألى صدره وشعر بالذنب تجاها ثم قبلها وقال لها :-

-أنت بتعرفى تصلى.

-أيوه كنت بصلى مع ماما أصل ماما كانت دايما تصلى الصبح بس وكنت بقلدها.

-متبقى على صلاه الفجر حوالى ربع ساعة ساغتسل واتركك تتوضى ثم نصلى سويا.

نظرت بعينيها العسليتين وقالت

-حاضر.

شوفى ياساره الدعاء شيء جميل ويقربنا من الخالق ونحن سنأخذ بالجانب الايجابى منه فلن ندعو على أحد ولكن سندعو أن ييسر الله أمورنا ويرزقنا ويخفف عنا معاناتنا.

-أدعو باى لغه حتى يستجيب لى ربنا.

-ربنا هو خالق جميع اللغات ويستجيب لها جميعا بس المهم تكون من القلب مع حسن الظن ـأنت تعرفى تدعو بأى لغه ؟

-الايطاليه والانجليزيه والعربيه.

-خلاص أدعى بالثلاث لغات.

-أنا حادعى بكل لغه ثلاث مرات لزياده التأكيد.

أبتسم عادل وصلوا الفجر سويا، اجلسها أمامه وأستغرقا في الدعاء ونام بعدها محتضنا فلذه كبده .

وصحا متأخرا ولكن بشعور من السكينه والهدوء وحلق لحيته وجلس في الشرفه يحتسى كوبا من الشاى أعده بنفسه وكانت لحظه نزول أمل من

obeikan.com

باص المدرسه شاهدها وقد تبدلت هيئتها تماما أصبحت مشرقه كالورده نظيفه بشوشه .
ياألهى كيف كنت سأجهض الامل بيدى كيف كنت سأتنصل منها والله لو تطور الحال أن أبيع املاكى والتزم بكلمتى فلن أتركها وماقيمه الحياه بدون أمل.

أنتظمت ساره في الدراسه وأصبحت وأبيها لايفترقان إلا صباحا وتطورت علاقتهما إلى صداقه، اصبح يستمد منها الحنان والطاقه الايجابيه ومن قال أن الاباء يمنحون الحنان لابناؤهم فقط -في الواقع أنها علاقه تبادليه يستفيد منها الطرفان بنفس الدرجه.

أصبح الدعاء عادة يوميا بعد صلاة الفجر وأصبحت الحياه أكثر أشراقا والشمس أكثر سطوعا فما تراه هو أنعكاس لما يتطور داخلك.

وذات صباح قابلته السكرتيره مبتسمه وأبلغته أن الشركه التى أقتنصت منهم المناقصه أبلغت الوزاره عن عدم قدرتها عن تنفيذ المشروع وبالتالى مكتبهم هو المرشح في حال موافقته على تولى المشروع حيث أن عرضهم حاصل على موافقه فنيه وكان الخلاف في العرض المالى فقط .

وفى نفس الفتره بدأ الهدوء يعود للشارع وأصبحت التظاهرات أقل وبلا حشد فعلى واندحرت الممارسات العنيفه إلى حد كبير وعاد الامان بنسبه كبيره إلا من بعض حالات تخريب لن تؤثر على الوضع العام.

وبدا مكتب عادل أنيقا وخلفه لوحه مكتوب عليها الحديث القدسى (وعزتى وجلالى لأرزقن من لا حيله له حتى يتعجب أصحاب الحيل).

وشرع في أنشاء مكتب الشرقيه بشراكه مع حنان وزوجها المهندس.

وذات يوم جاءه سعيد وأخذا يتجاذبان أطراف الحديث:-

سعيد :-أنا بعدت عن السياسه تماما سئمت الكذب والمراوغه واكثر ماكان يؤلمنى أستغلال الدين لضمان السيطره على العامه فالمهمشين والاميين كثيرون في بلدنا وهم وقود وفرصه لاى مستغل للدين .

-الجميع يردد أن السياسه نجاسه ونفاق ومع هذا الكل يهرول لها ثم مايلبثوا أن يدعوا أن السلطه مغرم ثم يمسكون بتلابيبها ويتمرمغون في ترابها بل ويودون لو أن يورثونها.
-أرجو أن نكون قد تعلمنا جميعا من هذه التجربه التى أنهكت الجميع.

ثم نظر سعيد حوله ووجد المكتب أنيقا والمهندسين كثر ومشغولون وواضح أن العمل على قدم وساق فهو لم يعلم اية رحله شاقه مر بها زميل غرفته سابقا ثم قال :-
-يعنى كل مامرت به البلد وأنت مازلت محتفظ بنشاطك وعملك ومكتبك اللهم لاحسد
أنت فعلا كاريزما كاريزما كاريزما
أبتسم عادل ولكنه وقف أمام النافذه يتأمل السيارات وهى تمرق في فوضى في جميع الاتجاهات والوجوه التى يعلوها دائما الشحوب والاكفهرار، بالفعل الشارع هادئ ولكنه هدوء حذر وكأنه يسبق شيء ما وتذكر الحديث تفائلوا بالخير تجدوه وقال لم نعد نملك إلا التفاؤل فقط.

تمت بحمد الله

obeikan.com

obeikan.com

ريسيكل

كان لوالده سبعة عشر ابنا لم يعش منهم سواه ثم مات أبوه وهو صغير السن وماهى إلا فتره قصيره ولحقته أمه فصار يتيما وهو في الرابعة عشر، كل المؤشرات تؤكد أنه طفل شؤم ونحس من العيار الثقيل على المحيطين به والمقربين منه، تولى أمره بعدها عمه طوسون الذى مالبث أن مات أيضا حتى يستمر سلسال سوء الحظ، وكان يعيش في مدينه تدعى قولة تابعة لمحافظه مقدونيا شمال اليونان التى كانت تقبع تحت مظلة الحكم العثمانى في هذا الزمان فكفله حاكم قولة وفاءا لوالده أبراهيم آغا تاجر التبغ، كما أنه لم يعد هناك من يكفله، ولكن هل يستمر النحس والحظ السئ؟

ألم يكن خاتم المرسلين وسيد البشر مضطهدا من قومه وولد يتيما أيضا، ألم يرمه اليهود بالحجارة، ألم يتامروا علي قتله، ألم تأكل سيدة منهم كبد حمزه عمه نيئا,ألم يثقلوا رأس المسيح عليه السلام بالشوك ودقوا المسامير في جسده وظلموه، ألم يلقى أخوة سيدنا يوسف أخاهم في البئر وحزوا نفس أبيه يعقوب حتى بوذا أمتلأت حياته بألام ومواجع، ألم يحرقوا جاليليو,ألم يمثلوا بالحسين خير شباب الجنه، مامن أنسان يكون سعيد الحظ دائما ومامن أنسان يجتمع الناس على حبه.

وكما نعرف فأن من المحال بقاء الحال، نعود مرة أخرى إلى الطفل الشؤم محمد على فقد رباه صاحب أبوه حاكم قولة وسط أولاده ولكن لم يمنعه هذا من الشعور بمذلة اليتم التى لاحقته دائما وكانت حافزا له ليبذل أقصى جهده في أى عمل يوكل له حتى يشعر بذاته, أدرجه حاكم قولة في الجندية وظهر من البداية أنه مختلف عن الأخرين، شجاعا ويمتاز بسرعة البديهة وحسن النظر ولديه رؤيه في كل الامور فقربه الحاكم من مجلسه وكان اليوم المشهود حين زوجه من امرأة غنيه وجميلة تدعى أمينة هانم التى أصبحت

تعويذه الحظ السعيد بالنسبة له، وينقلب الوضع إلى النقيض تماما وتنجب له من الابناء أبراهيم وطوسون وأسماعيل ومن الاناث بنتين .

وتتشابك حلقات الحظ حين أوفدت الدوله العثمانية جيشا إلى مصر لانتزاعها من أيدى الفرنسيين وكان محمد على بسبب أصول والديه الالبانيه نائبا لقائد الكتيبة الالبانية المشاركه في هذا الجيش بقوام مكون من ثلاثمائه جندى (٣٠٠ جندى مدرب بمقاييس هذا الزمن كانت تعد بقوة مؤثرة)، ورغم هزيمة الجيش العثمانى في موقعة أبى قير الا أن قائد الكتيبة وكان أبن حاكم قولة الذى ربى محمد على يغادر مسرعا إلى بلاده ويتولى محمد على مقامه، ويرقى إلى رتبه بكباشى فتكون هزيمة العثمانيون طالع حظ بالنسبة له وسببا لترقيته وأنطلاقه لآفاق أرحب كثيرا.

وبعدما أصبح رئيسا للكتيبة الألبانية أظهر محمد علي التودد إلى كبار رجالات المصريين وعلمائهم وأنضم إلى مجالسهم بل وصلى ورائهم، وأظهر العطف والرعاية لمتاعب الشعب المصري وآلامه وكان هذا مختلفا عمن سبقوه ، مما أكسبه أيضًا ود المصريين وهذا يعد من دلالات ذكائه الفطرى الممتزج ببعد البصيرة والرؤيه .

فبعد رحيل الحمله الفرنسيه كانت هناك ثلاث قوى تتنازع على السلطه بعد أن كانت متحدة على هدف التخلص من الفرنسيين ، القوة الاولى كانت تركيا التى فتحت مصر بحد السيف قبل ثلاث قرون وتسببت في تخلفها عن الركب العالمى وكانت ومازالت تنظر إلى مصر على أنها أحدى ولايات السلطنة العثمانية.

القوة الثانيه كانت أنجلترا وأطماعها في أحتلال المواقع الهامه على شواطئ البحر الابيض والبحر الاحمر ولاتعتبرنا سوى مستعمرة محتملة طول الوقت.

القوه الثالثة فكانت بالتأكيد المماليك الذين سبق لهم حكم مصر قبل الفتح العثمانى، ومازال لديهم قوه لايستهان بها حتى أبان الحكم العثمانى ولايوجد

obeikan.com

لديهم الحد الادنى من الولاء.
لم يكن المصريون من أحدى هذه القوى مع الاسف وكأن الامر لايعنيهم بل والاغرب أن هذه القوى الثلاث تجاهلت المصريين أنفسهم أصحاب الارض والحق وتنازعواعلى السلطة متجاهلين العامل القومى إلا رجلا واحدا ادرك مدى تأثير هذا العامل وهو قائد الكتيبة الالبانيه الذى تقرب إلى القوة الوطنية الشعبية.
فبعد جلاء الفرنسيين قام السلطان سليم التالت بتعيين والى جديد اسمه خورشيد الذى أحضر جيشا من تركيا وأرسله إلى سيناء حيث عاث فسادا وأستولى على الاموال والامتعه وأعتدى على الاعراض وتذمر الشعب وطالب الوالى خورشيد باشا بالسيطره على هذه القوات ولكنه فشل وهنا أشتعلت ثوره الشعب الذى تجاهله الجميع مطالبة بعزل خورشيد وكان البديل الوحيد والمرغوب به هو محمد على و الذى بدأ في جنى ثمار حسن تصرفه وكياسته فقد طالب زعماء الشعب بقيادة عمر مكرم (نقيب الاشراف) بتنصيب محمد على ليجلس محل خورشيد.
وامام حكم الامر الواقع أضطر السلطان سليم الثالث إلى عزل خورشيد بفرمان سلطانى وتولية محمد على مقامه في مصر وأصبح أسمه محمد على باشا.

سيناء دائما مطمع الخبثاء رغم انها صحراء جرداء.
والشعوب دائما هى الرهان الرابح ولكن من يفطن.

وأنطلق محمد على باشا ليصبح مؤسس مصر الحديثه وعزيز مصروقام بتثبيت دعائم حكمه بكل حرفيه وبخطوات واثقه قام بالتصدى للغزو البريطانى بقياة فريزر ثم بدأ بتدعيم حكمه و نفى معظم الزعماء الشعبيين وعلى رأسهم عمر مكرم بعد أن انتهت الحاجه اليهم ثم كانت الخطوه

الحاسمة بالتخلص من المماليك في مذبحه القلعة بعد أن دعاهم إلى حفل لتوديع أبنه الذى سيره على رأس جيش لمحاربة الوهابيين في الحجاز.
وفعل بمصر مالم يفعله أحد من قبل فقد قام بتنظيم الجيش وبناء السفن الحربية وتحسين الموانى وصناعه الاسلحه وترقية الزراعه والصناعه وانشاء مصانع لنسج القطن و الحرير
بنى السدود والقناطر الخيرية وارسل البعثات العلميه لاروبا وفتح السودان واخمد الوهابيين في الحجاز واخمد ثوره في اليونان وأستولى على سوريا واصبح على حدود الاناضول وهنا أرتعبت الدول الاروبية من طموحاته ووقفت صفا واحدا ضده وجردته من فتوحاته.
أذن يستطيع شخص واحد أنجاز الكثير لو أمتلك الذكاء والقوة والحنكة، ولكن هل لنا أن نفخر بمثل هذه الانجازات !
من وجهة نظرى لا أعتقد هذا لانه لم يكن أنجازا مصريا، ربما كنا خير أجناد الارض ولكننا كنا دائما في أحتياج لقيادة خارجية لهولاء الاجناد، ولكن من حقنا أن نتفائل بتكرار مثل هذا الازدهار بأيدى مصرية خالصه .
أمتد حكم أسره محمد على باشا الملقبه بالاسره العلوية لأكثر من ١٥٠ عاما مرت بأربع مراحل من نظام الحكم فبدأت بولايه عثمانيه حيث كان لقب الوالى هو باشا ثم المرحلة الثانية وهى الخديويه العثمانيه حيث تحول اللقب إلى الخديوى ثم إلى سلطنة مستقله وتحول اللقب إلى سلطان ثم أخيرا إلى مملكه وتحول اللقب بالطبع إلى ملك وقد عرفت مصر بانها أم الدنيا خلال هذه الفترة وأزدهرت كل أنواع العلوم والفنون والاداب وكانت أعظم ممالك الشرق.
في أثناء الولايه الخديوية لمع نجم الخديوي اسماعيل الذى كان يأمل لتحويل مصر إلى دوله اروبيه، ربما أهتم بالفخامه قليلا فعندما شيد مجلس النواب كان تحفه معماريه بقبته الشهيره كما تحسب له أنجازات قيمه وعديده منها على سبيل المثال لا الحصر قصر الجزيرة (فندق ماريوت حاليا) ،

الذى شيده ليستقبل فيه الضيوف البارزين الذين كان قد دعاهم إلى حضور احتفالات افتتاح قناة السويس ، لكن ربما كانت الضيفة التي حرص على أن يثير اعجابها هي الامبراطورة اوجيني التي اختارها كي تكون ضيفة شرف الاحتفال ، كما انه منحها شرف اعلان تدشين ذلك الحدث ، وفي سبيل ضمان راحة الامبراطورة الجميلة واثارة اعجابها ، امر الخديوي اسماعيل بتشييد قصرا منيفا وهو قصر الجزيرة.

تم بيع القصر بعد أن فقد الخديو أسماعيل عرشه ثم قسمت حدائقه إلى اقسام عدة منفصلة من بينها الحديقة الخديوية التي اصبحت نادي الجزيرة الرياضي وهي تشمل مضمار سباق الخيول وملعب البولو ، اما حديقة الاسماك الخديوية الواقعة على الجانب الغربي من القصر فقد تم تحويلها إلى حديقة اسماك ضخمة منفصلة ، وتم افتتاحها رسميا في العام ١٩٠٢ ، ومازالت قائمة حتى يومنا هذا تحت مسمى حديقة الاسماك .

عندما أنشئ نادى الجزيره سنه ١٨٨٢ كان أسمه نادى الخديو الرياضى، وأقيم به في نفس السنه أول سباق للخيول على غرار الانديه البريطانية العريقة.

وبلغت مساحته وقتها أكثر من ١٤٦ فدانا، تغير أسم النادى إلى أسم نادى الجزيره الرياضى نسبه إلى جزيره الزمالك ثم إلى نادى أمير الصعيد نسبة إلى الملك فاروق ولم يدم هذا الاسم اكثر من عام ليعود لقبه مره أخرى نادى الجزيره الرياضى .

وفى عام ١٩٥٦ وافق جمال عبد الناصر على تسليم مساحه من أرض النادى إلى المجلس الاعلى لرعاية الشباب فقد أستكثر عبد الناصر المساحه في هذا المكان المتميز كمان أنه كان يتقرب لفقراء هذا الشعب لتنخفض مساحه النادى وتصبح ٥٢ فدانا فقط (أى الثلث تقريبا).

وفى عهد الثوره أنضم مجلس قياده الثورة لعضوية النادى واطلق عليه عبد الناصر نادى أولاد الذوات، وفى فترة الانفتاح الاقتصادى سارع رجال الاعمال

للانضمام إلى زمرة أبناء الذوات حيث يختلف النادى عن الاهلى والزمالك بالهدوء والمناظر الطبيعيه بسبب أنه لايعتمد على كره القدم كنشاط أساسى مثل الانديه الاخرى.

عندما ألقى أوباما خطابه الشهير بجامعه القاهره أستقل الطائرة الهليوكوبتر ونزل بها في ملعب البولو في نادى الجزيره وتوجه منه إلى جامعة القاهره,كما يحرص بطل التنس العالمى السابق بورج على التواجد بالنادى كل فترة، وكذلك الامير وليم ولى عهد بريطانيا يمارس رياضه الكريكت هناك أحيانا، كما يحرص الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم على حضور سباقات الخيل هناك،

ولم يخلو النادى من بعض الاحداث الرومانسيه التى أنتهت نهايات سعيده مثل فاتن حمامه وعمر الشريف ومعظم مشاهير الفن والادب .

obeikan.com

ربما لايعلم أسماعيل باشا هذا التاريخ الحافل للنادى رغم أنه يرتاده بصفة شبه يوميه و يفضل الجلوس في منطقه التراس، حيث تتميز هذه المنطقه بثبات روادها وتستطيع أن تراهم يوميا حتى أنك تتعجب أذا كانوا موجودون بصوره مستمرة هكذا فمتى يمارسون شئون حياتهم وأعمالهم وزياراتهم العائليه وتشعر وكأن كل فرد منهم له نسختان نسخه قابعه في التراس تستمع بالهدوء والسكينه والصحبة والنسخه الاخرى خارج النادى تمارس حياتها الطبيعية بضغوطها ومشاكلها.

أسماعيل باشا يعد من أحدى هذه الشخصيات المستنسخه وغالبا محاط بزمرة من علية القوم,الجميع يطلق عليه لقب باشا وهو ليس بباشا ولكنه يتصف بكل صفات الباشا لو أفترضنا أن الباشوية لها صفات محددة ومعروفة، فقد كان يتسم بالوسامة بغض النظر عما يرتديه من ملابس وكماليات حيث كانت دائما ملابسه بسيطه ولكن كان له هيبه مع بعض الشعر الابيض يضفى عليه مزيدا من الابهة والوقار، كما أن أسلوبه في الحوار متميز وجذاب ومن أول وهلة تستشعر أنه من بيت كريم ذو أصول عريقه فمخارج الالفاظ والكلمات لايمكن تغييرها أو السيطره عليها مهما حاول محدثى النعمه والثراء ذلك، فهى تنقش في وجدان الإنسان نقشا مثل النحت في الحجروتظل ترافقه لتثبت حسن ونقاء أصله مهما دارت عليه الايام.

فمهما علا أنسانا من اصول وضيعة فلن يرتقى أسلوبه وأخراجه للكلمات إلا بنسبه ضئيله ومع مجهود عظيم.

أكتسب صفات الباشا من جده الذى كان باشا فعلا بل ومن المقربين إلى حاشية الملك ورغم تأميم معظم ثروتهم آبان حكم عبد الناصر إلا أن البقية الباقية منها لم تجعلهم من عامة الشعب بل ظلوا على ثرائهم يعيشون حياة كريمة حتى أن والده لم يفكر يوما أن يهجر المحروسه مثل كثيرين من أبناء طبقتهم .

رغم الثراء والهيبة في المظهر والارستقراطيه في السلوك إلا انهم جميعا

يتسمون بالتواضع الجم الذى توارثوه عبر الاجيال فهم لايستكبرون على ضعيف ولا يتعالون على فقير ولايستقوون على ذليل بل يتعاطفون مع من هم أقل منهم شأنا، من الممكن أن يكون هذا التواضع أحد أنواع جينات الخريطه الجينيه البشرية فقد لاتجده عند أنسان فقير مهمش رغم أنه في احوج الحاجه له وتجده عند ثريا مترفا.

غالبا الحديث يدور في أشياء يمكن أدراجها عند العامة تحت قائمة التفاهات فمنهم من يتحدث عن النظام والرقى في المانيا واخر يتحدث عن النظافه في النرويج وثالث يقص بحماس قصه فيلم سينمائي شاهده حديثا,والجميع ينتمون لطبقه واحده ومن يشذ عن هذه الطبقة قليلا يتجاوب معهم وبنفس الحماس مدعيا انه منهم ويهذب من شذوذه الطبقى حتى يكتمل انسجامه معهم.

حضر عبده الجرسون مسرعا وهو يتعثر في جلبابه الازرق الشهير الذى يرتديه جرسونات النادى القدامى مع ربطه عريضه بيضاء على البطن وكان ينادى على غير العادة (تليفون ياأسماعيل باشا -تليفون مهم من البيت) لم يكن شيئا معتادا ولذا قفز أسماعيل باشا مهرولا ليجيب الهاتف فنادرا مايتصل به أحدا من المنزل.

وضع سماعة الهاتف على أذنه فتغيرت ملامحه ووضع السماعه جانبا وأخذ يجرى في أتجاه السياره وقفز داخلها وماهى إلا فترة وجيزه وكان يدلف داخل بهو المنزل وهو أحد قصور مصر الجديدة العتيقه يحوطه حديقه مترامية الاطراف والمكان وأن كان قديما يدل على عز زائل مازال يتمسك بأصوله وكان السقف عاليا يضيف للمتحدث هيبة بسبب صدى الصوت .

كان على أبن الخامسه يجلس على حجر المربيه السمينه التى تعمل لديهم منذ سنوات وتعامل كأحد أفراد الاسره والاثنان يجهشان بالبكاء.

قصت المربيه ماحدث لعلى وكيف أنه كان يلعب وحيدا بالكره التى أندفعت إلى احد اطراف الحديقة حيث العشب غير مهذب وعالى وكان

يغطى فتحه البئر القديمة الغير مستعمل منذ زمن بعيد ووقع على في البئر ولكن السميع العليم كان كريما لطيفا به وأرسل رجلا أنقذه.
نظر أسماعيل لعلى معاتبا :- ليه بس كده ياعلى أنا حذرتك كتير.
-سامحنى يابابا، معلش الحشائش لم تقص من مده طويله وأحاطت البئر وكان كل همى الحصول على الكورة ولم ارى البئر.
-ومين الراجل اللى قفز ده ولحقك؟
أجابت المربيه بدون أستئذان :-ده محروس يابيه بواب الفيلا اللى جنبنا، راجل طيب وغلبان ده نط في البير بدون مايعرف يعوم أصلا وبقى ماسك على بأيد ومتعلق في بروز في الحيطة بأيده التانية وفضل ينادى لغاية ماأبنه سمعه ورمى له حبل طلع عليه وهو شايل على .
-كل ده وانتوا مش دريانين بحاجه يادادة .
نظرت المربيه في الارض بخجل وأجهشت في البكاء مرة خرى.

***

الفيلا المجاوره حديثة وحديقتها ليست كبيرة ولكنها منسقه جيدا وتمتلئ بأنواع مختلفة من الزهور حتى أن بعض الزهور الونها غير معتادة مثل الازرق وألاسود بالاضافه إلى الزهور التقليدية ولاتملك إلا أن تشعر بالبهجة والسرور عندما يقع نظرك عليها وعلى الجانب الايسر غرفة مضاءه، من الواضح أنها غرفة البواب وبمجرد أن تقترب منها تلاحظ البساطه وقلة الشيء في كل تفاصيلها من الباب إلى الحوائط إلى الاثاث المتهالك ولكنك تظل متمسكا ببعض التفاؤل الذى أكتسبته من رحيق الزهور والبهجه من التطلع إلى اللون الاخضر.
دلف أسماعيل باشا داخل الغرفة ووجد سريرا عليه أغطية مستهلكة وكنبه من النوع المسمى أسطانبولى على الجانب الاخر ومنضده أنتهى عمرها الافتراضى منذ ٢٠ سنه على الاقل .
يجلس الاب على السرير مرهقا وواضح انه مصاب بنزله برد من أثر الغوص

obeikandl.com

في ماء البئر والجو بارد
والابن في حدود السادسه مستلقى على الكنبة يتأمل سقف الغرفة بلاهدف.
هب الاثنان واقفان عند رؤيتهما الضيف المهم، ونظر الضيف بأمتنان لمحروس ووجه كلامه له :-
-أنت لاتعلم ماذا فعلت، أنك لم تنقذ أبنى لقد أنقذتنى أنا شخصيا فلو حدث مكروه له لم أكن لا اتحمل ساعة واحده على قيد الحياة.
-أنا لم افعل إلا ماشعرت أنه واجبى وبدون تفكير فهو تقريبا من عمر أبنى وهذا ماكنت سأفعله لو حدث مكروه لعمر لاقدر الله، لقد شعرت وكأنه أبنى تماما.
-تقوم تقفز هكذا في البئر وأنت لاتستطيع السباحة يامجنون (قالها ضاحكا ودس يده في جيب بنطلونه وأخرج رزمة ماليه محترمه ووضعها في جيب قميص محروس المهترئ بفعل تعداد مرات الغسيل في قطعة ملابس أنتهى عمرها التقديرى منذ زمن).
مد محروس يده بسرعة أخرج الرزمه وكأنها عدوى قد تصيبه بالضعف والتنازل عن مبادئه تحت وطأة الحاجة وأعادها لمانحها .
-أنا قلت لسيادتك أنى لم أفعل غير التصرف الطبيعى الذى قد يفعله غيرى لو وجد في نفس المكان.
نظر الرجل حوله وهو غير مقتنع بدفاع الحارس الشهم ولايستطيع المغادرة هكذا وكان ينظر في جميع الاتجاهات ليجد منفذا لمساعدة هذا النوع النادر المنقرض من الكائنات الحية.
ثم لمعت عيناه وكأنه وجد مخرجا لهذا الموقف النادر حيث يرفض أنسان يعيش في حالة من العوز والفقر المدقع مساعدة ماليه ويتصرف بكل نبل وتعفف.
-أسمع يامحروس (بلهجه آمرة وقد تحول للباشا مرة أخرى) أنت ترفض مجاملتى لك وأنا أيضا ارفض مجاملتك لى، أنت أعتبرت أبنى على مثل أبنك

عمر؟
-تمام ياباشا.
-وأنا حاعتبر أبنك مثل أبنى على، وبهذا يعم العدل ويكتمل الحق.
-أسمح لى بس ياباشا أنا مش فاهم حاجه!
-لقد أنقذت أبنى وكأنه أبنك وأنا سأقوم بتعليم أبنك وكأنه أبنى وهذا ليس منة منى ولكنها سنة وضعتها أنت بنفسك.
-أرجوك ياسعادة الباشا، أنا شاكر لك ولاتحرجنى أكثر من هذا,أحنا مالناش في التعليم.
-أنا أرجوك أن تقبل، الاتريد أن ترى عمر في وضع أفضل أنى أرى لمعان عينيه دلالة على ذكائه، أذا لم تقبل تكون قد ظلمت عمر وظلمتنى أنا أيضا.
-ماعاش اللى يظلم سعاتك ياباشا.
-لن أعيش مرتاحا إلا أذا قمت بعمل خير ردا لجميل الخالق الذى أرسلك لنجدة أبنى، إلا ترى يا محروس أننا جميعا أسباب يسببها الخالق في أوقات وظروف معينة.
أغرورقت عيون محروس بالدموع ووقف حائرا في وسط الغرفه لايدرى ماذا يفعل وكأنه يريد أن يحتضنه أحد، فهو على مدار حياته لم يحتضنه أحد حتى في أحلك الظروف فهذه الطبقه من البشر لم تعتاد على هذا النوع من المشاعر، ولكن قرأ اسماعيل باشا أفكاره واتجه أليه فاتحا ذراعيه وأحتضنه وبكيا سويا في لحظة ضعف أنسانى وهل يوجد أغلى من فلذات الاكباد لجعل المشاعر الدفينة تتدفق, فأحدهما يبكى سعيدا لنجاة أبنه والاخر يبكى وهو ملئ بالشجون في أنه قد يجعل ابنه في وضع أفضل وهو المسكين الذى لايملك من حطام الدنيا شيئا.

أنجبت حواء في البطن الاولى ولدا وبنتا وفى البطن التاليه ولدا وبنتا أيضا وكان يحل زواج الولد من البطن الاولى إلى البنت من البطن التاليه والعكس

صحيح.
وكان الولدان هما قابيل وهابيل وكان هابيل موفور الصحه والعقل ويتميز بالحكمه وطاعه الوالدين والرضا بنصيب ربه ولكن عندما هم هابيل بالزواج من توأم قابيل رفض قابيل ولم يرض بقسمته واراد التزوج من أخته من نفس البطن لانها أكثر جمالا من توأم هابيل .
ولحل هذه القضيه أمرهما أدم بتقديم قرابين لله وتقبل التحكيم.
وكان هابيل راعى غنم وقابيل يقوم بزراعه الارض، فقدم هابيل قربانا سمينا بينما قدم قابيل حزمة زرع من ردئ زرعه .
فتقبل الله قربان هابيل لنقاء سريرته ونظر اليه بينما لم يتقبل قربان قابيل.
غضب قابيل أشد الغضب وهدد هابيل بالقتل الذى كان متسامحا وقال له أنى اخاف الله ولن أحاول اذيتك,أنصرف قابيل وقلبه مفعم بالحقد والكراهية.
و قتل قابيل أخاه وهو نائم,وكانت أول جريمة قتل على وجه الارض.
وتركه وجلس يشاهده ممددا على الارض يتعفن أمامه و لا يعرف ماذا يفعل به.
فيأتى غرابان يقتتلان أمامه فيموت أحدهما، فبدأ الغراب الحى في حفر الارض ليضع فيها خليله برفق ويهيل عليه التراب ثم يطير وهو يصرخ حزنا وندما.
شعر قابيل بالضآله وحزن وشعر أن الغراب أفضل منه وتمكنت منه الحسرة وحفر لاخيه ودفنه .
الظلام يخيم والجو بارد وحزمه كبيره من الخشب المحترق تطلق دفئا وشعله تخترق الظلمات, عبد الودود يدخن الجوزه وحيدا يسرح ويتأمل في هذه القصه فهو مقتنع أن انهاء حياه البشر تمثل حلولا لمشاكل مختلفه ولم لا وقد قتل قابيل أخاه الطيب ومع هذا مازالت العائلات تسمى أبناؤها بأسم قابيل وهناك عائلات كثر تنتمى إلى جد أسمه قابيل ولم نجد أبا واحدا يسمى

أبنه هابيل ولا جدا من قديم الازل أسمه هابيل,كما أن البشر يتعاملون مع الغراب على أنه طائر كئيب رغم الهامه لقابيل وهو الطائر الاجتماعى الوحيد الذى يحرص على رعايه الصغار اليتيمه والمعاقه جسديا وهو الذى جعل قابيل يندم على فعلته ويتعلم كيف يدفن أخاه بعد أن تغيرت رائحته، وعكفت عليه الطير والسباع تنتظر حتى يرمي به فتأكله.
أذن فالبشر لايمقتون الظلم ولايشمئزون منه بل أنهم يحترمونه والامثله الشعبيه على غرار (من بات مظلوما أفضل من من بات ظالما) كلها أمثله للاستهلاك ولكنها ليست مقنعه للبشر فعليا ربما يستحضرها من يشعر بقلة الحيلة ولكنه عندما يتمكن في الارض فأنه يضرب بها عرض الحائط ولايتذكرها.

القصه برمتها تناسب أسلوب حياته إلا الجزء الاخير المرتبط بالندم والحسره فهو لايشعر بالذنب أبدا ولايتحرك ضميره ولم يندم قط على جريمه فعلها، فهذا هو عمله الذى يمتهنه ويجيده.

الوقت تعدى الثانيه عشر بعد منتصف الليل والظلام يغلف المكان من كل جانب إلا من النيران التى أشعلها عبد الودود للاناره والتدفئه وجلس كالعاده وحيدا يدخن الجوزة التى يأتنس بها ويشعر وكأنه يتسامر مع صديق، نادرا مايسمح لاحد بالجلوس معه فهذا النوع من البشر خلق ليعيش وحيدا بأعصاب باردة ودم بارد ولا يعلم ولايدرك متى عليه أن يضحك ويبتسم ومتى يجب أن يبكى، المشاعر متجمدة لامعنى للسعاده ولامعنى للحزن لايتأثر ببكاء طفل ولا بموت رجل، أنه يعيش في حالة من إلا شيء ويعتقد بهذا أنه أدرك كنية الحياة فهى لاشئ، الانسان سيموت يوما ما لماذا أذن لايموت الان أو غدا ويعتقد أن دوره ينحصر في أعاده جدولة التوقيتات فقط، تقديم بعض المواعيد ثم أحيانا يضطر إلى تأجيلها مرة أخرى وعندها

يعتقد أن مصائر هؤلاء البشر في يده فهو قد ينتوى أنهاء حياة أحدهم الليله ثم يتم التأجيل اسبوعا فيعتقد أنه وهب هذا المسكين عدة أيام يظل فيها حيا بأذنه ليترزق ويستمتع بأولاده، وربما هذا الشيء الوحيد في حياته الذى يشعره بوجوده وأهميته,ولماذا لايكون قاتلا أجيرا فالقتل شيمة البشر من بدء الخليقه ألم يصبغ عليه هيبه وغموض يجعل الجميع يرتعد من ذكر أسمه ألم يقربه من كبار البلد وجعلهم يسعون في ركابه لحل مشاكلهم، ألم يقتل الخليفه المأمون أخاه الامين وتولى الخلافه ولم ينتقده ألتاريخ.

عبد الودود يتكسب رزقه من قتل الاشخاص الغير مرغوب فيهم من طرف كبرات البلد وأحيانا من أعيان قرى أخرى قريبه فقد ذاع صيته عن أتقانه لعمله وحسن أدائه للجريمه الكاملة وعدم ترك أى خيوط يستدل بها عنه . فهو لايقتل إلا لمصلحه كبار الاعيان ذوى الحيثيه والاطيان ولايبذل جهدا لاراحة ضميره وأقناع نفسه بأن الشخص المرغوب تصفيته يستحق القتل حقا أو أنه شخص سئ والتخلص منه أفضل من وجوده حيا ولكن هو ينفذ فقط بدون أسئله فمشاعره غير متواجدة أصلا مثل السياره التى تخرج من المصنع بدون بعض الكماليات لتخفيض تكلفتها فهو لايمتلك الحد الادنى من المشاعرالانسانية أو الضمير ولكنه كائن متبلد متجرد من كل مايمت للادميه بصلة ويتقاضى الكثير نظيرالاتقان والكتمان.

بينما هو مستمتع بالهدوء الذى لايعكر صفوه إلا نقيق الضفادع وأصوات مايسمى صرصور الليل جاء الغفير حمودة مسرعا وقفز جالسا بجواره يستريح وأمسك بالجوزه وجذب نفسين عميقين ثم نظر له وقال:- فؤاد بيه عايزك ضرورى.

-طب نشرب الشاى ونروح له سوا.

-ماشى الكلام (قالها وهو يشد من الجوزه فهو يعرف أن عبد الودود لايستخدم إلا أجود أنواع الحشيش).

كان فؤاد بيه يجلس مرتديا جلبابا رمادى اللون تعلوه عباءه داكنه تكسبه

تأنقا وعز ومن الواضح أن الاقمشه من أغلى الانواع واجودها وتحيط به كل مظاهر الثراء رغم فقر القريه التابعه لمركز القوصيه بصعيد مصر, و كان يدخن الشيشه واضعا ساقا فوق ساق.

عبد الودود :- تحت أمرك ياسعادة البيه.

فؤاد بيه :- محتاجك في شغلانه بسيطه كده,بس محتاجين نغير نظام الشغل.

-اللى تأمر بيه ياسعادة البيه.

-بعد كده حانخلى كل شغلنا بره البلد علشان نبعد تماما عن أى شبهه، أنت عارف أنا نازل أنتخابات المجلس ومش عايز أى حد يمسك حاجه عليا.

-مش فاهم سعادتك!

-يعنى خلصنى من الحاج على مسعود لانه نازل الانتخابات ادامى، بس بشرط العمليه تكون بره البلد خالص .

-زى ماتشوف سعادتك.

أخرج من جيب الجلباب رزمه كبيره من الاوراق النقديه وألقاها بحرفية لعبد الودود .

تلقفها عبد الودود بنفس درجة الحرفية.

-أمسك دول وأنا حابعتلك في الوقت المناسب.

- خيرك مغرقنا يابيه.

-ماتقولش كده ياعبد الودود أنت راجل محترم وعارف شغلك ولكل مجتهد نصيب وتستاهل كل خير، وليك أدهم تانى بعد العملية.

***

ولجت الام المنزل وخلعت نقابها حيث ظهر خلفه وجه جاد متجهم ربما لم يبتسم منذ سنوات مضت واخرجت من بين طيات ملابسها شريطا للفيديو وأسرعت تجاه الجهاز وكبست زر التشغيل وادخلت الشريط في الفتحه المخصصه بعنف واذا بفيلم مصور في أفاغنستان وكان وقتها أحتلال الاتحاد السوفيتى لكابول ويظهر في الفيلم عدد كبير من القتلى مما يطلق عليهم

obeikan.com

المجاهدين وقد قتلهم الغزاة في معارك غير متكافئة والخلفيه تلاوة قرأنيه غير معتاده وأناشيد دينيه و كأنها قادمه من زمن بعيد وتختلف عما تعودنا عليه من مشايخنا المعروفين ثم تنادى على أبناؤها قابيل قى التاسعه من عمره ومصطفى في السادسة من عمره وتأمرهم بمتابعه الفيلم حتى يروا ماذا يفعل الكفار بأخوانهم المسلمين في أفاغنستان ويقف الطفلان مشدوهان يتأملان الجثث ويسمعان الخلفيه وتتركز الصوره في ذهنيهما مرتبطه بالصوت ويتم تكرار عرض الشريط يوميا أعتقادا منها بأنها تعمل لخير دينها وغرس الكراهيه تجاه الكفار وأعداء الدين في قلب أبنائها حتى يتسنى لهم التعرف على أعدائهم مهما طال بهم العمر.

أستطاعت الولايات المتحده بما لها من قوة تأثير في المنطقه العربيه والاسلاميه من رفع الوازع الدينى لدى المتشددين ودغدغة مشاعر المسلمين تجاه الغزو الشيوعى وأستغلال نعرات الجهاد وفتح كل ملفات المخابرات الامريكيه المهتمه بالعالم الاسلامى عموما والعربى خصوصا ودفع المسلمين لمحاربه الروس بالوكاله عن الولايات المتحده التى تخشى البطش الروسى، ربما تكون أمريكا اقوى من الاتحاد السوفيتى عتادا وسلاحا وتدريبا وتنظيما ولكن الروس يمتلكون الجراءة والبطش وقوة التحمل و الجلد السميك، لذا دائما لاتدخل أمريكا مع روسيا في صدام مباشر بل تخطط في الخفاء بخبث وتستغل كل ماتستطيع من أمكانيات لتفكيكهم وأذيتهم بدون مواجهه حقيقة، ومخابراتهم تعلم تماما كيف تحرك المسلمين السذج الباحثين عن صراع يطلقون عليه جهاد ليقربهم من النعيم ويبعدهم عن العذاب ودائما المسلمون مطمع للاخرين لانهم لايتعلمون من تاريخهم تراهم يكررون الحديث الشريف (لايلدغ مؤمن من جحر مرتين)وهم يلدغون من نفس الجحر مرارا وتكرارا واحيانا بصفه يوميه حتى أعتادوا اللدغ من الغرب والشرق, متوسطين موقعهم بينهم وذهبت ريحهم وأصبحوا امة تدرس عن كيف يكون الاضمحلال وضيق الافق وكيف تنهار الامم وكيف تحول

الاختلاف من رحمه إلى نقمه وعصبيه وعنف.
تمر السنون وتطفو على السطح مأساة التطهير العرقى في يوغوسلافيا ويقتل الصرب البوسنين ويسمع المصريون لاول مره عن مكان أسمه البوسنه والهرسك ويكون القتل في هذه الحاله أعنف ومصحوبا بتشويه الجثث والتنكيل وأغتصاب النساء وتنتشر المواد الاعلاميه والشرائط وتستطيع الام بعلاقاتها بالاخوات المؤمنات الحصول على بعض الشرائط وتذهب مسرعه يملؤها الحماس ولاتستطيع الانتظار حتى تعرض على أبنائها شرائط أعداء الله وتعيد على أذانهم ماذا يفعل أعداء الاسلام بالمسلمين وماتلبث أن تكرر على آذانهم اذا لم ننتبه فأنهم قادمون ألينا لامحالة وقد أصبح قابيل في الثانيه عشرة ونما ادراكه وكون شخصيته وبدأ يشعر بكرامته تداس تحت أقذر الاقدام، عندما ترى أنسانا أو حيوانا يتأذى فأنك تتعاطف وتتحرك مشاعرك وتحزن ولكن عندما يصبح رؤيه الجثث المشوهه عادة يوميه فأنك تتحول إلى مسخ شبيه بجثه متحركة بلامشاعر وتصاب بالجمود. .
أصبح المنزل كئيبا بلا أى روح دعابة أو حب للحياة، كيف نسعد ونحب وأخواننا يموتون ويفتنون في دينهم، يمنع تماما مشاهدة التلفاز ومايحتويه من مواد لافائده منها سوى مضيعة الوقت وتشتيت التركيز عن العبادات ولكن يسمح فقط للمواد الاعلاميه الاسلاميه ومتابعه مايفعله أعداء الدين بالمسلمين المساكين.
لم يتوقف أحد منهم ليسأل نفسه أين كانت البوسنه والهرسك والشيشان وأفاغنستان وبورما وغيرهم عندما كنا نحارب في ٥٦ و٦٧ و٧٣ ألم نكن وقتها مسلمون ندافع عن أرضنا ودیننا وثقافاتنا,لماذا لم يهب مجاهديهم لمناصرتنا في حروبنا، لماذا كانت وقتها سراييفو عاصمة البوسنه تنظم بطولات دورة الالعاب الاوليمبيه الشتويه والبنات تتراقص في الحفله الافتتاحيه بملابس اروبية تشبه لباس السباحة ونحن نحارب الفقر والتأمر علينا حتى من أقرب الاشقاء.

هل كتب علينا أن نعيش ضراء الأخرين ولا نعيش سرائهم.

***

عشة عبد الودود في مكان منعزل تحوطه الحشرات والثعابين ولكنه لايآبه بها ويجيد التعامل معها,ولا يخاف أيضا من الجن والعفاريت رغم تعدد القصص والحواديت عن وجودها في الخلاء، فهو يعرف تماما أن أخطر المخلوقات هو الإنسان فهو يقتل ويخطف ويغتصب ولكن لم نسمع أن جان خطف أو احتجز أو قتل أو حتى تحرش لذا لما الخوف الغير مسبب.

كان نائما بعمق عندما أتى حمودة وأخذ يهزه بعنف :-

-قوم بسرعه البيه عايزك.

-الصباح رباح بقى ياحمودة.ولطشه قفا طرقع محدثا صدى صوت في سكون الليل.

لم يأبه حمودة بالقفا.

-نعم ياخويا!أنت عايزنى أقول للبيه كده، ده كان يعملنى عبرة للناس كلها.

-مانا كمان ممكن أعملك عبرة! ولطشه قفا أخر.

-لا أنت غلبان زيى وحاسس بحالى (قالها بأستعطاف ولين).

-طب أتنيل اعملى شاى عشان أفوق.

غسل عبد الودود وجهه وحمودة يصب له الماء من أناء نحاسى ثم جلسا يحتسيان الشاى بالنعناع.

حمودة وهو يرتشف الشاى :-

-إلا في سؤال كده ياسى عبد الودود.

-قول ياخويا ماهى ناقصاك.

-بينى وبينك كده هو بعد ماتخلص على واحد من أياهم مش بتحس بتأنيب ضمير.

بدون أهتمام :- لا مش بحس.

obeikan.com

يتظاهر حمودة بالتأمل ثم يعاوده ثانيه :-
-بس أزاى دى روح برضه ياسى عبد الودود ويمكن عنده عيال ولازوجه وممكن عنده أب ولا أم بيراعيهم وياخد بخاطرهم.
-تسمع ياد ياحموده عن بلاد أسمها الشيشان وشيلى !
-أسمع طشاش كده.
-أهو كل يوم بيموت الاف منهم مقتولين هناك أشى بالرصاص وأشى بالشنق وأشى بالدبح، مش بتحزن عشانهم.
-بس دول بعيد أوى ياسى عبد الودود، حاحزن عليهم أزاى بس.
-يعنى هما عشان بعيد مايبقوش بشر وعندهم ولاد وأهل.
-يبقوا بشر برضه.
-طب عمرك سمعت عن بلد أسمها رواندا؟
-أيوه بسمع عنها في ماتشات الكوره بتاعه المنتخب بس.
-دول بقى كان بيقتلوا بعض بالملايين ويرموا الجثث في النيل كمان.
-يالهوى أيه الشر ده.
-طب أنت بقى يابن المركوب سايب الناس دى كلها ومكبر دماغك عنهم وضميرك تاعبك عالنفر اللى أنا خلصت عليه بس.

ياراجل بطل هبل,ده أنا جنبهم ملاك عالاقل ده شغلى وأكل عيشى وأنا كمان بعملها خدمة لكبرات البلد أنما هما بيقتلوا بعض بدون سبب واضح.
-تصور عندك حق ياسى عبد الودود، قوم بقى لحسن أتاخرنا عالراجل ماتجبليش الكلام.

***

فؤاد بيه:-أزيك ياعبد الودود.
-تمام ياسعادة البيه عايشين بخيرك.
-فرجت ياعم وجالك الفرج,الحاج على رايح قنا عند أخته كام يوم هو وعيلته كلها عايزك تخلص الموضوع ده هناك وترجع خفيف خفيف.

obeikan.com

-بس عايز تصويره له والعلوان مزبوط وأعتبر الموضوع تم يابيه.

***

يصل القطار محطه قنا وقت العصرويبطئ من حركته حتى يتوقف تماما ويترجل عبد الودود كأنه قادم إلى زياره عائليه عادية ويذهب إلى أحد المقاهى ويلتهم بعض ساندويتشات الفول والطعميه ويشرب شايا وقهوه عدة مرات حتى يكسب الرحله بعض التسليه التى تخفف من التوتر وهو دائم النظر حوله ويدقق في المداخل والمخارج والمسافات وينتظر حتى ينتصف الليل ويتجه إلى العنوان، الناس تنام مبكرا في هذا المكان وتصحو مبكرا ومعظم المنازل مظلمه إلا من ضوء خافت، يلتف حول المنزل ليجد نقطة ضعف يستطيع الولوج منها وفعلا يجد ضالته ويدخل من السطح ليجد الجميع نياما يبحث في الغرف فيجد أطفالا ونساءا نياما حتى يجد رجلا يشبه الصوره فيكتم أنفاسه ويذبحه بلا رحمه وعند نزوله الدرج ليخرج من الباب الرئيسى يجد رجلا واقفا وقد أفاق على الاصوات المكتومة الغريبه والرجل أيضا يشبه الصورة إلى حد كبير فالصور لاتظهر الشكل تماما كما وان المكان مظلم فلايجد مفرا من أخراج البندقيه الاليه المربوطه بجانبه ويرشقه بعدة طلقات يصحو بعض من أهل البيت على الضجيج فكل من يظهر يقتله سواء أطفال أو نساء ويغادر مسرعا وقد عرف أن هناك قطارا للصحافه يغادر الساعه الثالثه صباحاوكان من سابق تفحصه للمكان قد حدد أقصر الطرق إلى محطه القطار وفعلا تمكن من اللحاق به وجلس في مقعده في أستراحة محارب وقد شعر بالانتصار وتحقيق مآربه.

وبعد يومين ارسل فؤاد بيه في طلبه فهذا كان نظام العمل المتبع بعد أى عمليه لايذهب إلى العميل من تلقاء نفسه بل ينتظر المرسال.

فؤاد بيه :- يخرب بيتك ياعبد الودود ابعتك تخلصنى من واحد تقتل سبعه!

-التصويره سعادتك ماكنتش كافيه، الراجل قريبه كان موجود ويشبهه إلى حد كبير.

-أنت مفترى وعامل زى القضا المستعجل بس عفارم عليك رغم أن الخساير كتير بس ماسبتش أى خيط يدل عليك.
والقى له بلفافه تحتوى على رزم من المال، تلقفها بحركه روتينية ووضعها في جيب جلبابه .
-خيرك سابق يابيه .
-دول فيهم زيادة عن الاتفاق, أنت جدع ومركز في شغلك كويس وتستاهل كل خير .
ثم بدأ يشد من الشيشة معلنا أنتهاء المقابله والتى فهمها عبد الودود وأنصرف.
في اليوم التالى ينطلق إلى منفلوط حيث تعيش زوجه أخيه المتوفى والتى يخبئ لديها امواله في صندوق أثرى قديم ولكنه بحاله جيدة و مغلق بقفل عتيد وهى لاتعرف مابداخله وليس لديها أى فضول لتعرف، فهى أمراه منهكه تربى ثلاثه من الابناء تركهم زوجها الذى كان عاملا بسيطا يكسب رزقه باليوميه ومات بعد صراع قصير مع المرض وتركها تصارع وحيدة أمواج الحياة المتلاطمه وأضطرت لامتهان كل المهن الشريفه ولكن البسيطه منها مثل تنظيف المنازل والحياكه وصناعه المخللات فهى لاتدخل بيتها مالا حراما وتعرف قيمة التعليم وتعلم أولادها في مراحل التعليم المختلفه رغم ضيق ذات اليد,كان عبد الودود في نهاية كل زيارة سريعه يترك لها مبلغا رمزيا من المال، تأخذه بخجل بأعتباره في مقام والد أبنائها وهى لاتعرف ماذا يعمل وكيف يعيش ولا تتدخل وهو لايفصح وتستمر العلاقه السطحيه على هذا الحال، يصافح الابناء ويربت على كتفهم وينفرد بصندوقه ويضع به ماتكسبه ويترك لنفسه مبلغا محددا يكفيه فتره محددة حتى يشرع في تنفيذ عملية أخرى ثم يقبل الابناء بلا أى عاطفه ويعاود الرجوع من منفلوط إلى القوصية.
ويقوم كل فترة بأنجاز أحد المهام الموكلة أليه من ذوى المناصب والاعيان

وفى سريه تامة, منها مايكون في المنيا أو سوهاج وأحيانا في القوصية نفسها، وينطلق كالمعتاد إلى منفلوط لأيداع الاموال ولم يخطر على باله أن يسأل هذه المرأه أذا كانت في أحتياج إلى مال وهو يرى ثلاثه أبناء يتعلمون ويعلم أنها بلا سند أو نصير ولكنه يترك المبلغ الذى حدده مسبقا في مخيلته ولايزيد مليما .

ويأتى يوم مشهود يرسل فؤاد بيه في طلبه .

فؤاد بيه :- المرة دى الشغلانه كبيرة أوى ياعبد الودود ومعرفش أنت أدها ولا لأ؟

-ليه بس كده ياسعادة البيه هو أنا عمرى قصرت مع سعادتك.

-أنت عارف مبدأى، أى شغلانه بحب أنها تكون بره القوصية خالص عشان تبقى الشغلانه نضيفه.

-وأنا تحت أمرك.

-أنت عارف الحاج شعبان أبو العلا.

-طبعا يابيه وهو في حد مايعرفوش، عضو في المجلس ومن أعيان الصعيد وولاده ظباط ومستشارين، بس ده مش بيمشى إلا والحراسة حواليه من كل ناحية.

-مشاكله معايا كتير وماسك عليا حاجات كتير مش لازم تعرفها بس مافيش حل غير إنى أخلص منه .

- ده الوصول للريس نفسه أسهل من الوصول له وسعادتك عارف, ده بيته محصن ياسعادة البيه والسلاح عندهم مرطرط اكتر من العصى.

-بس كل عقدة ولها حلال، أنا متابع كل تحركاته ولقيت فرصه العمر للخلاص منه,هو طالع حج السنه,أنت حجيت قبل كده.

-لا ياسعاده البيه .

-خلاص جهز جواز سفرك بسرعه وأنا حاحجزلك في الحج السريع .

-مش فاهم يابيه ألله يخليك نورنى.

obeikan.com

-حاتخلص منه هناك.
-في الحج؟؟؟؟
-أيه حاتنخ ولا ايه، وأنا اللى فاكر أن قلبك حديد .
عبد الودود وقف مهزوزا مندهشا.
-خلاص ياعبد الودود، أنسى الموضوع ده خالص أنا كنت مجهزلك مليون جنيه وعندى ألف واحد يتمنى بس أنا عملت حساب العشرة.
-أصبر بس يابيه عليا، هو أنا قلت حاجه بس دى عمليه من نوع جديد.
-أنا أقدر أتصرف بس أنا مستخسر المليون جنيه، أنت أولى بيهم، حرام واحد مجتهد زيك مياخدش عمليه زى دى..
-طب ممكن سعادتك تدينى بس فرصه أخد وأدى مع نفسى !
-ماشى ياعبد الودود معاك لبكره الصبح وبس, فاهمنى، الصبح وبس.
جلس عبد الودود أمام العشه يتشاور مع صديقه الوحيد (الجوزه), فهو معجب بسنيه الدلاله وهى امرأة وحيده مثله ومازالت تمتلك كل مقومات وتضاريس الانوثه وهو يعيش حياه جافه رغم أنه يمتلك الكثير من المال في الصندوق المغلق ويحتاج أن يمارس حياته الطبيعيه ويستمتع بماله .
ولما لا ينهى هذه العمليه وتكون هى الختام ويتزوج سنيه ويفتح بقاله في البلد مستغلا خبرة سنيه في الدلاله وينسى حياة الليل والوحدة.
وأستقر تفكيره على التالى، ينجز هذه العمليه ويستكمل حجه و ربما يغفر له الغفور الرحيم ويعود حاملا لقب الحاج عبد الودود ويتزوج سنيه ويمتلك محلا خاص به ويكون أسمه بقالة الحاج عبد الودود لا ستكون سوبر ماركو عبد الودود، وقد يرزقه الله بالذريه ويعيش حياه هادئه خاليه من القلق والعزله.
صحا مبكرا من نومه وسعيدا بقراره وذهب إلى منزل فؤاد بيه وأبلغه بالموافقه وتسلم العربون المحترم وشرع في اجراءات أستخراج جواز السفر ودفع رسوم الحج السريع الباهظه وكانت على حساب فؤاد بيه وخارج

المقاوله والحصول على التأشيرة وعندما أنتهى تماما ذهب مسرعا لابلاغ التمام والاستعداد لاتمام المهمه وأنطلق بعدها إلى سنيه التى كانت تحلم كل يوم برجلا قويا مقتدرا ينتشلها من وحدتها وطمع الحثاله فيها وكانت تظن أنه حلم بعيد المنال، كانت تشعر باهتمام عبد الودود بها أحيانا ولكن كان لديها رهبه وتوجس منه مما يصل إلى سمعها عن أجرامه وبطشه.

كانت تجلس على الرصيف و أمامها بعض البقاله مثل زجاجات الزيت المدعومه من التموين وأكياس السكر والارز والصابون .

عبد الودود :-أزيك يابت ياسنيه.

-بت أما تبتك، أزيك أنت يامعلم عبد الودود.

-مش حاتباركيلى صحيح.

-على أيه ؟كسبت خط موبايل ولا عجله من الشيبسى.

-لا طالع الحج أن شاء الله.

-يالهوى حج مره واحده، طب ده انت راجل طيب بقى.

-أمال أنتى فاكره أيه يابت.

-منهم لله اللى بيفتروا عليك.

-أنا ناوي بعد مارجع نتجوز ونلم شملنا وأحنا الاتنين غلابه زى بعض.

-أنت غلبان أنت، ده البلد كلها بتترعب منك.

-الصيت ده نعمه من عند ربنا، الواحد يبقى غلبان ومنكسر والناس فاهمه أنه ياما هنا ياما هناك.

-يعنى كل الكلام ده صيت بس.

-طبعا اهل البلد دول فقر وغيرانين من شغلى مع كبرات البلد وعلاقاتى بيهم.

-ربنا يزيدك يامعلم.

-طب شوفى من دلوقتى سيبك من النصبه بتاعتك دى ودورى على محل ينفع بقال وأول مارجع وأفوق كده نتجوز ونفتح بقالة لا قصدى سوبر ماركو وتبقى أنتى المديره ونجيبلك عيلين يساعدوكى وتقعدى وتبقى هانم.

obeikan.com

بس أبدأى دورى بتركيز.
-معقول الكلام ده ، سوبر ماركو حتة واحده,الله يكرمك براحه عليا أنا مش أد الاحلام دى.
-جربى وأحلمى وشوفينى وأنا بحققلك احلامك.

***

عندما أصبح قابيل مراهقا بدأ يشعر بالمشاعر الطبيعيه لمن هم في مثل سنه ولكن دائما تلاحقه النفس اللوامه التى تجلد الذات بل واللذه في تعذيب الذات التى زرعتها الام وهى تنقش في الحجر بكل أصرار وتفانى.
فهو قد يشارك أقرانه في مايجذب الشباب ولكن بدون متعه ولا يشعر أنه منهم فدائما يشعر أنه زائر إلى هذه الارض، لم يخلق ليعمر ويكون له أحلامه وسقطاته وصعوده وأنما دائما كانت ترن في أذنه أقوال قلما قيلت في التاريخ الاسلامى مثل (نحن نحب الموت كما تحبون الحياة ونحن قوم نحب الموت كما تعشقون أنتم شرب الخمر) وأصبح الموت غاية وتناسى أن الله سخر لنا البحار والانهار والشمس والقمر لنعمر الارض وتناسى الفارق أنها أقوال كانت تقال إلى المعتدين المشركين ولكن الامر يمكن تأويله وتعديله والاجتهاد فيه من قبل الخبثاء من لديهم الملكة في توجيه المسلوبين وسهلى الانقياد.
المسلمون غفلوا عن الآيات التى تحثنا على عمارة الارض تناسوا قوله تعالى (هو أنشأكم من الارض وأستعمركم فيها) أى مكنكم منها واستوطنكم فيها كما قال تعالى(لقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ماتشكرون)، وخاصة في هذه العصور المتأخرة، ما عاد المسلم ملتفتاً ولا مهتما بعمارة الأرض، وكأنها أصبحت مهمة الأمم الأخرى، والأقوام الغير مسلمة، وإما هو فكأن الله خلقه في هذه الأرض ليكون مجرد تابعا وقد أستراح لقوله تعالى (وماخلقنا الجن والانس إلا ليعبدون) وأصبحت هذه حجته وبرهانه وكانت المحصله انه لا يؤدي طقوسا عبادية صحيحه ولا يساعد في تقدم البشريه وقد يموت بدون التحقق من صحة قضيته,حتى

أن أحد المشائخ تبجح وأفتى: «إن الله سبحانه وتعالى سخر للمسلمين أمما أخرى، حتى يكتشفوا ويخترعوا، والمسلمون يستفيدون من ذلك ليتفرغوا لعبادة ربهم»، هكذا يتصور البعض أن الله خلقنا حتى نتعبد فقط، والأمم الأخرى خلقها الله حتى تعمر الأرض من اجلنا وتتقن عملها وتغزو الفضاء وتخترق اليابسه بحثا عن الثروات وقد تعمق هذا الاحساس بعد طفرة البترول وتضخم ثروات بعض الدويلات العربيه التى كانت تعامل على أنها شركات بترول تستقدم العمالة من كل أنحاء الارض لتكد وتجتهد لتحول أسواء مناطق العالم قحاله ومناخا إلى حدائق غناء ومنتزهات وناطحات سحاب زجاجيه يستورد ملاكها ماينتجه الاخرون بدون الشعور بأى غضاضه، فقد سخر الله لهم الاخرون حسب مايعتقدون.

وأصبح الحديث الشريف (أن الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه) لاينطبق علينا فكيف نتقن عملا لم نقم به من الاساس نحن نهتم بالشكل الدينى الخارجى فقط.

أذا أهتممت بالمظهر الخارجى وغلفته بالدين وأهملت عملك، صغر دينك في أعين الناس وأذا صغر دينك في أعينهم أبتعد الناس عنك وعنه واذا أتقنت عملك أحترمك الناس وأقبلوا على دينك وربما فسروا أتقان عملك بسبب دينك، فليعرف القاصى والدانى أن دينك في أتقانك.

أصبح التخريب وسيله للتفاخر، أصبح القتل والذبح وتدمير المنشأت في بلاد أنهكها الزمن مدعاة للسعادة والتباهى، فبعد كل عمليه أرهابيه يفترض أن يتنصل منها أى أنسان سوى يمتلك الحد الادنى من الانسانيه نجد الجماعات المتأسلمة تسارع لاستغلال الحدث واعلان مسئوليتها ونسب العمليه لرجالها الابطال الاشاوس الذين وأن صدقوا يكونون قد قتلوا أناسا لايعرفونهم ولم يروهم حتى من قبل وربما يكونون على نفس الانتماء الدينى أو الثقافى أو الجغرافى ولكن لايهم، المهم مداعبة الاعلام وسيلتهم الاساسية لاختلاق الضجه والشهره ونشر الرعب,

(قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) هل من يفهم؟

كان قابيل جالسا مع (سعد) أحد أصدقاؤه القليلين داخل أحد المقاهى وقت إذاعه أحد العمليات التدميريه وكان هدفها تخريب محطة أستقبال ارسال الاقمار الصناعيه بمنطقه المعادى الهادئه وقد نسبت أحدى الجماعات البائسه لنفسها هذا الانجاز وكان الارهابيون في لقطه الفيديو يهتفون الله اكبر وخلفيه صوتيه تردد نشيد دينى يشعرك وكأنه قادم من منطقه مهجوره في غياهب العقل الانسانى عندما يصيبه المرض والهوس، تحركت مشاعر قابيل فهو شبيه بالنشيد الدينى الذى كان يسمعه صغيرا وقت أزمة البوسنه والشيشان ويسرح بتفكيره بأن عليه الانضمام لهؤلاء الابطال المغاوير ويخاطب صديقه بأمنيته للانضمام لاحد هذه الجماعات مثل أنصار الخلافه وجند الخلافه وأجناد الخلافه، يندهش صديقه من شذوذ تفكيره :-

-عن أى خلافه تتحدث ؟

-أنت مجنون أزاى تتحدث كده عن الخلافه !

-يابنى الخلافه ليست شيء متجمد مصمت وأنما نظام متغير ولو درست التاريخ الاسلامى جيدا سترى أن أختيار كل خليفه كان مختلفا عن ما سبقه.

-أنت أزاى تتجرأ وتتكلم كده عن الخلافه.

-طب بس خليك معايا، بيعة المسلمين لسيدنا أبو بكر الصديق كانت بسبب طلب سيدنا محمد منه بأمامه المسلمين بسبب أشتداد مرضه وهذا ماأعتبره الناس أشاره لاختياره خليفه بعد وفاة الرسول ثم تم تعيين عمر بن الخطاب عن طريق وصية مباشره من أبوبكر الصديق وبعد محاولة أغتيال عمر بن الخطاب وشعوره بدنو أجله قام بتأسيس مجلسا مكونا من ستة أشخاص مرضى عليهم من قبل الرسول على أن يتم أختيار أحدهم بالشورى ومن الممكن أعتبارها أول انتخابات في التاريخ وتم عن طريقها أختيار وبيعة عثمان أبن عفان، أذن عن أى أسلوب من الخلافه تتحدث .

obeikan.com

أنتفض قابيل وقال :- لاتعجبنى طريقتك في الكلام ولولا أنك صديقى لكان لى تصرفا أخر معك.

ويقرر في نفسه تجاهل كلامه وحديثه ويستكمل مسيرة البحث عنهم والسعى جاهدا للتواصل معهم وبالفعل يبدأ في فعل هذا ولكنهم حريصون لايستقبلون أحدا بترحاب ويعيشون في ظلام وعبوس وتجهم وفى مناطق غير مأهوله وهو لايكل ولا يمل لاختراق هذه الشرنقه.

كيف أستطاع بعض أشخاص من ذوى القدره الماليه والجسمانيه والكاريزما الجهنميه توجيه الأخرين و ترويض هذه العقول وكأنها حاسب إلى لايفكر من تلقاء نفسه ولكن يحركه عقل بشرى.

الجهاز يكون نقيا بريئا ويتم تحميل نظام التشغيل عليه ويتم بعدها التحكم الكامل ويصبح الجهاز تحت طوعك تماما من الممكن جعله مفيدا وأيضا من السهل جعله خبيثا سرطانيا ينشر الشرور وياحبذا لو أضفت له كلمه سر حتى لايتفاعل مع أى محرك أخر إلا بأذنك، فهؤلاء المساكين غير مسموح لهم بمتابعة أى مواد أعلاميه مكتوبة أو متلفزه أو مسموعه حتى لايتأثر نظام التشغيل وممكن عند تغيير الاستراتيجيه أن يتم تعديل نظام التشغيل إلى نسخه أحدث تناسب المرحله وفى النهايه بعد أنتهاء الحاجه منه وأعتباره عبئا يصبح الجهاز مستهلكا وعالة على مستخدمه ومروضه ويتم التخلص منه باستخدامه في عمليه أنتحاريه ويقبل عليها الجهاز المغيب يملؤه الحماس بعد أيهامه بالحور العين والجنات التى يجرى من تحتها الانهار فتراه يسارع إلى الموت سعيدا فرحا بقتل ابرياء والموت بينهم وتختلط دماء واحشاء القاتل المغيب والقتيل المسكين.

***

يعكف عبد الودود على البحث عن خنجر حاد ذو نصلين وقد أستمد الفكرة من قصة فيروز (أبو لؤلؤة المجوسى) الذى كان بارعا في الحدادة وأعد خنجرا

openkan.com

قاتلا لعلمه أنه لن يملك متسعا من الوقت ولذا فيريد أن يطمئن لقتل أمير المؤمنين من طعنه واحدة، عبد الودود لايتذكر من القصص التاريخيه إلا الجزء الدموى منها، فلم يعلق بذهنه من قصة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه والمفعمه بالكثير من الاحداث والانتصارات والفتوحات والعبر سوى الخطه الجهنميه التى أعدها الشاب المجوسى لقتله وهى أنتهاز سجوده للصلاة حيث أن عمر رضى الله عنه كان قويا رغم شيخوخته وله رهبه وكانت نقطه ضعفه الوحيده هى خضوعه الخالص للخالق أثناء الصلاة، رغم تعليم عبد الودود البسيط إلا انه كان قارئ جيد لاى شيء يقع في يده وخصوصا الراويات المرعبه والقصص التاريخيه المخضبه بالدماء وربما السبب حياة العزلة التى ينتهجها وفسحة الوقت وطبيعته الشريرة.

كان يجهز للحج ويعد نفسه للزواج ويبحث عن خنجر لاتمام مهمته في أن واحد,ولايشعر بأى تعارض بين المهام الثلاثة .بل ويعتبرها مكمله لبعضها.

يصل إلى مطار جدة ويستقل منه حافلة النقل الجماعى إلى مكة ويبحث عن المطوف وعن الفندق حيث يقيم الهدف المسكين ويفضل قتله أثناء طواف القدوم حتى يكون له متسع من الوقت لاستكمال مناسك الحج والوقوف بعرفة لعل وعسى أن يغفر له من رفع السموات بلاعمد فقد سمع أن الإنسان يصبح بلا ذنوب بعد الحج كمن ولدته أمه .

وبالفعل ينتهز الزحام ويقترب من الضحيه وتقترب اللحظه الحاسمة أثناء تدافع الحجيج فيطعنه في مقتل يهدوء ودم بارد ويتأوه الرجل وتضيع تأوهاته مع التكبيرات وتعالى الاصوات بالدعوات طمعا في غفران وعفو الرحمن، ينسحب في صمت من الزحام ويسقط الضحيه ولايستطيع الجمع التوقف عن الزحف وقد أتوا من كل فج عميق لهذه اللحظات وتسحقه الاقدام بسبب التدافع العظيم .

***

ينتظم عمر في الدراسه ويتضح أن مستوى ذكائه يفوق أقرانه ودائما مايكون

في المقدمة وعندما يصل إلى الثانويه العامه يكون من أوائل الجمهوريه ويفضل أن يلتحق بكليه العلوم ظنا منه أنها وطبقا لاسمها مصنعا للعلماء فيدونها كرغبه أولى في رغباته ولا يتكالب على كليات الطب والصيدلة.

وبالفعل يتم تطويع كليه العلوم في وجود عمر إلى مكانا يصنع علماءا فبعد وصوله للسنه الاخيره بتفوق ترسل اداره الجامعه في طلبه لابلاغه بأختياره لمنحه للدراسه بمركز أبحاث تابع لجامعه هريوت وات البريطانيه، يحتار عمر هل يقفز فرحا فأنه أخيرا يستطيع تغيير حياته إلى الافضل وايضا ترك بصمة يده في النهوض بالانسانيه، ويعود للمنزل لايعلم ماذا هو فاعل أيترك والده وحيدا ويغادر وفى نفس الوقت حتى ولو كانت المنحه مؤمنه من الجامعه ولكن هذا لايمنع أنه محتاج مبلغ من المال بحوزته كمصروف للجيب والطوارئ وما يلزم من مستجدات .

أعتاد عمر الجلوس في الحديقه دائما وسط الازهار وتحت أشعه الشمس عندما يحتاج للتفكير والتأمل، وهل يوجد أفضل من دفء الشمس ورحيق الزهور ليشعرك بالطمائنينه حتى تستطيع التفكير والتدبر.

المثل القديم يقول العبد في التفكير والرب في التدبير، ربنا يسبب الاسباب، ويجد عمر أسماعيل باشا قادما إليه ليهنئه بما سمعه ويبلغه بمدى مايشعر به من فخر فهو يعتبره أبنه الثانى :-

-أنا فخور بك جدا ياعمر وربنا يوفقك.

-الله يكرمك يا أسماعيل بيه كله من خير سيادتك.

-لا ياعمر انت شاطر ومجتهد وكل ده بمجهودك وأصرارك وعلى فكرة كل مصاريفك هناك مسئوليتى.

-أنا بشكر سعادتك بس كده كتير .

-لا معلش أسمح لى أحنا متفقين من زمان ولا مجال للمناقشه وشد حيلك يابطل.

- أنا ضميرى لايسمح أن أترك والدى وحده في هذه العمر ولايمكن أن يكون

هذا هو رد الجميل له .

-والدك حايجى يشتغل معانا هنا في القصر ويعيش بيننا معززا مكرما كواحد منا ولا أعتقد أنه سيكون سعيدا أن تترك فرصه زى دى من أجله .

وماهى إلا أسابيع حتى ينضم عمر إلى مركز الابحاث ويستكمل دراساته العليا، ويكتشف أفقا اوسع ونمطا مختلف للحياة حيث تذوب الفوارق بين الطبقات عما تعودنا عليه وتعلو قيمة الإنسان ويكون الاجتهاد هو المعيار الوحيد لتقييم الإنسان وتتلاشى أهمية الحسب والنسب وينكب على دراساته سعيدا بتكامل النظام يشاركه علماء بريطانيون وهنود وكنديون وبعض علماء من هونج كونج بسبب ولائهم للتاج البريطانى منذ عدة عقود ومرة أخرى يتميز عمر فلديه الحافز لاثبات ذاته ولاسعاد والده الطيب ولرفع راس الاب الروحى أسماعيل باشا فهو يريد أن يكون عند حسن ظنه ومحل فخره .

وتمر السنون ويشعر عمر بحنين لوالده وشعور بالتقصير ويبحث عن وسيله لاسعاد والده فهو ليس له أى مطالب ولاأحتياجات وعمر أصبح لديه بعض المدخرات ويريد أسعاد والده قبل فوات الاوان وهو الذى لم يتمكن يوما من أسعاد أمه التى غادرتهم سريعا بسبب حادث أليم.

-بس وجدتها، الذهاب إلى الحج فعم محروس لم يحج مسبقا بل لم يغادر المحروسه وأنا أيضا اتوق للحج وهو سيسعد تماما بهذه الهدية (قالها لنفسه بعد طول تفكير).

يرفض محروس على أستحياء حتى لا يكلف أبنه، الاب دائما مايخجل أن يستعين بابائه حتى لو أصبحوا أكثر تمكنا منه في الارض فهذا لايستوى مع طبيعه البشر حيث يكون الاب في خدمة أبناؤه سواء غنيا أو فقيرا وهذا ماسيفعله أبناؤه مع أبناؤهم ولكن عقارب الساعه لاتعود للخلف، فكيف ينفق مدخراته، ولكن عمر يلح ويصمم، يتحجج محروس ويتهرب بالاعذار وأخيرا يرضخ محرجا رغم سعادته الداخليه بزياره بيت الله الحرام وأتمام

أركان دينه.

***

يتوضأ عبد الودود ويعود مره أخرى ويبدأ الطواف من جديد ويقف بعرفه ويرمى الجمرات ويسعى بين الصفا والمروة ويقدم الاضاحى ويطوف وداعا ويشعر أنه تخفف من ذنوبه ويشرق وجهه وفى نهايه أيام الحج يشعر بالارهاق فيستند على الحائط شاعرا بدوخه وفى نفس الوقت كان عمر جالسا مع والده يتأملان الكعبه المشرفه حيث أن مجرد الجلوس ومشاهدتها يعتبر من أكثر الاشياء أمتاعا على الاطلاق ويصفى العقل من كل مايشغله ويرتقى بالانسان، يهب عمر واقفا لمساعدة الرجل الضخم الجثة قبل سقوطه ويلاحقه الاب ويساندان الرجل ويجلسانه بجوارهما ويأتى له عمر بماء زمزم فيشرب ويصب على رأسه ووجهه :-

عمر:-ألف سلامه عليك.

عبد الودود :-الله يكرمك يابنى أصل أنا تعبت من المشى والشمس، انت لحقتنى قبل ماأقع.

-ربنا يتقبل منك ويغفر ذنبك، الناس من فرط أشتياقها وسعادتها بأداء المناسك والشعائر تتناسى الارهاق وتضغط على نفسها بس ربك بيستر.

الاب:-أسم الكريم أيه؟

-أخوك عبد الودود من أحد مراكز القوصية.

-لا اله إلا الله سبحانك يارب، أنا كمان من القوصيه.

أرتعب عبد الودود,فهو يعلم أن سمعته في القوصيه لاتختلف كثيرا عن مايعرفه الناس عن الاشباح والشياطين.

وأستكمل الاب بس أنا سايب القوصيه من زمان أكتر من ٣٥ سنه.

عبد الودود (بارتياح):-ربنا يديك الصحه ياحاج، القوصيه لم تختلف كثيرا زى ماودعتها حاتلاقيها.

تحدثا قليلا حديثا وديا وأنصرف عبد الودود.

obeikan.com

عمر :- راجل طيب أوى، فعلا أسم على مسمى راجل ودود .
الاب:-الله أعلم بالسرائر.
-يعنى يابابا الارض اللى حاتنبت راجل طيب زي حضرتك أكيد كل ولادها طيبين.
-الارض بتطرح الصالح والطالح يابنى والله تعالى هو الوحيد المطلع على النفوس,يلا نتوضى عشان صلاة المغرب .
ويعود عبد الودود إلى المحروسه تغمره أحاسيس أيجابية كمن ولدته أمه ويشرق وجهه وتنتظره الدلاله وأبناء أخيه في مطار القاهره ويغدق عليهم بالهدايا والسبح التى تضئ في الظلام وسجاد الصلاة ذات البوصله وأنواع فاخره من الحلويات والمكسرات والملبن، يدفن شعبان أبو العلا المسكين في البقيع مجاورا أشرف الناس ويصل الخبر إلى البلدة ويبكيه اهله وعزوته ويتقبلون الخبر بحزن نبيل، عزاؤهم الوحيد أن تكون وفاته في بيت الله الحرام ويدفن في أطهر بقاع الارض، ويرسل فؤاد بيه متهللا في طلب عبد الودود الذى يحضر ويرسم على وجهه جمودا ليظهر أنه قادم لتسلم نفحته وأجره بدون مناقشه الموضوع ويشعر بهذا فؤاد بيه فيقتصر في الحوار:-
-حمدلله عالسلامه ياحاج عبد الودود .
-الله يسلمك ياسعادة البيه.
يتلقف منه عبد الودود لفافه محترمه .
-ده حقك وزياده زى ماوعدتك ياحاج.
-الله يكرمك يابيه، الحق عندك يزيد.
-سمعت أنك حاتتجوز وتفتح سوبر ماركت .
-أن شاء الله يابيه.
-يعنى لو أحتجتك في شغل ؟
-أنا طلعت معاش يابيه خلاص بقى السن ليه حكمه .
-مع أن يصعب عليا أخسر راجل عارف شغله زيك بس ماباليد حيلة، ولو

رجعت في قرارك حاتلاقينى دايما محتاجلك.
-بعون الله قرار نهائي يابيه.
يشرع عبد الودود في تجهيز السوبرماركت أو بالاحرى البقاله لتكون أفضل بقاله في القريه ويتزوج الدلاله ويقيم فرحا بسيطا لايحضره الكثيرون ولكنها تكاد تمشى فوق السحاب من النشوى فقد أصبحت تدير محلا محترما يملكه زوجها الذى يهابه الناس بعد أن كانت مجرد دلاله مهمشه سحقتها الايام تشعر بعدم الامان من الزمن والناس والعوز.
يجهز منزلا فخما بمقاييس القريه ومحلا يتحدث عنه الجميع ويذهب إلى منزل أرملة أخيه ويأخذ قدرا من المال ويترك الباقى في الصندوق احترازا لتقلبات الزمن.
ويفتتح السوبر ماركت داعيا أبناء أخيه لحضور الاحتفال ويعودوا إلى محل أقامتهم محملين بكل أحتياجات البيت من زاد يكفيهم لمده شهر عالاقل .
تصحو الدلاله من نومها مبكرا وتهرول إلى عملها الجديد وقد أصبحت بين يوم وليلة وطرفة أعين مديره لمكان نظيف ويعمل تحت أمرتها أشخاص يطيعونها، هذا العبد الودود هو بمثابة ملاك منزل من السماء أو ليلة القدر بالنسبه لها وتحول بين يديها إلى طفل رغم تقاطيع وجهه القاسيه وملامحه الغائرة والتى تصلح كمادة ثريه لهواة فنانى رسم البورتريه، فهو ينام بين أحضانها ويشعر بالدفء الذى حرم منه طيلة حياته بعد أن كان ينام محاطا بالعقارب ولايسمع الا نقيق الضفادع وصفير حشرات الحقول وتحركات الحيوانات الشاردة التى قد تسبب الذعر لاى انسان طبيعى ذو مشاعر عادية.

وسنيه تحتضنه وكأنها تخشى أن يتبخر من يديها ويتلاشى الحلم أو ماتعتبره مكافأة القدر لها فهى لم تقم طوال حياتها البائسه بأرتكاب أى موبقات، لم تزن، لم تغش وأنما كانت تبحث عن أى شيء أيجابى قد يشحن روحها المرهقه ويعينها على أستكمال مسيره الرزق الشحيح والعمل المضنى

وشقاء الايام وعاشت على الامل.

وتصبح الايام أكثر جمالا وأستقرار وهدوئا والرزق يتدفق ونهر السعاده ينساب ويشعر عبد الودود أنه يحصد ثمار تعب السنين .

ولكن من الذى أفتى بأن النهايات لابد أن تكون سعيدة ؟ النهايات السعيدة في الخيال فقط ولكنها على وجه البسيطه وأرض الواقع فهى نادره وبخيله.

تأتى إلى البلدة فتاة غريبه غير معروفه جميله ملفته، لا تتكلم مع أحد ولاتسأل أحدا ومن لحظة وصول القطار الذى كانت تقله ومن يراها يتسأل من هذه الفتاه ولمن هى قادمة واى ريح أرسلتها، هل هى أبنة أحد أعيان البلده وكانت تدرس بالقاهره أم هى قريبه لاحدى العائلات، أستغفر الله العظيم أذا كانت قادمة لفعل الفاحشه مع أحد شباب القريه الذى تعرفت عليه في أسيوط وتأتى إلى هنا بقدميها لاستغفال أهل البلده المحترمين الملتزمين بكتاب الله لتمارس رذيلتها.

في أحد الايام المشمسه يفيق عبد الكريم الفلاح الذى لا يملك من حطام الدنيا إلا ثلاث قراريط مبكرا متفائلا بيوم جديد ويشمر عن ساعديه ويأخذ ولده متجها إلى حقلهم ليضرب بفأسه الارض لتخرج خيرها فتصطدم رجله بشئ على الارض ملفوف في قماشه تشبه ملاءه السرير ويكشف عنها ليجد جثة فتاة.

تنتفض البلدة كلها عن بكرة أبيها فهذا النوع من الجرائم غير معتاد وتأتى الشرطه والعمده والغفر والنيابه وتتحول البلده الهادئه إلى خلية نحل ولايوجد حديث في مقهى أو صالون حلاقه أو أى جمع من الناس إلا وكان هذا هو موضوع الساعة.

واللغز محير ولا أحد يعرف عنها شيئا من هى ولمن جاءت وماذا كانت تفعل.

إلى أن قال أحد المزارعين أنه شاهد عبد الودود مارا من مكان قريب من محل الحادث,ويتلقف ضابط النقطه هذه المعلومه فهو في أشد الحاجه

obeikan.com

لغلق هذا الملف المزعج حتى يعود الهدوء المفتقد.
وتنتشر الهمهمه بأن فلانا شاهد عبد الودود ذاهبا وعلانا شاهده عائدا ويحول الضابط هذه الهمهمات الغير مؤكده إلى محاضر موثقه ولايعترض أحد فتاريخ عبد الودود مظلم وأن كان نجح في التملص من قضايا كثيرة ولكن الكل يعلم يقينا بأنه كان المتسبب فيها فلماذا لايكون هو القاتل وهل سننتظر كثيرا حتى نجد دليلا قاطعا وهو لايترك ابدا دليلا ولا يهب أحدا من كبرات البلد لنجدته حتى لايلوث ثوبه الناصع كما أن عبد الودود بعد توبته أصبح ورقه محروقة من الافضل التخلص منها .
تنقض مجموعه مسلحه من الجنود والامناء يقودهم ضابطا برتبه مقدم فجرا على منزل عبد الودود حتى يتم ضبطه وهو نائما وحتى لاتكون هناك فرصه سانحة للهروب وبالفعل كان نائما مطمئن النفس قرير العين متلحفا بأحضان زوجته وحبيبته فقد سمع عن الحادث ولكن لم يهتم البتة فذا شيء لايخصه,يصحو من نومه مفزوعا ويتمالك نفسه ويرتدى جلبابه الصوف الانجليزى ويبلغ زوجته أنه بالتأكيد سوء تفاهم وانه سيعود خلال نصف ساعة على الاكثر ولكن يتم وضعه في محبسه لمده ٤ أيام على ذمة التحقيق ثم تمتد إلى ١٥ يوم أخرى على ذمة التحقيق ثم تحال القضيه إلى فضيلة المفتى وسط ذهول عبد الودود وبكاء زوجته وأبناء أخيه الذى يبلغهم بأنه أذا أصابه مكروه فعليهم أن يقتسموا الاموال الموجوده بالخزانه وأن لاينسوه في دعائهم، تمر الايام سريعا ويساق إلى حبل المشنقه كما تساق الخراف للذبح صباح العيد وهى لاتملك من أمرها شيئا وكان يصيح ويهتف بصوره متكرره غير واعيه بأنه برئ ويبكى ويرتجف ويتعرق وكان بكائه نابعا من قلبه فقد كان بريئا فعلا من هذه الجريمه براءه الذئب من دم أبن يعقوب ولكن تذكروا جيدا انه برئ من هذه الجريمه فقط.
يطالع عمر جريدة الاهرام كما أعتاد كل صباح ويشاهد صورة عبد الودود في الجريده ويقرأ تفاصيل الجريمة مذهولا ومستنكرا عن الرجل الطيب

عبد الودود زميل الحج ويضرب كفا على كف غير مصدقا، فالرجل ذهب للحج أى انه شخص ملتزم يراعى ربه ويكمل اركان دينه ولايمكن أن يؤذى أى كائن من الكائنات ولا يقدم على فعل شيئا شريرا كهذا ولكن يبدو أن الحجز ملئ بالمظاليم طبقا للمثل الشعبى القديم,ويتصل بوالده ويتحسر معه على الرجل الطيب وتمتلئ عيناه بالدموع على فقدان العدل في هذا الزمن الصعب.

يبكى أبناء أخيه وأمهم بحرقه على فقدانه كما تبكيه زوجته التى كان بمثابة طاقة النور في حياتها وعندما تعود للبلد تكتشف أنها أصبحت المالكه للمحل والمنزل وتدرك أن الوضع ليس سيئا للغاية.

وعندما يعود أبناء أخيه إلى بلدتهم ويقوموا بفتح الصندوق عنوة بعد كسر القفل بناءا على نصيحته ويقفوا مشدوهين غير مصدقين أمام رزم الاوراق الماليه الخضراء من فئه المائة دولاروالمحليه من فئه المائتان جنيه، فقد أنفتحت أمامهم مغاره على بابا بكل خيراتها .

وبعد فتره يتوفى عم محروس ويحضر عمر مسرعا من الخارج ليحتضن أبيه ويلقى عليه النظره الاخيره قبل أن يواريه الثري ويتلقى العزاء ويقف إلى جواره المهندس على أبن أسماعيل باشا ويعتذر بالنيابه عن والده حيث أنه مريض ولم يستطع الحضور لاداء الواجب.

وبعد مرور ثلاثة أيام يذهب عمر لزيارته في المنزل ويبكى أسماعيل باشا وهو يحتضنه ويبكى عمر فهو يحبه ولا ينسى فضله ورؤية أسماعيل باشا ذكرته بأباه، مرت لحظات من الحزن النبيل المغلف بمسحه من الشجن والعرفان.

أسماعيل باشا :- البركه فيك يابنى وربنا يصبرك على بعد الوالد، فعلا كان راجل نادر ولكن ده حال الدنيا.

-ربنا يقومك لنا بالسلامه، وجود حضرتك بينا له قيمة كبيره جدا.

-أنا اللى تعبنى أكتر مرض حفيدى هيثم بعد ماسافر مع باباه هونج كونج رجع معاه فيروس السارس والحاله بتسوء كل يوم أكتر من اللى قبله ومش

بياخد غير أدويه مخفضه للحراره ومسكنات بس والعدوى الفيروسيه دى مالهاش علاج.
نظر أبن الحارس لعلى بعتاب :-أزاى ماقلتليش على حاجه زى كده.
-انت في ايه ولا ايه كفايه الظروف اللى انت فيها، ماحبيتش ازود همومك.
-عن أذنكم حاعمل مكالمه تليفونيه.
خرج من الغرفه وأتصل بمركز الابحاث في هريوت وات طالبا منهم جرعه من الدواء الجديد الذى يشارك في الابحاث الخاصه به وبعد مناقشات طويله يوافق المركز بصفه شخصيه على أرسال جرعه واحده رغم أنه مخالف للاجراءات حيث أن العلاج لن يكون معدا للاستخدام الادمى قبل سنتين على الاقل بعد أستيفاء كل الخطوات الملزمه لتسجيل العقارات الجديده .
-ربنا يسهل أن شاء الله خلال يومين حايكون العلاج المناسب موجود ومش حاغادر مصر قبل ماطمن على هيثم.
يقف عمر في مطار القاهره موجها نظره إلى لوحة مواعيد المغادره والوصول منتظرا طائرته المتجهه إلى لندن بعد أن ودع والده إلى مثواه الاخير، وفى نفس اللحظه يجلس أسماعيل باشا في حديقة منزله مستمتعا بالشمس مرتاح البال فقد قضى عمره بدون أن يقترف خطأ يغضب ربه وقد تحسنت حالته الصحيه إلى حد كبير وهو يشاهد هيثم يلهث جريا وراء الكوره في الحديقه وقد دبت الدماء والحيويه في عروقه من جديد بعد شفائه وعادت الضحكه إلى المنزل الطيب العامر بأهله الطيبين.
من كان يتخيل أن يصبح عمر أحد أعضاء المجموعه القائمه على أبحاث الدواء الذى يستطيع به رد جزء من الجميل إلى الباشا في أخلاقه وكرمه وأبن البلد في طباعه والاب الروحى فيما قام به تجاه أبن بار بأبيه .
ولكن دائما تدور الدوائر و لا يستطيع الكثيرون قراءة المغزى.

***

obeikan.com

أستطاع قابيل الوصول إلى بعض الأطراف الفرعية المنتمية إلى أحد الجماعات المنبثقه من جماعه تابعه لجماعه أخرى والتى بدورها مؤيده لجماعه رئيسيه فالجماعات تتصل ببعضها بشكل سبحى وتقوم بتجنيد الشباب بعد التمحيص والتحرى عنهم، وفى البدايه يتم إلحاقه بمهام بسيطه حتى يتم تقييم ولائه واداؤه.

تعود العرب منذ قديم الازل على البكاء على اللبن المسكوب ثم تحول التعود إلى أدمان للتواكل والتكاسل وأحيانا تواطئ حتى تعبر القافلة ولانستطيع اللحاق بها وتقام المدن فوق أنقاضنا ولانستطيع أيقاف بنائها وما كنا نرفضه نستجدى للحصول على مجرد مثقال ذرة منه ولانتحصل عليها حتى أصبحت صفاتنا (المتواكلون-بطئي الفهم -ضيقى الافق -مضمحلى التفكير والرؤى)

قديما تباطئ العرب في الكوفه والبصره على حمايه على بن ابى طالب ثم لطموا الخدود لمقتله ثم سريعا مانسوا وتخلوا عن عقيل وهو مبعوث الحسين سيد أهل الجنه حتى قتل ثم تنصلوا عن الدفاع عن الحسين نفسه حتى قتل هو ومن معه شر قتلة ومازالوا منذ ١٤٠٠ عام يلطمون الخدود ويجلدون الظهور في ذكراه.

تركوا عثمانا يقتل ولم يجد من يغيثه ولكن بقميص عثمان وحده بعد مقتله تم جمع ٧٠ الفا يبكونه ويتوعدون للاخذ بالثأر.

المتطرفون والمتشددون يتصرفون بعنف بسبب وجود جين التطرف في خريطتهم الجينيه ولو ولد أحدهم ووجد نفسه مسيحيا لاصبح مسيحيا متشددا ولو ولد لابوين يهوديين لاصبح من أكثر اليهود كرها للعرب وتمسكا بالارض المغتصبه -التطرف جين موجود ضمن جينات الإنسان ويبحث عن متنفس له سواء يكون هوس بالدين أو العنف أو حتى الجنس في مجتمعات أكثر تحررا منا، ولكن لماذا تطفو ظاهره المسلم المتطرف على السطح أكثر

من الأخرين، ربما لان الدين الاسلامى أكثر الاديان حثا على الجهاد والنهى عن المنكر ولو باستعمال اليد أن استلزمت الحاجه.

ولايهتم متطرفوا الجينات إلا بالاحكام والعبادات ولايكترثوا كثيرا بدراسة التاريخ الاسلامى وتحليله وأستنباط العبرة منه ولا بدراسة تاريخ الحضارات الاخرى وتأمل صعود حضارات وأنهيار واضمحلال أخرى.

ألمتطرف يعتقد أنه لاحاجه له لدراسة أى شيء قد يشوش على أعداد نفسه للتطرف ومزاولة ماتتوق له نفسه ولا ينتهج أى منهج أخرفقد أستقر على إتجاه يريحه ويتوحد مع ميوله، ويزدهر التطرف بالتربيه المتزمته وتصقله النشأة الجافه الخاليه من المشاعر.

لماذا لا يدرس كيف نجح البريطانيون في تكوين أمبراطوريه لاتغيب عنها الشمس فأن غابت الشمس عن الدوله الام أشرقت في أستراليا أو انتصفت في الهند أو أقتربت من المغيب في كينيا وكلهم أطراف لبريطانيا العظمى التى تغزو البلاد لتستعين بأبنائها في غزو بلاد أخرى فقد كانت تغزو افريقيا بجنود من الهند وتستقدم العمال المهرة في زراعه السكر وتصنيعه والشاى بأنواعه من الهند لتستبقيهم في كينيا لتحسين المحاصيل وتصديرها إلى بلادهم,لن يدرس أى من هذا حتى يظل قابعا في رأسه أن الاسلام المتشدد فقط هو الحل، رغم أن الاسلام حثنا على أستعمال العقل والاطلاع والقراءه ولكنهم لم يفهموا منه إلا العنف فقط.

بلد فقير مثل مصر نسبه المواليد به ٢,٦ ٪ لماذا؟؟

أب فقير ذو تعليم بسيط لماذا ينجب خمسة أو ستة أبناء مساكين ويأتى بهم إلى عالم قاسى ويبدأ التسول من يوم ولادة أبنه الذى ما أن يشتد ساعده حتى يستكمل مسيرة والده في التسول (أن منادى السيارات متسول – وبائع المناديل الورقيه متسول – وبائع البخور متسول وأشكال مختلفه من التسول يتم أبتكارها كلما أشرقت الشمس) حتى أصبح التسول ثقافه لانخجل منها، أصبحنا نقيم المشاريع بالتسول ونبنى المستشفيات بالتسول

obeikan.com

ونعالج متسولينا بالتسول، أذن أصبح التسول منظومه عميقه ومعترف بها من الشعب ومقبولة من الجميع.

لماذا تكون نسبه المواليد في أوروبا المنظمه المرفهه ٠,٤٪ بل أن عدد سكان بلاد مثل المانيا وفرنسا يتناقص وبالتالى يتم الاستعانه من الدول الطارده للسكان بعدد من المهاجرين الباحثين عن جنة الله في الارض لشغل المهن الدنيا مثل جمع القمامة والعمل بالصرف الصحى وبالتالى يتم تعويض النقص في العماله وما أن يحمل أحدهم جنسيه هذا البلد ويرتفع دخله فيجلب العديد من أفراد أسرته وأصدقائه ثم والعجب العجاب أن يتذكر فجاءه أنه مسلم يعمل عند المشركين فيقتل مايقتل ويفجر مأستطاع الوصول اليه ويسارع بالانتحار حتى يذهب إلى الجنه الحقيقيه حيث الحور العين، ولأراحه ضميره وعدم تعكير صفو خياله يطلق على أنتحاره أستشهاد حتى يضع الصبغه الدينيه على مافعله وينافق الخالق حتى لايطرده من جنته.

أستطاع قابيل لفت الانظار اليه بسبب حماسه وولائه المفرط للامير ويتم أعداده لاداء مهمه خطيره ستزلزل العالم، سيقوم بعمليه أنتحاريه بتفجير نفسه في أحد مساجد الشيعه، لم يخطر على باله أن يسأل أو ليسوا الشيعه مسلمون موحدون مثلنا.

كان الاتفاق أن يقوم بتفجير نفسه بعد أذان الاقامه حيث يصطف المصلين وقوفا متلاصقين فتتلاشى المسافات بينهم حتى تكون الخسائر البشريه أعظم والحصيله أكبر، ولكن قبل أن يضغط قابيل على الحزام الناسف هزه صوت الاقامة وتخيل ماذا يكون حاله لو ماكان يفعله هذا محرما ومرفوضا من الاحد الصمد فيكون من الخاسرين خسر دنيته وسيخسر أخرته وماذا لو أن سعد صديقه كان يفهم الدين أفضل وأعمق منه، وتردد قليلا ولكن تردده جاء متاخرا فزبانيه جهنم المتابعون خارجا شعروا بتأخر الانفجار فقرروا التفجير من الخارج عن طريق التحكم عن بعد وبالفعل تم هذا وقبل أن تتطاير أجزاؤه وتتفتت إلى قطع صغيره منها ما التصق باعمدة النور ومنها

مالتصق بالسقف شعر أنه تعجل وان مايفعله خطأ ولكن لاينفع الندم وقد وجدت الشرطه فيما بعد رأسه على بعد شارعين من المسجد وكان وجهه سليما تعلوه علامات الذهول والحسرة.

***

دلف النقيب حسن داخل المنزل، كان يوسف يلعب بالكورة، فتوقف وكانت أختيه هناء ووفاء يقيسان بعض الملابس الجديدة فتوقفتا أيضا, ولج الاب غرفه النوم وأسرعت اليه زوجته كى تساعده على تغيير ملابسه وعندها عادت البنات لاستكمال ماكانتا تقومان به أما يوسف فتوقف ووضع الكوره جانبا وجلس يشاهد التلفاز في هدوء، غير مسموح بأحداث ضجه والوالد متواجد بالمنزل، وضعت الام الطعام على المنضده وكانت رائحته تدل على ابداعها فهى كانت طاهيه متميزة حتى انك تعتقد لو أنها قامت بطهو حذاء قديم لصنعت منه وجبة طعام شهيه، هب الجميع للجلوس حول المنضدة ولكن لم يقترب أحد من الطعام حتى أمسك الاب بدجاجه شهيه وبدأ يلتهم طعامه فبدأ الابناء في تناول الطعام والام تنظر بسعاده وتساعدهم في أخذ مايحتاجونه من الانواع المختلفه.

بعد الاستمتاع بالغذاء جلس الاب في غرفه المكتب يدخن سيجارا فرغم أنه كان ضابطا إلا انه كان ابن عز ولايعتمد تماما على راتبه حيث أن لديه قطعه لابأس بها من أجود انواع الارض الزراعية في محافظه المنوفية كانت تسمح له أن يعيش في حال أفضل من أقرانه في نفس المهنة.

كان منهمكا في التدخين وينفخ دخانا كثيفا عبأ الغرفه رغم أنه لم يكن مدخنا منتظما ولكن من وقت للاخر يشعر بالحاجه إلى الاسترخاء وتنفس جرعه مركزه من النيكوتين.

يوسف :- ممكن ننزل النهارده لشراء البدلة التى وعدتنى بها حضرتك ؟

الاب:-ممكن ارتاح شويه وننزل بليل.

obeikan.com

هناء:- حانزل معاكم لانى محتاجه فستان جديد لان عندى عيد ميلاد صاحبتى كمان تلت أيام.
يومأ الاب براسه دلالة على الموافقة.
وفاء :-وأنا محتاجه ملابس داخلية كمان وتنظر للارض بخجل.
-خلاص سيبونى أنام ساعتين وننزل كلنا.
كانت دولت تسمع حوار ابنائها من المطبخ ولا تتدخل رغم أن من الطبيعى أن تطلب منها البنات الملابس وخصوصا الداخليه منها ولكن كان الوضع مختلفا في منزل النقيب حسن حيث أنه يقوم بعمل كل شيء وشراء كل احتياجات المنزل والابناء، والام ليس لها دور إلا في المطبخ فقط وغير هذا ليس لها وجود.
وكان الاب ينتقى الالوان والموديلات والابن والفتاتان يثقان تماما في ذوقه واختياراته .
في اليوم التالى أصطحب النقيب حسن زوجته لشراء جبن رومى من السيده زينب ثم ذهبا إلى القصر العينى لشراء بسطرمه من بقال شهير ثم دلفا إلى المنيل لشراء البن المحوج، فهو لايشترى متطلباته من أى سوبر ماركت ولكن لكل نوع من المأكولات هناك مكان معين تعود على الشراء منه حتى يحصل على أجود الانواع من مواطنها الاصليه حيث أهل الخبرة والثقة
وهو يحب أن يدخل المكان فيكون معروفا للجميع ويعامل معاملة خاصه ويقدم له أجود البضائع.
ويوميا يهرع إلى مدارس الابناء فهذه لاتأكل في مواعيد الغذاء فيجلس بجانبها حتى تنهى وجبتها تماما,وهذه لاتواظب على التمارين الرياضيه فيذهب ليعرف مايؤرقها وهذا ضعيف في اللغات فيتفق مع مدرسين لمتابعته.
ويهتم بالتفاصيل ولا يتجاهل صغيرة أو كبيرة.
وتمر السنون ويلتحق الابن بكليه الطب ويكون يوم أشبه بايام الاعياد ويكافئه العميد حسن بأرسال أكفأ سائق في الداخليه الشاويش مخلوف

المعروف بأتزانه وهدوئه ليعلم يوسف القيادة
وكأسعده هذاحتى يستطيع منافسه أقرانه في القيادة.
ويمثل العميد حسن محورا لكون المحيطين به ويدورون حوله ولايستطيعون التصرف بدونه في أبسط التفاصيل.
وكانت وظيفته ووضعه يؤهلانه لانجاز الكثير بأقل مجهود.
يتعثر يوسف في كليه الطب لان النظام مختلف عما تعود عليه في المدرسه الخاصه المتميزه فلايستسلم الاب ويرسله إلى المجر لاستكمال دراسه الطب حتى يتخرج طبيبا ولا يتعرض لنظرات الشامتين وهم كثر.
وبالفعل يستكمل الابن ويصبح طبيبا رغم انف طب القاهره بل ويبدأ التجهيز للدراسات العليا .
لايمر مستند أو ملف إلا و يكون مطلع عليه ولا تتداول ورقة إلا ويكون توقيعه واضحا عليها والا لن يكلف نفسه بعدها بالنظر فيها ولن تشغله أى مشكله يقع فيها أحد الموظفين أو الضباط الصغار لو كان المستند محل المشكله بلاتوقيعه وسيترك حامله فريسه للجهات الرقابيه تنتف شعيرات ذقنه واحده بعد الاخرى ولن يدعمه –فعملهم في هيئه أمداد الشرطه في غايه الحساسية.
أما أى ورقه تحتوى على توقيع منه فهو مسئول عنها تماما ويدعم حاملها تحت أى ظرف ويتحول كالاسد أمام أى مسائله.
الجميع يسعى إلى رضاه ونظرة رضا منه تمنح متلقيها الشعور بالامان والحصانه ضد نكبات الزمن ولو لفترة من الوقت.أما نظرات الغضب أو النظرات غير المفهومه فتجعل متلقيها مرتعبا ومتوقعا لحادث غير سعيد في أى لحظه أو موقفا قد يجد نفسه خلاله بلانصير أو داعم.

يعود الابناء من الدراسه وينتظروا الاب على مائده الطعام والام لاتكل ولاتمل من ابتكار انواع شهيه من الطواجن والصوانى وأعطاء الاوامر للخادمه لجعل

obeikan.com

المنزل لامعا مرتبا دائما.
واذا سقطت نقطه مياه غير معلومة المصدرعلى أرضية الحمام يتم الارسال لعبد العال البواب لاحضار السباك فورا حتى لاتنجرح منظومه النظافه والنظام قبل وصول الاب.
يتغيب العقيد حسن يومين عن العمل فيتوقف كل شيء تقريبا، فلايوجد من يجرؤ على تولى مكانه أو الاشاره لما يمكن عمله أو التوقيع بدلا منه، بل ويرفض الموظفون أى توقيع اخر .
ويتفجر نوع من الفراغ الادارى ويشعر الجميع بأهميته في المكان وحسن ادارته وتمكنه من أدواته وبعد نظره وقوة شكيمته وسرعه بديهته.
وعندما يعود من اجازته يسارع الجميع للاطمئنان عليه وأظهار السعاده والارتياح لقدومه وتنهال عليه الاوراق للاطلاع والتوقيع وتدب الحياة في المكان وتندفع الدماء في شرايين العمل، ويقف ينظر من النافذه وهو يشعر بالرضا عن نفسه ومستغرقا في ذاته ومتيما باهميته.
ينهى يوسف الدراسات العليا ويعود من المجر ويجد مشكله في أستخراج ترخيص مزاولة المهنه والتسجيل في النقابه ومره أخرى يشمر الاب عن ساعديه بعد أن أصبح لواءا ويجرى بعض المكالمات الهاتفيه التى تنهى الموضوع خلال يومين، حقا يوسف دائما يشعر بأن له ظهرا يدعم بل ويخطط ويرسم أدق التفاصيل .
وتنهى وفاء دراستها في كليه الحقوق ويبدأ الاب في ممارسه مايجيد من فنون العلاقات الانسانيه ويتم الحاقها عضوا بأكبر مكاتب التحكيم الدولى في مصر ذو سمعه وصيت يعرفها القاصى والدانى وتختار مكانا يناسبها من حيث الموقع والمناخ العام .
وتتخرج هناء من كليه الهندسه وتعمل باحدى شركات البترول حيث البيئه الاروبيه للعمل والدخل الممتاز ويتم هذا خلال شهر من التخرج وبعض المكالمات والعتاب والعشم وتكون المحصله النهائيه ماأراده الاب بلا أى

انحراف عن المسار,غير مسموح لاحد الخروج عن المسار ولو حدث أى انحراف فيتم تعديل المسار وتطويعه .
تعجب هناء بزميل لها وسيم متفوق من أسره طيبه,يتقدم لها رسميا ويقابل أباها .
يستقبله بفتور وبوجه بلا أى تعبيرات ويستعلم منه عن بعض المعلومات الاسريه وعن طموحاته ولكن بلا أهتمام حقيقى.
وينصرف الشاب، تنتظر هناء أى رد فعل من الاب ولكنها تحترم وجومه وتذهب إلى غرفتها حيث يمسك هو بسماعه الهاتف :-
-عرفت حاجه عنهم؟ فالصو ماحيلتهمش حاجة,شكرا تعبتك معايا يامعتز بيه.
ثم يشعل سيجاره ويتأمل سقف الغرفه وهو ينفخ دخانا كثيفا.
بعد أسبوعين .
يدخل اللواء حسن من باب المنزل حاملا علبه فخمه من الحلويات.
ويتحدث بحيث يسمعه من بالمنزل بدون تركيز على شخص معين:-
-أعملوا حسابكم الليله حاتزورنا عيلة منصور بيه الاسيوطى.
الام :-ياه ده أحنا مسمعناش عنهم من زمان,أيه اللى فكرهم بينا.
-قابلته صدفه من يومين وعزمته يزورنا,ناس محترمين وعائلات كبيره ده عمه كان المرحوم اللواء عبود الاسيوطى محافظ كفر الشيخ الاسبق وأبن خالته المستشار عماد السوهاجى وزير الاستثمار سابقا.
تتعامل الفتيات بعدم أكتراث ويعتذر يوسف بسبب أرتباطه بالخروج مع أصدقائه فلا يهتم الاب، فوجوده لايهم وهو ليس مستهدفا في هذه الجلسه.
يحضر عادل الاسيوطى وزوجته وأبنهما سيف الطبيب الحديث التخرج، ربما يكون متفوقا وملتزما ولكن الاسره برمتها ثقيله الظل ولايجيدون جذب أطراف الحديث وتمضى الزياره مملة ولا معنى لها رغم محاوله اللواء حسن بأظهار سعادته بوجودهم ولايكف عن ترديد عبارات الترحيب المقولبه

الروتينيه.
بعد المغادره يجلس مع البنتين ويشيد بتربية سيف وعراقة أسرته وحسن حديثهم وحضور منصور الاسيوطى وقوته ونفوذه وأسم عائلته :-
-هى دى العائلات والا فلا, ناس كمل، فعلا الاصل بيرد على صاحبه، على فكره هو لمح لى عايز يطلب ايدك ياهناء.
-أنا يابابا، أزاى؟
-زى الناس، كل البنات بيجى يوم وتتجوز.
-بس أنت لسه ماقلتش رايك يابابا في حسام؟
-حسام أيه بس، أنا مش عارف ازاى اصلا جاتله الجراءه يتقدم لك.
-ليه يابابا ده مهندس كويس وأهله ناس كويسين وعيله محترمه.
-يمكن محترمين بس مش لينا,كل فولة ولها كيال ودول مستواهم لايناسبنا.
-أزاى بس يابابا، دول كلهم متعلمين على اعلى مستوى ومستورين ماديا ولايعيبهم شيء.
-خلاص بقى ياهناء أقفلى الموضوع ده خالص وخلينا نركز في سيف.
وتركها غاضبا وأنصرف إلى غرفته.
لم تستطع هناء الاستسلام للنوم، بكت كثيرا وسرحت بعض الوقت ولا تفهم لماذا يتم حرمانها مما تريد .
في اليوم التالى حاولت الام أن تجد لها دورا في الحياه الاسريه أضافه إلى دورها الوحيد المعتاد في أعداد الطعام وتحدثت مع الابنه المسكينه:-
-باباكى عارف هو بيعمل أيه,وكل همه مصلحتنا.
-بس ياماما حسام مافيش حاجه تعيبه، معرفش ليه بابا رافضه.
-باباكى بيهتم بالاسر وخلى بالك اللى بتتجوز مش بتتجوز راجل ولكن بتتجوز عيلته كمان وأنتى أى شاب يتمناكى وعشان خاطرى ماتعانديش باباكى وأتأكدى أنه بيعمل لنا الصالح.
تلتزم هناء الصمت ولاتعرف ماذا تقول، فهى تحب حسام فعلا ولكنها تعرف

أن باباها دائما يحسن التصرف، كما أنها لن تستطيع تحدى رغبته وليس عليها سوى الخضوع .
ويتكرر الحوار مع أختها وفاء عن قدرة الاب في تحديد الافضل لهم وأكيد أن سيف أفضل من حسام وأكيد أن نظره الاب ثاقبه أكثر فهو ذو الخبره والحنكه وملكة توقع المستقبل.
تنصاع هناء وتبدى موافقتها على مضض للاب الذى يقبلها ويبارك حسن أختيارها.
ويبدأ سيف في زياراتهم حتى يتم التعارف، ولاتجد هناء أى ملامح جاذبه في تفكيره أو اهتماماته أو شكله أو شخصيته وتحبط ولكن لامجال للعودة, ويتم كتب الكتاب وحفلة العرس وكله بتخطيط كامل من الاب بدايه من المأذون إلى مكان الحفل إلى الراقصه والمطرب و حتى المعازيم، كل التفاصيل لايسيطر عليها سواه.
وتتزوج هناء بلا أى ملامح للسعادة ولكن يعلو ملامحها الفتور والجمود وقد أقنعها الكثيرون بأننا لاننال كل مانريد وهذه سنة الحياه، وكلما مر الوقت يتكشف لها أكثر أختلاف الشخصيات وتبلد سيف ويتأكد لها ثقل ظله وسوء معشره .
حتى الاب نفسه لايحبه ولايحترمه ولكنه معجب بلقب العائله الذى يصلح للتفاخر في المجالس مع الاصدقاء والاقارب.
كانت تجلس في أحد الايام تشكى سوء حالتها لامها وبكت لحظه دخول الاب مصادفة.
الاب :-مالك ياهناء.
-مافيش يابابا، أنا بس مكسوفه من الناس حاتقول عليا ايه، سبت واحد بيحبنى وكنت بحبه بدون سبب واضح.
-أجعلى العلاقه الوحيدة بينك وبين البشر أن تكونى دائما أعلى منهم وأفضل منهم، الناس لاقيمه لهم، لاتمنحيهم أكثر مما يستحقون,هل لديك قدرة

عالتخيل؟
-أعتقد عندى.
-تخيلى معى هذا السيناريو ياهناء,لو أعطاكى الله خيرا كثيرا.
ماذا سيقول عنك من يحبونك وماذا سيعتقد من يكرهونك!
-أعتقد من يحبوننى سيقولون أن الله يكرمنى ويغدق عليا من فضله لانى أنسانه طيبة وأتقى الله (ولئن شكرتم لازيدنكم) و(ملك الملوك أذا وهب لاتسألن عن السبب) وحاجات من هذا القبيل.
-وماذا سيشيع عنك من يكرهونك؟
-أعتقد سيدور الكلام في محور (ويتركهم في طغيانهم يعمهون)وممكن(يدى الحلق للى بلا ودان) وحاجات كده.
-كويس جدا وماذا اذا أبتلاك الله؟
-سيقول من يحبنى (أذا أحب الله عبده أبتلاه -وهذا أختبار من الخالق والابتلاء يرفع من قدر الإنسان ويخفف من ذنوبه و ليس من الضروري أن يكون الإنسان مذنب حتى يبتلى (أن الله اذا احب عبدا ابتلاه) لكي يختبره .
-وماذا تتوقعين من الذين يكرهونك!
-أعتقد سيكون الخط الدرامى هنا هو الشماتة بأنواعها مثل(من أعمالكم سلط عليكم)، (لها ماكسبت وعليها ماأكتسبت)-ومن زرع حصد - ومايصيبكم من الله إلا حصاد أيديكم.
-مبدئيا أنا سعيد بقدرتك على التخيل بحيادية ولكن ألم تلاحظى بأنك استطعتى الاجابه بنفسك على هواجسك تجاه البشر، هل تعلمى أن الناس تردد هذه الجمل بدون أن تتأكد من كنيتها أذا كانت آيات قرأنية أم أحاديث شريفه أم أمثله شعبيه فلكلورية، ولكن مع الاسف الناس تطوع الاديان والحقائق لتناسب أهوائها، نزلت الاديان لتهذب من نفوس البشر المشحونه بالشر وتلين من الجوانب القاسيه منها ولكن الإنسان ظلوما جهولا كنودا أستطاع تسخيرها لرغباته ونزعاته الاجراميه.

openkan.com

فمن يعشق النساء والتعددية يستند إلى الدين لتحقيق مآربه ومن يريد التخلص من شريكة العمر يبحث عن مخرج من الدين ومن يريد القتل والذبح وأخراج أسوأ مافى النفس البشريه يلتمس فتوى من أحد مشايخ هذا الزمان تعينه وصلت إلى حد شوى البشر أحياء لمجرد وجود أختلافات عقائدية بل والاستمتاع بهذا متسلحا بالفتاوى المتعددة من شيوخ أخر الزمان التى تمكنه من تحقيق نزواته وشهواته في الدنيا كما توعده كذلك بالنعيم في الاخرة وقد بنيت على أجتزاء الايات وتأويل الاحاديث الشريفه في غير سياقها وأستعمال مواقف الصحابه في غير موضعها والمهم أن تكون التوليفه ممتزجه بلحن القول مع كاريزما التأثير في الأخرين.

أقتنعت هناء تماما بل وفتحت فاهها مذهوله بسهوله التوضيح وأنسياب التشبيه والكلمات.

***

وفاء قررت أن تغلق قلبها تماما حتى لاتصطدم بما تعرضت له أختها بل وتترك الاختيار للاب من البداية، وبالفعل لم يبدد اللواء حسن الوقت هباءا وأنتقى لها أبن أحد أصدقائه القدامى، من الناحية النظريه هو ممتاز ومن أسره عريقه ذات تاريخ ناصع البياض ولايهم الانسجام ولا المشاعر فكلها تفاصيل وقتية زائله ساذجه أبتكرها بعض البشر لتصبح ماده تستهلك في الاعمال الفنيه ليس أكثر وصدقها الكثير من البشر نظرا لحاجتهم للخروج من الواقع عندما يكون أليما والتفاعل مع مشاعر وهميه تدغدغ وتريح الوجدان.

تتزوج وفاء وتعيش حياة بلا لون ولا رائحه ولكن طعمها غير مستساغ، لايهم فقد خلق الإنسان في كبد ولن يحصل على كل شيء وهذا أختيار الاب الواثق من أمكانياته والمتمكن من أدواته ، أذن فلابد من الاستسلام والتقبل

ولا سبيل سوى الدوران في محوره .

***

يتفرغ الاب للابن الاكبر والوحيد ويكثف البحث عن زوجة مناسبه له تحمل كل الصفات الراقيه فلابد أن تكون من عائله كبيره مرصعه بالمناصب القياديه السيادية وأن تتمتع بالجمال والارستقراطيه والجاذبيه طويله فارعه ذات مخارج الفاظ تدل على أصولها، غنية تتحدث عدة لغات خريجة أفضل الجامعات وترعرت في أرقى المدارس .

وتبدأ رحله البحث الممتزجه بالاستمتاع فهو يشعر وكأنه يستعيد شبابه ويبحث عن عروسة لنفسه فالابن أمتداد أبيه.

ولكن تأتى الرياح بما لاتشتهى السفن، فالابن مع قلة تجاربه وخبرته يتعلق بفتاة لاتمتلك من المواصفات الموضوعه من الاب سوى الحد الادنى,ويتمسك بها كالطفل الذى يتشبث بلعبه ليست الافضل على الاطلاق ولكنه نوع من محاوله لاثبات الذات والوجود يستطيع الاب قرائتها في عينيه مختلطه مع نظرة تحدى لم يرها من قبل .

يبدى الاب موافقته حتى يكتسب بعض الوقت للتخطيط للتخلص من الفتاه الغير مرغوب فيها وحتى لايفقد السيطره على الابن المتمرد قليل الحيله والمفعم بالسذاجة وبالفعل ينجح في شحن الابن ضدها وتأويل بعض المواقف لتظهر عيوبها الشخصيه وخصوصا أن الفتاة كانت من النوع التقليدى المنتشر في عالم النساء فهى غيوره أنانيه وعنيده .

يصاب بعدها يوسف ببعض الاحباط فقد فشلت قصته العاطفيه الاولى و الوحيده كما أنه لايجد الاشباع والانسجام في حياته العمليه وخصوصا أنه غير محب لمهنة الطب ولكنه أعتنقها أرضائا لابيه لم يرد أن يكون طبيبا ولكنه أصبح طبيبا بالفعل رغم أنفه.

كانت لديه ميول فنيه فهو يعشق القراءة وله بعض تجارب في الكتابة ويتابع أفلام المهرجانات بشغف .

وبالفعل يجد ضالته التى ستخرجه من ضيقه وأحباطاته ويبدأ في حضور دورات عن كتابة الروايه وحضر مؤخرا ورشة عمل عن كتابة السيناريو رغم أدراكه التام أن الكتابه موهبة ولاتحتاج إلى ورش ودورات ولكنها كانت بمثابة حافز لقدح زناد فكره وأزاله الصدأ عن موهبته أن كان هناك بعض بقايا موجودة.

***

الراهبة

راهبة وما هى براهبة.

ولجت القاعه الصغيره ترتدى ثيابا مثل الراهبه، غطاء الرأس شبيه لحد كبير بما ترتديه الراهبات، وقميصا أبيض وجيب طويل رمادى نفس لون غطاء الرأس .

أعتذرت عن التاخير بأقتضاب للمحاضرة بدون أن تنظر لها و كانت منهمكه في شرح أساليب ومدارس كتابة الروايه والفارق بينها وبين كتابة السيناريو . وجلست وعلى وجهها ملامح الجديه والاهتمام بين الحضور وعددهم حوالى اثنى عشرة فردا يجلسون حول منضده بيضاوية الشكل تقف في أحد طرفيها المحاضره وكانت أمراه في الثلاثينات ممتلئه حماسا ومعرفة ويجلس على راس المنضدة من الطرف الاخر يوسف الطبيب الهاوى للكتابة وكان يهوى رصد أختلافات البشر وانفعالاتهم وكانت أمينة نموذجا ثريا بالنسبه له فهى مختلفه في كل شيء ويظهر عليها الاهتمام وكأنها تتابع أحدى محاضرات أنشطار الذره.

وفى أثناء الاستراحة غادر الجميع لشرب الشاى أو التدخين إلا هو وأمينه ظلا جالسين وأنتهزها فرصه وسألها:

-هل أنت رأهبه؟

تعجبت أمينة :

- راهبة! بالطبع لا فأنا مسلمة، لماذا تقول هذا؟

obeikan.com

- ملابسك وأسلوبك تشبه الراهبات .

-وهل تحضر الراهبات ورش عمل لكتابة السيناريو والروايات؟

-ولما لا, ألم تتابعى المركز الكاثوليكى,فهو يهتم بكل أنواع الفنون، أنه يوزع الجوائز على الفنانين والفنانات في جميع المجالات ويقيم المسابقات والاحتفالات ولا اعرف متى يجد الاب بطرس دانيال مدير المركز وقتا للتعبد أو الوعظ, ربما يتبع طائفه لاتمارس أسلوب الوعظ أصلا فهو يحضر جميع الحفلات والعروض الخاصه للافلام ويزور الفنانين المرضى ويتابع أخبارهم.

أومأت براسها غير مكترثه .

واستكمل الحضور المحاضرات ولم يستطع يوسف التوقف عن التطلع لها وهى ترصد كل شيء بمنتهى الجديه وتكتب وتضيف وتستفسر وهى في حالة أستغراق تام مع ذاتها .

وفى اليوم التالى أجابت على عدة نقاط وبترتيب مدهش يدل على ثقافة وأطلاع وكانت تساعد الزملاء بأرشادهم إلى اسماء كتب معينه.

فهى تعرف الفرق بين القصة والقصة القصيره والروايه وعدد الكلمات في كل منهم وكيفية كتابة معالجة السيناريو وكيف تحول القصه إلى سيناريو وملمه أيضا بصناعة الفيلم وكيف يعبر الفيلم عن رحلة بطل أو كيف تكون هناك عدة خيوط ترتبط بعدة شخصيات ومتى يكون التوقيت المثالى لوضع الحدث المفجر لتكتمل الروايه.

وفى أثناء الاستراحة سألها عدة زملاء عن بعض المواقع والكتب وعن نوع الملف المتاح للتحميل اذا كان ملف من نوع:-

PDF OR WORD

وكانت تجيب بتمكن وحماس وسخاء في التوضيح .

أقترب منها وسألها :-

-لاحظت أنك بتقيمى أعمال الأخرين وتنصحيهم ببعض تعديلا ت وأضافات وترشديهم لتحميل كتب معينه بل وتريهم كيفيه تحميلها .

openkan.com

-أنا بحب أساعد الناس بغض النظر أذا بيملكوا الموهبة أم لا، الكتابه ممكن تكون نوع من العلاج النفسى ومصارحة الذات وتفريغ العقل الباطن من الزحام الذهنى المتراكم عن التجارب والخبرات والمواقف والعبر التى نجتازها بصوره يومية.

-تفتكرى الكتابة مهمة بالشكل ده.

-طبعا لانها شهيه غريزيه عند الجنس البشرى ناحية القصص، فاكر حكايات قبل النوم زمان، لم يبتكرها أحد ولكن غريزة الاطفال جعلتهم يستمتعون بالحكى, وأصبح هذا أحد الفنون الفطريه,الجدود يجيدون الحكى والاطفال يجيدون الانصات ويستمتعون بالاستمتاع.

ثم تطور الموضوع إلى دراما تليفزيونيه ومسرحيات وأفلام حتى نشرات الاخبار لاتخلو أحيانا من الحكى.

أنا عمرى مافكرت زيك.

- بس دى حاجات واضحه جدا.

-الإنسان يبحث دائما عن أجابه للسؤال الازلى الذى وضعه أرسطو في (علم الاخلاق)

عن كيف ينبغى أن يعيش الكائن البشرى حياته وبالتالى نحن نتلمس اجابه من نماذج الحياة المحيطه والسابقه وقد نستعيض عنها بالاعمال الدرامية التى يفترض أن تلهمنا في بحثنا عن الحقيقة,

ولكن أحيانا يتنازل الفنان عن مسئوليته بجبن ويهرب من الواقع بحجة أن المشاهد يريد أن يترك متاعبه ويهرب من الحقيقة وأختلق البعض مقولة (هذا مايريده الجمهور).

-ولكن ألم تلاحظى أن فن القصه في أضمحلال.

-فعلا أنا اوافقك، ومع الاسف فقد أكتشف أرسطو أنه حين يكون القص رديئا تكون النتيجه تفسخ المجتمع .

-وهل يؤثر القص في المجتمع إلى هذه الدرجة!

obeikan.com

-المؤلف المعيب يضطر إلى تحويل المشهد إلى مادة وحتى لايفشل في أن يمسك بأهتمام المشاهد يتم الاستعانه في الاعمال الدرامية برقصات صاخبه ماجنه ويتم الاسراف وانفاق الملايين لتجميل القص المزيف ويزداد الفسق والفجور والعرى وتصبح المؤثرات الصوتيه الصاخبه أحد عوامل النجاح ومع تكرار المنتج المفرغ من محتواه يتفسخ المجتمع.

-يابنت الايه ده أنتى حطيتى أيدك على حقيقة المشكلة اللى ماحدش عارف أصلها من فصلها، ولكن لماذا لم يحدث هذا في العشرينات ولغايه الستينات.

-زمان كان هناك أتفاق ضمنى غير مكتوب بين الكاتب والمجتمع على الحفاظ على الحد الادنى من القيم التى تشحن الحياة وأدراك لمعنى الحياة وتحافظ على تماسك المجتمع وتظهر ما يستحق أن نعيش من أجله ومايستحق أن نموت من أجله ومايستحق أن نطارده من أجل معنى العدالة والصدق، تلك القيم الاساسية,

كلما تأكلت القيم تأكلت معها القصة.

-هل لك أى مؤلفات سابقة؟

-للاسف لايوجد.

-ولكنك تقرأين كثيرا وملمة بمعظم اساسيات الكتابه بل وتمنحى ماتعرفيه للاخرين مجانا بكل كرم .

-أنا أكون سعيدة بالعطاء ويشعرنى أننى موجودة ووجودى له قيمة، ومشكلتى تكمن في الجراءة فقط فمع تعدد قراءاتى وحضورى لورش التدريب والمحاضرات أصبحت أشعر وكأن الكتابه شيء مقدس لا يستطيع أحد أقتحامه وهو غير مستعد أو واقدامه متسخه فعالم القصص أكثر عمقا من الواقع والرغبه في الانغماس في المشاعر الداخلية والمضى في الخيال شيء ممتع .

وأستطردت -لابد أن تكون قادرا على أن تجذب القارئ إلى تورط عميق وأن تبقيه على هذا التورط ثم تفاجئه في النهاية بتجربه مؤثره مليئه بالمعانى،

obeikan.com

أريد أولا أن اتمكن من السرد حتى تكون الصوره حيه والحوار قاطع وفى موضعه وأنمى معلوماتى وقدراتى الابداعية حتى يحدث بينهم تزاوج.
-ألم يكن من الافضل أن تبدأى وتحاولى ثم تقيمى تجربتك ثم تعيدى الكره والتقييم حتى توصلى إلى درجة مناسبه من الكمال، لماذا تفقدى الجراءه رغم أستقلال تفكيرك وقوة شخصيتك التى لاحظتها.
-أذا كان هناك مادة تافهه محكيه بذكاء في مقابل مادة رائعه محكيه على نحو ردئ، سيختار الناس الماده التافهه المحكيه بذكاء.
هناك من يستطيع أن يعتصر الحياة من أتفه الاشياء بينما هناك أيضا من يجعل الجيد يصبح رديئا.
أنا مازلت أقدس وأحترم الفنون وأرى أن لها رسالة وأنه مازال هناك فنون نظيفه راقيه ترتقى بالبشر معها وأرفض أن يتحول الفن إلى مجرد تسلية مفرغه من أى محتوى ويصبح هناك أتفاق بين المبتكر والمتلقى على مبدأ التسلية وأستنزاف الوقت ولا شيء غيرهما وأستعمال الابهار للتغطيه على التفاهه، لذلك أريد أن أقدم مادة رائعه محكية بذكاء وأن أقوم بالتحويل الخلاق للحياة نفسها إلى تجربة قويه وواضحه وقادرة على أخراج المعنى الكامن فينا، وهذا مايجعلنى أتروى دائما، ولن يضيرنى الانتظار قليلا.
-ولكنى أعتقد أنك تملكين الموهبه الفطريه للبدء في ما تطمحين إليه.
-العبقريه الغريزيه قد تنتج عملا متميزا واحدا والتلقائيه الفكريه لن تنتج أعمالا غزيره والتدفق يحتاج إلى قراءه ودراسه حتى ينساب بسلاسة.
-على قدر علمى الكتابه تحتاج إلى موهبتين أساسيتين :-
الموهبة الادبيه والتحويل الابداعى للغه العادية إلى لغه أكثر تعبيرا وأعتقد أنك تملكينها ومتمكنة منها.
والاخرى هى موهبه القص وتحويل المواقف إلى تجارب وهذه بالذات لا اعرف اذا كنت تملكينها أم لا.
-أنا نفسى لا اعرف وعندى نهم لمعرفة أشياء كثيره أولا قبل بدء تجربتى

الخاصه في الكتابه والى أن يتم هذا فانا مستمتعه بمساعدة الأخرين بما تعلمته وأكتشفته ويوما ما سأعرف أذا كنت أمتلك الموهبه الكافيه للكتابه أم لا.

كانت أمينه منذ حوالى ألسنه أنشأت جروب على الفيس بوك للارامل والمطلقات ولأى أمراه تشعر بالوحدة أو ظلم من زوج سابق أو تهميش من زوج حالى ويقوم الجميع بتبادل الافكار والاراء ومشاركة الهموم والاستفادة من تجارب بعضهم البعض لايجاد حلول ومن الغريب والمفاجئ أن يتعدى عدد المشاركات في الجروب المليونين ويقترب إلى ثلاثة ملايين مشارك.

يألهى أيوجد هذا العدد من البائسات الاتى لاتستطعن البوح بما يكمن داخلهن ويؤرقهن ولايجدون متنفسا للفضفضه مع أقرب الاصدقاء والاهل لحفظ ماء الوجه والكرامة وأصبح العالم الافتراضى هو الملاذ الاخير الذى يساعدهم على مشاركه الهموم مع حفظ الخصوصيه والكنية .

ذاع صيت هذه الصفحه ولفتت أنظار أحدى المذيعات الباحثات عن السبق الصحفى وأستضافتها في أحد القنوات الاذاعيه التى تعمل بها أولا لمناقشة هذه التجربه الفريده وكان الحوار مرحا لجذب المستمعين وبالفعل بعد بث هذا البرنامج أزداد زوار الصفحه وبدأت البرامج التليفزيونيه في التسارع لاستضافتها وأضافه البهارات التسويقيه بغض النظر عن قيمة هذه الصفحه ومبادئها وماتقوم به من خدمه مجانيه نقيه من أى مصلحه لجزء هام من المجتمع، المهم هو أجتذاب أكبر عدد من المشاهدين ولايهم المضمون.

في البدايه سعدت أمينه بهذا ولكن مع التكرار أدركت أن ماكنت تنتويه قد أنحرف إلى طريق أخر,فهذه البرامج لاتناقش القضيه بجدية وموضوعية وأنما تبحث عن الاثاره والصخب وأى شيء قد يجتذب المشاهد.

جلست يوما في شرفة منزلها الكائن في أحد العمارات القديمه بمنطقه الكوربه بمصر الجديدة حيث تعيش بمفردها هى ووالدتها وصنعت لنفسها فنجانا

obeikan.com

من القهوة التركى التى تعتبرها أحد أدوات التأمل ونظرت إلى السماء وشئ ما يدور برأسها ثم قامت إلى جهاز الكمبيوتر واتجهت إلى صفحتها في الفضاء الافتراضى وقامت بالغائها والغاء الاكونت الخاص بها وأقفلت الموبايل وعادت في هدوء إلى مقعدها في الشرفه تتأمل السماء، مسكين الإنسان يأتى إلى هذه الدنيا ليعيش في كبد ثم يحاسب على ماأقترفته ساعديه، هل كانت الامور كلها بيديه فعلا،

هناك من ولد ثريا وهناك أيضا من ولد فقيرا، قد تجد نفسك اروبيا تدخل وتخرج من البلاد بلا تأشيره وخلافه أو قد تجد نفسك مصريا تلهث للعمل في الخارج وتتحمل المذله وقد تجد نفسك خليجيا لايهم مستواك التعليمى ولا أسلوب تفكيرك فسوف تدعمك بلدك وتكون في ظهرك وقد تجد نفسك أفريقيا تعيش عصورا من العبوديه ويتم تداولك من بيع وشراء وسمسره وتعامل بأحط انواع القسوه حتى تتمنى لو أنك تنتمى لاحد فصائل الاغنام لتستريح قليلا وكل هذا بلا أى ذنب أقترفته بل بالعكس قد تكون لطيفا مهذبا متعلما جيدا ضحى والديك كثيرا من أجلك ثم يوما ما تفكر في الحصول على تأشيره سفر لليونان مثلا فتقف طابورا طويلا وتعامل وكأنك مجرم عتيق الاجرام واذا وافقك الحظ وكنت محظوظا وأستطعت أقتناص موافقتهم على دخولك في نعيمهم فلا مانع أن تقف هناك عند وصولك طابورا أخر أكثر مذله تنتظر موظفا عقيما ليحقق معك على سبب قدومك وكم معك من الاموال، في الوقت الذى تشاهد فيه رعايا دول أخرى أقل منك تعليما وأصاله وعراقه يمرون من الابواب بكل أريحيه كما تنساب المياه في جداولها، وقد نسى اليونانيون أننا أحتويناهم من قبل رغم أن مؤهلاتهم لم تكن أكثر من صناعه الجبن الرومى والبسطرمه ولا يخلو أى منتج فنى من فتره الاربيعنات وماقبلها إلا وكان هناك شخص يونانى من ضمن الشخوص يعيش بيننا وهو في وضع أفضل من أصحاب الارض الاصليين .

المحصلة النهائية لقد أتينا إلى هذا العالم بدون رغبتنا ثم نعيش في بيئه لم

نختارها فهذه الفتاة لم تختار أن تكون أمها راقصة أو عاهره وهذا لم يطلب أن يكون أباه مديرا مرموقا لاحد البنوك، ألن تؤثر النشأه التى لم نسعى اليها في تصرفاتنا وتوجهاتنا وفى نهايه المطاف نحاسب بدون رغبتنا.

كانت ورشه كتابه الروايه مازالت مستمرة وذهبت في موعد المحاضره عندما فاجئها يوسف :-

-أيه اللى عملتيه ده أنت قفلتى كل حاجه حتى موبايلك، كلمتك كتير موبايلك مقفول.

-أيوه(بأقتضاب)

-طب ليه، تسيبى كل هذا النجاح؟

-لم تكن هذه هى نوعيه النجاح الذى سعيت إليه، ليس هذا ما أريده.

-ولكنه سعى أليك فأنتهزيه وأستمتعى به.

-أنا لا اتبنى مبدأ الانتهازيه في حياتى، لو قلت عليا عبيطه مش حازعل.

-أنا مش فاهمك بصراحه، كلما أعتقدت أنى امسكت بتلابيب شخصيتك، أصطدم بأنى مازلت لا اعرفك.

-هل تعرف لماذا أنتشر الارهاب ولم يكن معروفا قديما، هل تعرف لماذا يقتل أنسان أخر لايعرفه ولم يراه من قبل وحتى لايعرف أنتماؤه الدينى أو السياسى وغالبا مايكون من الضحايا من يعتنق نفس فكر القاتل -ألا ترى أنه بعد كل حدث أرهابى تسارع عدة جماعات لتنسب لنفسها الحدث رغم أنه من المفترض أنه حدث بشع ومخجل ؟

وبدون أن تنتظر رده عاجلته بسؤال أخر:-

هل تعرف لماذا يتفنن الارهابيون في طرق واساليب تصفية الأخرين وابتكار طرق مختلفه حتى وصلت إلى حرق الإنسان حيا بل وشيه مثل الخراف رغم عدم وجود سابق معرفه وأحيانا تصويره والتفاخر ببث هذه الصور!

-بصراحه لا اعلم ولكنها أحد أفات العصر.

-أنه الاعلام فالقاتل يقتل الابرياء حتى يحدث صخبا في وسائل الاعلام

obeikan.com

وأعطاء حجم أكبر لجماعته ومنظمته والاعلام لايهمه إلا السبق واذا حدث بعض فتور في التهافت الاعلامى أبتكرت هذه الجماعات وسائل أخرى وتمعنت في الحاق خسائر أكتر حتى تضمن المتابعه الاعلاميه التى يتتبعها تدمير أقتصاد قطاعات أقتصاديه هامه بل وافقار دول باكملها وبث الفتن بين أبناء المجتمع الواحد، ويتم كل هذا بأقل التكاليف فعبوة ناسفه في حجم قبضه اليد لايتعدى ثمنها يضع جنيهات قد تدمر مثلا قطاع السياحه وتسبب خسائر بمليارات وتفقر اسر كانت مستوره وتنشر البطاله والخوف وعدم الامان ومع الاسف من ينفذ هذا هم أبناء البلد الواحد من المهاويس والدراويش ويدعمهم بعض الدول الخبيثه,والاعلام مثل القطيع لايشغله إلا السبق وأجتذاب المشاهدين.

الاعلام هو من يألب الناس على الحاكم ثم هو من يحبب الناس في الحاكم –والناس مساكين يعتقدون أنهم أصحاب الفكر والقرار، الاعلام يسيطر على العامة.

- ليس الاعلام بهذا السوء وفى حالتك فهو لم يشجع أرهابا أو أذى للاخرين.

-مافعلته كان محاوله لخدمة الناس ولكنى أحسست إني نسيت الهدف وأنحرفت إلى حب الشهره وتسلية الناس، ففضلت الابتعاد حتى أكون من أكون فعلا وليس مايوجهنى له الاخرون، أنا أعيش في حالة سلام ومصالحة مع نفسى ومع الاخرون ولا أريد تعكير صفو هذا.

-مش عارف أقولك برافو عليكى ولا خساره ليكى، ولكنك أدرى بما تفعلين وصاحبة القرار.

كل واحد منكم يكتب قصه قصيره في حدود ٣٠٠ كلمة ويقرأها لنا المره القادمة ونجمع الاراء حتى نصل للشكل المثالى، وأعتبروا ده واجب منزلى (قالتها المحاضرة معلنة نهاية الجلسه) .

أحتار يوسف عن ماذا يكتب فهو معتاد على كتابة الخواطر فقط وفى يوم

obeikan.com

المحاضره أعتذر أنه لم يكتب شيئا لضيق الوقت وأستمتع ببعض كتابات الزملاء وأستفاد من تجاربهم وعلق على بعضها حتى كان دور أمينه لتدلو بدلوها وكانت قصة مبهره رائعه عن الام تريزا.

المحتوى كان عن العطاء بلا انتظار مردود والتضحيه بلامقابل وأنكار الذات والايثار والتأمل,
كتبت عن الام تريزا التى هجرت سويسرا اليوتوبيا على الارض وأتجهت صوب أفقر مناطق الدنيا وأكثرها بؤسا في الهند وأفريقيا تساعد وتعالج وتدعم وتجمع التبرعات وعندما أهتمت بالمرضى فكان تركيزها على أكثرفئات المرضى نبذا ولفظا وعزلة في مجتمعاتهم، وهل يوجد منبوذا على وجه الارض أكثر معاناتا من مريض الجذام، لقد تعايشت معهم (يعتبر المرض وما يتعلق به من تشوهات، مع عدم اكتشاف علاج لفتـرة طويلة من الأسباب المسؤولة عن الوصمة الاجتماعية والتمييز ضد المرضى)
وعندما تم منحها جائزه نوبل نظير مجهوداتها رفضت أقامة حفل العشاء في مقابل أن يتم أطعام قريه فقيره تتكون من ٤٠٠ فرد بدلا منه.
جلس ينظر مشدوها وشعر بضألته فقد بحث في مخيلته عن رمز أو شخص يستطيع الكتابه عنه ولكن مخيلته لم تسعفه، فهذا التدفق لا يأتى إلا من الحب والاعجاب ولكنه لم يستطع الامساك بخيط:-
-ليه كتبتى عن الام تريزا بالذات؟
-كان يجب أختيار شخصيه للكتابه عنها بأسلوب رحلة البطل فأنت ممكن أن تكتب عن عدة شخصيات لطرح وجهه نظر معينه أو رؤيه أنما أنا أفضل دائما رحلة البطل أو بالاحرى في حاله الام تيريزا فهى رحلة البطلة كما كتبت.
-واضح أن الام تريزا تلهمك وتتغلغل في جيناتك أو ربما تحملون نفس جينات العطاء وأنكار الذات,أقولك حاجه بس ماتقوليش عليا مجنون.
-أتفضل ومش حاقول مجنون ماتخافش لانى واثقه أنك عاقل جدا.

-أوقات بشعر أن البشر جميعا عباره عن عدة نماذج أو أنماط قد تكون ثلاثون أو اربعون بالكتير ولهذا نجد منها من يتآلف ومنها من يتنافر بناء على أنتمائهم لنفس النموذج أو تشابههم في النمط وهو مايقولون عليه بالعاميه تشابه الكيميا بين فلان وعلان,فقد تجدى أشخاصا يحبون نفس الالوان ويهتمون بنفس الهوايات رغم غرابتها بل وأحيانا يتشابهون في الشكل، وأنا أشعر أنه ربما تكونين أنت والام تريز من نفس النموذج.

-عموما لو كنت أنتمى والام تريزا لنفس المجموعه النوعيه حسب كلامك فهذا شيء يسعدنى، كلنا زائلون وكلنا نمتلك قلب واحد وعقل واحد ومعدة واحده ولانستطيع أطالة أعمارنا أو أضافة سنوات لحياتنا ولانستطيع التواجد في أكثر من مكان في نفس التوقيت، أذن لماذا هذا التهافت على أكتناز المال والجشع والطمع الذى أصبح من شيم البشر ولو شعر الناس بقناعتك وزهدك للحياة وأكتفائك بما تملك لتعاملوا معك على أنك فاقد الاهليه، مع الاسف أنهم يفتقدون متعه هامه جدا (متعة العطاء).

تنتهى دورة كتابة الروايه وتتقلص العلاقه بين يوسف وأمينه تدريجيا وينشغل كل منهم في حياته.

تمر السنون وتصبح أمينه محاضره هامه في أحد المراكز التعليميه العالميه والتى تتبع المجلس الثقافى البريطانى نظرا لغزارة معلوماتها وتمكنها من اللغه الانجليزيه واللغه العربيه الادبيه وتعدد الدورات وورش العمل التى شاركت فيها.

حصل يوسف على جدول الانشطه والمحاضرات من المركز وعلم أنها تدرس الانثروبولجيا (علم الانسانيات) وكانت بالمصادفه تقدم محاضره طريفه عن اللغه الفهلويه، أبتسم من عنوان المحاضره فهو لم يعرف أن الفهلوه لها لغة ولكن لنحضر ونستمع لعجائب الاستاذه أمينه :-

بدأت المحاضره وبدأت أمينه تسأل الحضور عن الفهلوة وبالطبع أجمع الكل على أنها أختراع مصرى بجدارة .
وكانت المفاجأة أن الفهلوه أصلها فارسى وليس مصرى.

اللغه الفهلويه هى اللغه الفارسيه الوسطى أى أنها لغه تتوسط الفارسيه القديمه والفارسيه الحديثه(لغه أيران بعد أعتناق الاسلام) وكانت لغه أيسر في النطق والكتابه عن الفارسيه القديمه وأصبحت في هذه الفتره هى لغة العلم والادب ومن يتحدث بها يتصف بالمهارة والثقافة وتتصف الشخصيه الفهلويه بأدعاء العلم بكل أنواع العلوم فهم يظنون أنهم أهل جميع العلوم والمعارف.

وانتقلت الفهلوه عبر البحار والمحيطات وتم تمصيرها وأصبحت أسلوب حياة.
والتعرف على أهل الفهلوة ليس صعبا فهم أشخاص يبحثون دائما عن أقصر الطرق وأسرعها لتحقيق الاهداف والمكاسب الدنيويه واحيانا الاخرويه وهم دائما يتجنبون طرق العناء والجد ويكون همهم وشغلهم الشاغل أنجاز العمل بأى شكل وليس على أكمل وجه.

كان الحضور معجبون بموضوع المحاضره وكانت أمينه متحمسه ويوسف مبتسم ويحدث نفسه (اللغه الفهلويه يا أمينه –بتجيبى الافكار دى منين).
وقفت بنت جميله أنيقه مستفهمه :ولماذا ترعرت الفهلوه عندنا وتبناها المصريون بالذات؟؟

ردت أمينه:-

المبدع جمال حمدان فسر هذا في كتابه عبقرية المكان.

قال حمدان:-

-أن الفهلوه كانت من الاسلحه التى قاوم بها الفلاح المصرى البسيط الطغاة في مختلف عصور الظلم والاستبداد التى مرت عليه والتى بدأت بالبطالمة ولم تنته بالانجليز، أذ أن الشخصيه تختلق لنفسها هاله لاتستحقها فيتوهم الغير أنها ذات قدرات وأفعال لايقدر عليها سواها .

ومن هنا تجعل لنفسها مهربا من بطش الطغاه وتحصل على مرادها بالاقوال لا الافعال.
وهو ما رسخ لهذه الشخصيه أن تتربى في تلك البيئه المناسبه لتستقر حتى يومنا هذا حتى وان زال الحدث الاصلى وترسخت قيم الفهلوه.
وقف أحد الشباب مرتديا الجينز وتى شيرت مكتوب عليه عبارات باللغه الانجليزية وسأل :-
وماهو تعريف الفهلوى طبقا للمعاجم العربيه؟
جلست أمينه لتلتقط أنفاسها بعد أن افرغت شحنه ثقافيه ثريه وأجابت :-
طبقا للمعاجم، الفهلوى هو أنسان ماهر بارع شاطر, قادر على التكيف السريع مع متغيرات المجتمع وأحيانا يعرف بأنه محتال .
وأستطردت :-ويغلف الفهلوى شخصيته بالتظاهر بالتفوق والاحاطه بالمعرفة والفهلوى شخص فموى أو ممكن يقال عنهم بالتركيه (مكلمنجى) لان أفعاله الخاويه دائما مسنوده بالاقوال ولايعترف بنجاح الأخرين حتى لايصاب بالانهيار فبناء شخصيته خاوى ومفرغ من محتواه.
وشطارته قائمه على مبدأ الغايه تبرر الوسيلة أى الانتهازيه والتنطط.
كان يوسف مستمتعا لكنه كان مرتبطا بعدة مشاوير لابد من أنجازها وواضح أن المحاضره مستمره لفترة طويله، ترك مكانه في هدوء وأنطلق يجوب شوارع المحروسه واعدا نفسه بحضور محاضره أخرى قريبا.
وبالفعل بعد حوالى أسبوعين ذهب إلى المركز التعليمى مره أخرى لمتابعة أمينه وكان بالفعل هناك دوره عن السيميائيات ستبدأ في خلال ساعة، في البدايه بهت لانه لم يسمع من قبل عن السيميائيه كيف لايعرف هو شيئا عنها في الوقت الذى تمكنت هى من هذا الموضوع بل وتدرسه للاخرين، فكلما يطلع الإنسان ويقرأ يكتشف مدى جهله، صحيح (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلا)
يخرب بيتك يا أمينه من الفهلوه للسيميائيه (تمتم لنفسه)

دخل القاعه في هدوء وكانت هى تقف متمكنه من أدواتها ولكن تتميز بالتواضع الجم وجلس وأعد نفسه للانصات وأمسك ورقه وقلم حتى يدون بعض النقاط الرئيسيه فهو لم يدون أى ملاحظات من محاضره الفهلوة رغم طرافتها.

أمينه (متحدثه إلى الحضور) :- إن المعالجة السيميائية تبرز التوجه التوسعي لآليات المنهجية السيميائية، لاختراق مختلف مجالات النشاط الثقافي البشري، فهي لا تتوقف عند حدود السردية والشعرية، بل ترمي إلى تناول مختلف مجالات الوقائع الثقافية.

فتح فمه من الذهول ولم يستطع الامساك بكلمه واحده لتدوينها.

وأستطردت أمينه:- وعليه فإن السيميائية وكما يراها «شارلز موريس»، أنها هي:"العلم الذي ينسق العلوم الأخرى، ويدرس الأشياء أو خصائص الأشياء في توظيفها للعلامات، ومن ثم فالسيميائيات هي آلة كل العلوم (علم العلوم)، لأن كل علم يستعمل العلامة، وتظهر تاليا نتائجه طبقا للعلامات.

تحولت الدهشه إلى ابتسامة ووضع الورقه والقلم جانبا ليحصل على المتعه كاملة عن طريق الانصات فقط.

وأستكملت أمينه :- أما التحليل السيميائي، أو الدراسة السيميائية، فهي تشتمل على المبادئ الأولية للنظرية السيميائية، التي تندرج ضمن الممارسات النقدية، الساعية إلى فضح مكامن السقوط في النظام النقدي التقليدي، المبني أساساً على التقيد بالمسلمات وإصدار الأحكام المسبقة، ولئن كانت هذه الممارسات تشكل قفزة نوعية في الدراسات النقدية العربية.

وهنا تحولت الابتسامه إلى ضحك متواصل حتى أنه غطى وجهه بالورقه كى لايشاهده الحاضرون.

وكانت المعلومات تتدفق من فم أمينه وكأنها وحى ينزل اليها وكأنما تمشى فوق السحاب تعزف على أله موسيقيه أسطوريه غير موجودة، وأستطردت وهى حالمة:-

-ومنهج التحليل السيميائي- ما يدعي بالقراءة السيميائية؛ التي تتطلع إلي الكشف عن دلالات السمات الكامنة في مجاهل اللغة، الطبيعية والاصطلاحية معاً.

وظل يضحك فهو لم يفهم ولا كلمه واحده وخفض رأسه مختبئا خلف المقعد الامامى وهو لايستطيع التوقف عن الضحك حتى دمعت عيناه (يخرب بيتك كل دى معلومات).

وكما تستمر دورة الحياة من ميلاد طفل وقذفه إلى عالم لم يرغب أصلا في المجئ اليه ولا يعلم من أين أتى ولا لماذا جلب إلى هذا الكبد, وتتشرنق مرحلة الطفوله لتفرز لنا شابا يافعا متمردا مبدعا في جنى الذنوب والسيئات بجنوحه وجنونه ثم يضمر هذا الشاب متحولا إلى كهل ضعيف أشيب الشعر ويتخفف من ذنوبه بينما هو يصارع أمراضه ثم تسلب ارادته وتتقلص حيلته ويتحول إلى طفلا مرة أخرى يجد صعوبه في السيطره على سوائله وغير قادر على التحكم الكامل في وظائف جسمه أستعدادا لمغادرة عالما تم ألقاؤه في غياهبه يصارع كثيرا ويستريح قليلا مع تكبيله بقائمه من المحظورات والمحرمات التى يفرضها الشرع والدين تارة والمجتمع والعرف تارة والاصول والتقاليد أحيانا وقبل المغادره يتخفف الزائر من ذنوبه قليلا فيكون أكثر التزاما ومعاناته تلفظ بعضا من سيئاته ويبكى عليه البعض ويحزن أخرون ويفتعل الصدمه قليلون وسرعان مايتحول إلى ذكرى وتتحلل وتلاشى بقاياه الملموسه بعد أن تطايرت اجزاءه الروحانيه ويصبح لاشئ وقد تظل ملابسه واوانيه موجوده تتحمل عوامل الزمن بثبات لتكون مصدر أحراج للبشريه فالاشياء التافهه البخسه تعمر أكثر من مالكها المختال الظلوم الجهول كما وصفه الخالق.

يصل قطارااللواء حسن إلى مرحله المغادرة وينتقل إلى عالما مجهولا لم يذهب أحد اليه من قبل وعاد ليقص لنا ماذا يحدث هناك, هل سيغمرنا الله برحمته أم هل سيذيقنا كل الوان العذاب والا لماذا خلقت جهنم أم ربما

تشملنا شفاعة رسوله ونكونن من المحظوظون,الخالق وحده يعلم.
يترك المتوفى فراغا موحشا تتسع مساحته مع الايام بخلاف ماأعتاد عليه الناس من التعود والتأقلم، تجد الام والابناء أنفسهم بلا سند ولا نصير وظهورهم للحائط، يحاولون الاجتهاد ولكن ماكان يتم بمكالمه هاتفيه على أفضل حال يحتاج أسابيعا وربما شهورا لتحريكه قليلا.
ويترك لهم الاب مفاجأه، عدد من عقود بيع لقطعة أرض لوفاء وأخر لقطعة أرض قريبه من فرع النيل مع جرن ومنزل لهناء ونصيب الاسد للابن وكل يوم يتم أكتشاف المزيد من المفاجأت، يرتبك الجمع لكن مع أنصياع كامل لاوامر الاب فلابد وأنه يرى شيئا لم يروه بعد وهو أدرى بالمصلحة لما له من نظره ثاقبة فلايعترض أحد .
كل فرد من أفراد الاسره حتى الام يسارع إلى مدفن الاسره حيث دفن الاب ليقص عليه ماحدث وماذا فعل متوقعا أى رد بل وأحيانا يتخيلون الرد أو يحلمون به فقد أصبح مسيطرا عليهم في حياته ومماته,ويشعرون بالضأله بدونه وعدم القدره على أتخاذ أى قرارات.
مع الوقت تتذمر البنات من الظلم الواقع عليهم ويتم رفع قضايا بينهم لاثبات الظلم والتحايل أحيانا, فيتجه يوسف لدار الافتاء لاعادة التقسيم حسب الشرع درءا لاتساع فجوة الكراهيه مع أختيه وحقنا للاموال التى تنهال على المحامين الموكلين من قبل البنات، تهدأ الامور برهة ثم تتصاعد مره أخرى، وتمكنت الكراهية من الاخوات.
في أحد الايام يذهب يوسف لانهاء بعض المستحقات من مكتب والده ويسمع من الجميع أن المكتب في حاله ضياع بدون الوالد ولايوجد صف ثان يعلم الطريقه الصحيحه لاداء الاشياء ويحاول الجميع تجميل الوضع لاظهار أهمية الوالد ولكن الصوره أنه كان ديكتاتورا لايسمح لاحد بأداء أى شى إلا بعد أخذ مشورته أو بالاحرى أوامره ولم يقم بالانابه لاى منهم لاداء مهام ثانويه لاعدادهم لاداء مهام أكبر وأهم.

أى أنه لايوجد من يتحمل المسئوليه،
أذن مافعله الوالد في البيت فعله في العمل .
يجلس يوسف في مدفن الاسره وحيدا يتأمل السماء ويكلم والده لماذا تعمدت تركنا في فوضى ومشاكل، لماذا يجب أن نتذكر يوميا أنك تركتنا وانك لو كنت موجودا لما حل بنا هذا,لماذا لم تجعلنا نعتمد على أنفسنا في حياتك وتراقبنا وتوجهنا بدلا من تركنا بعد مماتك في المستنقع نصارع وحدنا هل الهدف هو حب الذات وايثارها حيا وميتا.
ربنا يسامحك على مافعلته بنا، قالها يوسف وهو ينصرف .
في اليوم التالى وجد قدماه تدفعانه إلى حضور أحدى مجاضرات أمينه وبالطبع لم يفهم معظم ماقالت لانه جاء لهدف معين وعندما طلبت أن يكتب كل منهم رايه في موضوع المحاضره كتب لها في الورقه التى أرسلها
I need you in my life يوسف
وعندما كانت تراجع الورق سريعا ورأت الورقه عرفت من هو راسلها و نظرت له نظره حانيه وأبتسمت.

تمت بحمد الله

obeikan.com